

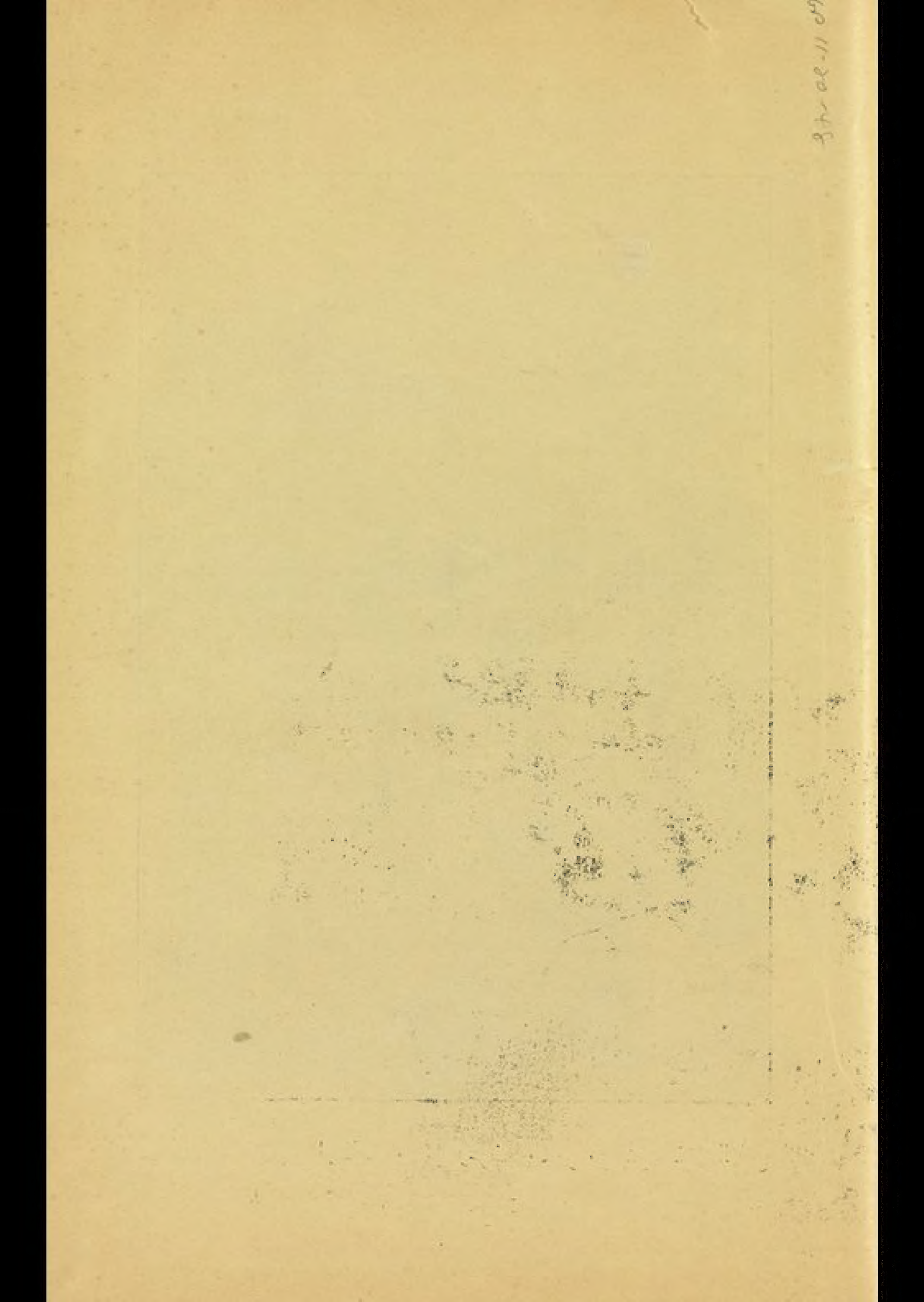
المدينة والمملكة العربية

تأليف

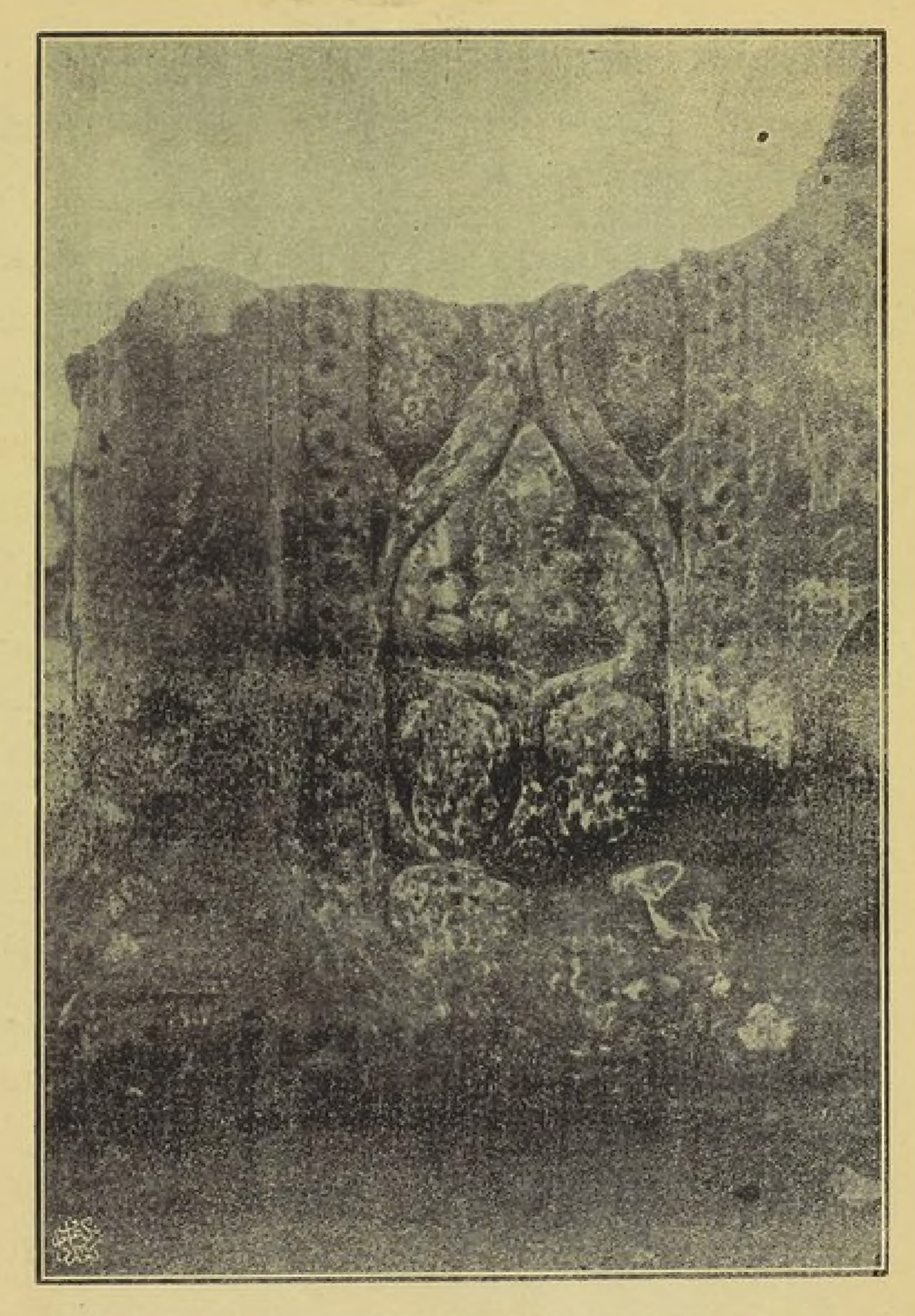
يوسف رزق الله غنيمة

مطبعة دنكور الحديثة * بغداد

سنة — ١٩٣٦



الرسم (١) مقابل ص ١



منكب (عضادة) باب ارتفاعه ٦٠ س وعرضه ٤٠ س من بداية القرن الثامن
وجد في الحيرة



المقدمة

لتاريخ العراق ادوار خطيرة في نشوء المجتمع البشري وصفحات رائعة في سير الحضارة وتقلبات السياسة . ولايخلو تاريخه من غموض وابهام في بعض الحقب سواءً أكان من نقص في تدوين الاحداث او لطموس آثارها . ومن المواضيع التي تكتنفها الظلمات ولها روعتها التاريخية موضوعان اولهما تاريخ بابل منذ فتوح اسكندر ذي القرنين إلى الفتح الاسلامي وثانيهما مدينة الحيرة ومملكتها العربية فلايعرف عنهما إلاّ الشيء النزر (١) . والمتوقَّع ان تهتك ستور الغموض بنبش الأطلال القديمة ، مستودعات الاسرار الماضية . مهما كان من امر غموض تاريخ دولة الحيرة فانه اوضح من تاريخ دولة الغساسنة في الشام واثبت منه لأنه كان مدوَّناً في كتب الحيرة مثبتاً في كنائسهم واشعارهم وفيها انسابهم واخبارهم ومبالغ اعمار من ولي منهم للأكاسرة وتاريخ نسبهم وعليها كان معوَّل المسلمين في ما اوردوا من اخبار الدولة (٢) .

كانت مملكة الحيرة نظراً إلى وضعها السياسي حاجزاً بين دولتين عظيمتين دولة القياصرة في الغرب ودولة الأكاسرة في الشرق او كما يطلق عليها الانكليز « Buffer State » او كما تعرف عند الفرنسيين (Etat Tampon) . وكان ملوك الحيرة من اقيال ملوك الفرس الأكاسرة وعمّالهم كما كان الغسانيون في الشام عمّال الروم . ولآل نصر وقائع وحروب دامية وغزوات حملوا بها على الروم وعمّالهم الغسّانيين انتصاراً للفرس او هجموا على الأمراء والقبائل العربية لتثبيت سيطرتهم . فكانوا تارة ظافرين وطوراً مغلوبين .

وكان للحيرة خطورة اجتماعية وعلمية وادبية ولا نظننا مغالين ان قلنا ان تاريخ الآداب العربية في الجاهلية متغلغل في تاريخ الحيرة .

ان ما كان للحيرة من الشأن الرفيع والمنزلة الجليلة حدا بي إلى وضع هذا الكتاب .

---

(١) Manchester Guardian dated 7. 12. 31

(٢) الطبري ٢ ٣٧ وتاريخ ابن خلدون العبر ٢ : ٢٦٢ وجرجي زيدان العرب قبل الاسلام ١ : ١٩٧

وكيف لا تدفعني عوامل مجد العرب ابناء قومي إلى بذل الجهود للتنقيب عن آثارهم وتخليد ذكرى عظمتهم ودرس حضارتهم الفتانة .

ان حب المفاخرة بالعرب لم يكن عقبة في سبيل قيامي بواجب المؤرخ الصادق النزه بل تناسيت في مواقف النقد والتمحيص النعرة القومية ليتسنى لي ان اغوص على درر الحقائق في لجج القرون الماضية فاخرجها للملأ مجردة عن كل ما من شأنه الحط من قدرها العلمي او الزيادة في قيمتها فمدحت حيث وجب الاطراء ونقدت في مواطن النقد ولمت في مواقف اللوم والتثريب ونقلت نقل الأمين النزه حيث دعا الحال وتطلب المقال .

قد اعتمدت في كتابي هذا على امهات الكتب العربية والفارسية واليونانية والسريانية والانجليزية والفرنسية والألمانية المعول عليها في مثل هذه البحوث . وذكرت المراجع لتسهيل التثبت من صحة مروياتي .

اعترف مع ذلك بأني مهما بذلت من الجهود لأخرج كتابي هذا كاملاً مستوعباً تاريخ مدينة الحيرة ومملكتها فانّ عقبات كأداء حالت دون تحقيق هذه الرغبة باتم مظاهرها ، منها نزر الأخبار وتضاد المرويات واضطراب الروايات وطموس الحقائق وفقدان الوثائق على توالي الزمان وتعاقب الحدثان وبالرغم من هذه المصاعب فقد خرقت لي محجة بين هذه الآكام والاخاديد ومهدت لي طريقاً سوياً لبلوغ معظم ما رغبت فيه ونوال اكثر ما صبوت اليه .

فارجو من الاساتذة المحققين والعلماء المدققين والأثريين النباشين ان يواصلوا ابحاثهم في تاريخ الحيرة ويطلعوا العالم على اخبار تلك المدينة القديمة والمملكة الغابرة ويكشفوا الستار عن حضارة العرب في تلك الحاضرة المشحونة اطلالها بالآثار النفيسة كما ان رجائي وثيق بان حكومة العراق تعير اهتماماً للحفر في الحيرة وفق ما رغبت فيه احدى الوزارات .

وآخر امنية اعرب عنها ان ينتقد العلماء هذا المؤلف بما لديهم من علم وعرفان فالكمال والعصمة لله وحده ؟

ي . ر . غنيمة

نظرة

في وضع العراق وجيرانه في عهد ملوك الحيرة

يجدر بنا قبل ان نأتي على تاريخ الحيرة ومملكتها ان نلقي نظرة عامة على وضع العراق السياسي وماجاوره من الممالك ونطلع على بعض الاحداث الخطيرة في الحقبة التي وجدت فيها مملكة الحيرة منذ نشأتها في القرن الثاني للميلاد حتى انقراضها على يد الفاتحين المسلمين في بدء الربع الثاني من القرن السابع وذلك في عهد السلالتين التنوخية واللخمية .

كان منشأ مملكة العرب الاولى او سلالة التنوخيين في القرن الثاني للميلاد وكان العراق يومئذ في حكم ملوك الطوائف او الملوك الاشغانيين الذين يسميهم الاوربيون « الفرتيين » (Parthians) .

نرى في هذا القرن الحروب قائمة على ساق وقدم بين الاشغانيين والروم . فاستولى الروم اكثر من مرة على هذه الديار واحتلوا سلوقية وطيسفون عاصمة البلاد . فاحتلها اولاً ترايانوس « Trajan » ١١٥ — ١٦٦ (١) واستولى عليها ثانية اوديوس كاسيوس « Avidius Cassius » سنة ١٦٤ وكان ذلك في عهد الملك الاشغاني بلاش الثالث « Volgases III » وبعد بضع سنوات اي في عام ١٩٧ فتح الملك سورس « Severus » طيسفون بعد ان اخفق بلاش الرابع في الدفاع عنها (٢) وكان الروم يخلون هذه الديار بعد احتلالها لاسباب منها بعدها عن مركز قوتهم .

قامت الحروب الداخلية في بلاد الاشغانيين بعد وفاة بلاش الرابع سنة ٢٠٩ لتنازع ابنيه العرش حتى اتفقا على تجزئة الملك فحكم احدهما اردوان القسم الغربي من الدولة وحكم بلاش بابل (٣) . وكان الضعف قد اخذ من الدولة مأخذه

(١) P. M. Sykes : A history of Persia 1. 412

(٢) Ibid 1 : 414 — 415

(٣) Ibid 1 : 416

وفتقت الفتوق على اردوان « Artabanus » فالتف حول اردشير مؤسس الدولة الساسانية امراء فارس الذين كانوا مستقلين بعض الاستقلال فدحر اردوان في وقعة هرمز سنة ٢٢٦ وقتل في تلك المعركة فانطوى بموته بساط الدولة الاشغانية وتولى الحكم الساسانيون (١) .

وكانت الدولة الاشغانية مترامية الاطراف إلاَّ انها لم تكوّن وحدة سياسية بل كانت منقسمة إلى امارات يحكمها امراء او اقيال كامارة حذياب او يحكمها صهبذ يسمى « وتاش » « Vitaxa » كما كانت تحكم بابل . هذا فضلاً عن الاوضاع الخاصة بالمدن اليونانية فانها كانت تقتصر سلطة الاشغانيين عليها على اخذ الاتاوة ليس إلاَّ . ويرى مدوّناً حتى في مسكوكات بعض الملوك الاشغانيين الجملة « محب اليونان » « Philhelien » وكان لليهود ادارة خاصة ولبعض مدنهم في هذه الديار استقلال يضاهي استقلال المدن اليونانية (٢) .

فلا عجب اذا رأينا في هذه التضاعيف قبائل عربية تهبط العراق وتؤسس مملكة مستقلة في عبر الفرات وقد حاصر احد ملوكهم وهو جذيمة الابرش الملك اردشير مؤسس الدولة الساسانية . وكان جذيمة آخر التنوخيين الذين لم يطل اجل حكمهم بل استورثهم اللخميون ودام حكم اللخميين دوام الدولة الساسانية مع فترات قليلة تخللت حكمهم وانقرضوا بانقراضها .

ففي الحقبة التي ساد فيها الساسانيون من سنة ٢٢٦ إلى سنة ٦٣٥ وحكم فيها اللخميون في الحيرة جرت حوادث خطيرة نلخصها بما يأتي :

حارب الساسانيون دولة الروم مراراً وحاربوا الدولة البزنطية بعدهم والارمن والهياطلة والهونيين البيض والترك والعرب وامارة الحضر فاشترك اللخميون في معظم هذه الحروب وابلوا البلاء الحسن في الدفاع عن تاج الأكاسرة وكانوا في محاربة الروم عنصراً مهماً وفرساناً غزاة نشيطين اوقدوا النيران وهرقوا الدماء في بلاد مصر وسورية وانسحبوا عنها قبل ان يستطلع امرهم قوّاد الروم (٣) .

---

(١) Sykes : A history of Persia I : 425

(٢) Ibid 393 — 394

(٣) Labourt : Le Christianisme dans L'Empire Perse 3

وكان الدين السائد في العراق دين المجوسية ولكهنته وسدنته نفوذ عظيم في الدولة وكان اعظمهم رتبة يسمى موبذان موبذ وهو الذي يتوج الملك (١) وفي عهد الدولة الساسانية ظهر ماني الزنديق سنة ٢٤١ ونشر مذهبه وظهر سنة ٥٢٩ مزدك وبث مذهب الشيوعية فشايعه قباذ وقضى كسرى على صاحب هذا المذهب وعلى اشياعه (٢) .

واشتهرت في هذه الحقبة مدارس اليهود في بابل وهي مدارس نهر دعة وسورا وفم البادية او فم البداءة (بمباديتة) وكان من ثمرة هذه المدارس التلمود البابلي (٣) .

وانتشرت النصرانية في هذه الاعصر انتشاراً عجيباً في بلاد فارس وازدهرت مدارسهم وكنائسهم وديوراتهم ومجامعهم بالرغم من الاضطهادات القاسية التي جرعهم غصصها الساسانيون بتحريض سدنة النار بحجة علائقهم بابناء دينهم الروم. وفي ابان الحكم الساساني دخلت النسطورية كنيسة المدائن واستحكمت فيها بمؤازرة السياسة الفارسية التي رمت إلى اقامة فواصل مذهبية بين نصارى فارس والروم . ودان في هذه المطاوي بالنصرانية كثير من العرب وحمل المبشرون النسطوريون راية التبشير إلى الهند والصين .

وكان الأكاسرة على جانب عظيم من الترف والتأنق في بناء القصور العظيمة ومنها ايوان كسرى وقصر شيرين كما تفننوا في المأكل والشرب واللباس والأثاث والآنية وولعوا في العاب الفروسية كلعب الصولجان ومالوا إلى الصيد والقنص وحبوا مظاهر الابهة ومجالي العظمة ونشطوا العلم وشجعوا المعارف .

فهذه العوامل كلها والاحوال جميعها كانت من مميزات العصر التي نشأت فيها الحيرة وعاشت دولتها في مطاويها .

---

(١) الطبري ٢ : ٧٧ (٢) الطبري ٢ : ٩٣ (٣) غنيمة تاريخ يهود العراق ٩١

نزوح العرب الى العراق

سكن وادي الفراتين في فجر التاريخ جيلان من الناس وهما الشمريون والاكديون. اطلق العلماء اسم الشمريين على سكان معظم المدن التي كانت في جنوبي العراق قبل ان يحتلها الاكديون الساميون ولا يعرف بدء التاريخ الذي شرع فيه الساميون بالانصباب على بابل كما يجهل الزمن الذي بدأت فيه سيادتهم . فهذه مواضيع لم يعالجها التاريخ حتى الآن . إلا اننا نجدهم في هذه البلاد ولهم سلطة واسعة النطاق غالباً منذ أقدم العصور التاريخية (١) فالاكديون ساميون هم والعرب والآنوريون والعبريون من ارومة واحدة . والراجح من الفرضيات أنهم هبطوا بابل من الشمال الغربي أي من جزيرة العرب فاجتازوا في هجرتهم هذه سواحل البلاد السورية . فانصبت قوافل الرحل انصباباً على بابل وتركت وراءها جماعات من بقاياها في سورية وبلاد كنعان عرفوا بعد ذلك بالاموريين أو الساميين الغربيين لأنهم سكنوا بلدة أمورو في سورية العليا . وبعد عهد جاء الاموريون انفسهم وحلّوا في الجنوب الشرقي من بابل وأسسوا دولة اسين قريباً من نبر (نفر) . وفي سنة ٢٢٠٠ قبل الميلاد أسسوا أقدم مملكة مستقلة في بابل وكان رأس السلالة الحاكمة الملك سموابو . وبعد مئة سنة من نشأتها انجبت الملك حموراب المشترع البابلي العظيم (٢) وانتهى الامر باندثار الشمريين فدالت دولتهم وانطوى ذكرهم بسيطرة الاكديين الساميين نهائياً . والسر في اندثار الشمريين من هذه الاقطار انقطاع الهجرة الجديدة من عنصرهم إلى العراق وتوالي هجرات الاكديين الساميين مما قوى منزلتهم واثبت مقامهم وقضى على خصومهم من الشمريين قضاءً مبرماً .

يذهب العلماء ان وطن الاكديين الساميين كان بلاد العرب الوسطى ولم تكن تلك الشقة من جزيرة العرب قاحلة جرداء كما نراها اليوم بل كانت خصبة في العصور العريقة بالقدم تصلح للعيش والحياة والسكنى (٣) .

---

(١) C. H. W. Johns: Ancient Babylonia 18 — 19

(٢) E. Behaven: The Lands of the Two Rivers 31

(٣) L. W. King: A. History of Babylon 116 — 120

لم تنقطع الهجرة من جزيرة العرب إلى العراق في ادوار التاريخ المختلفة سواء أكانت افراداً أو جماعات بل نرى سكان تلك الجزيرة يهبطون العراق في مختلف العصور ولكن مما يؤسف له ان اخبار العرب في هذه الديار في القرون السالفة وحتى القرن الاول للميلاد طامسة في ظلمات كثيفة من الغموض والابهام فلم نقف على حالها وتفاصيلها (١) إلا اننا نعثر في ثنايا مرويات المؤرخين العرب وغيرهم على بعض انبائهم وعن تاريخهم في هذا القطر مما يحتاج إلى تمحيص وتحقيق ومنها :

١ — ذكر المسعودي (٢) عن شداد بن عاد من العرب العاربة ان ملكه احتوى على سائر ممالك العرب وله مسير في الارض ومطاف في البلاد وبأس عظيم في ممالك الهند وغيرها من ممالك الشرق والغرب (اه) يجوز ان نحمل هذه الرواية على هجرة العرب او العاديين الاولين الذين ملكوا بابل وأشور في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد وبلغت فتوحاتهم الهند كما اظهرته العاديات المكتشفة في اطلال بابل . او بعبارة اخرى يراد بهم حمورابي ورهطه الذين مر ذكرهم قبيل هذا .

٢ — روي عن شمر مرعش وهو المشهور من ملوك التبابعة ذوي المغازي والآثار البعيدة (٨٥٠ قبل الميلاد) انه جاء العراق وفارس وخراسان .

٣ — جاء في الطبري (٣) ان التجار العرب كانوا يقدمون إلى بابل في عهد نبوخذ نصر بالتجارات والبياعات ويمتارون منها الحب والتمر والثياب وغيرها . فوثب عليهم نبوخذ نصر وجمع من ظفر منهم فبنى لهم حيراً على النجف وحصنه ثم ضمهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظة ثم نادى الناس في الغزو . وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين . فانزلهم السواد على شاطئ الفرات وبنوا الانبار . فبقيت هذه الجماعات في الحيرة والانبار .

٤ — ومن الهجرات العربية المهمة إلى العراق تلك التي حدثت بعد بثق سد مأرب وتدفق سيل العرم (٤) . وقد اثبت المستشرق دي ساسي وغيره

(١) مجاني الادب ٣ ــ ٣٠٤
(٢) مروج الذهب
(٣) ١ : ٢٩١
(٤) الطبري ٢ : ٢٨ وحمزة الاصفهاني ٦٣

من المحققين ان بثق سد مأرب كان في اواخر القرن الاول للميلاد أو اوائل القرن الثاني نحو سنة ١٠٢ م وعلى أثر هذا الطوفان نزل مالك بن فهم بقبائله فيما بين الحيرة والانبار وأسس بعدئذٍ سلالة التنوخيين في تلك الديار ، تلك السلالة التي اتخذت الحيرة عاصمة لملكها في عهد جذيمة الابرش (٢٠٨ــ ٢٦٨ م) وأضحت الحيرة بعد ذلك ولاسيما في عهد ملوكها اللخميين (٢٦٨ ــ ٦٣٢ م) مركزاً مهماً للعرب

٥ — وجاء عن التبع سعد ابي كرب (٢٠٠ — ٢٣٦ م) انه نزل بالعراق ومر بالحيرة وخلف قوماً من الازد وجذام وقضاعة فبنوا بها ثم انتقل اليهم بعد ذلك ناس من طي وكلب وسكون وبلحرث بن كعب وأياد (١) .

قصارى القول ان جماعات من العرب نزلوا العراق منذ زمن عريق في القدم ولا نعرف اسماء قبائلهم وبطونهم وانما نعلم انها وكان منهم فرق مبثوثة في الشمال في اطراف الحضر ومافوقه وفي الوسط والجنوب في الحيرة والانبار والأبلة وغيرها فغيرها . ونرى منذ منشأ مملكة الحيرة قبائل وبطوناً وافخاذاً من العرب في العراق ومنهم مذحج وكلب وحمير وطي وقضاعة وازد وأياد وبكر وتغلب وربيعة وجذام وغارة والسكون وبلحرث بن كعب وتميم وبنو العبيد وبنو أسد وبنو بهراء وبنو صالح وبنو يزيد .

خاف ملوك الفرس الاشغانيون والساسانيون من العرب حتى ان اردشير مؤسس الدولة الساسانية ضيق الخناق عليهم فكرهت قضاعة الاقامة في العراق فهاجر منهم قوم إلى الشام (٢) . ومن ذلك ان سابور بن اردشير (٢٤١ — ٢٧٢ م) في حملته على الضيزن ملك الحضر قتل نحو مئة الف رجل من قضاعة وأفنى قبائل كثيرة كالعبيد وأصيبت قبائل حلوان وانقرضوا وفي ذلك يقول الجدي بن الدلهات وينسب بعضهم هذا الشعر إلى عمر بن آلة (٣) :

ألم يحزنك والانباء تنمي   بما لاقت سراة بني العبيد

« ١ » ابن الاثير ١ : ١٠٨   « ٢ » معجم البلدان مادة « الحيرة » والاغاني ٢ : ٣٥ وكوسن دي برسفال : تاريخ العرب ٢ : ٤١ ومابعده والطبري ٢ : ٦٧
« ٣ » ابن الاثير ١ : ١٣٩

ومصرع ضيزن وبني أبيه   واحلاس الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات   وبالابطال سابور الجنود
فهدم من اواسي الحصن صخراً   كأن ثقاله زبر الحديد

وقد نسب بعض المؤرخين هذه الحادثة إلى سابور ذي الاكتاف وألمع ياقوت في معجمه إلى هذا الاختلاف (١) .

واشتهر سابور ذو الاكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩ م) بمحاربته العرب واضطهادهم فقتل منهم من انتجع بلاد فارس ابرح القتل لا بل غزاهم في بلادهم واسر منهم اعنف الاسر ونزع اكتاف رؤسائهم (٢) ونقل جماعة منهم من الانبار إلى بقة والعقير وحفر خندقاً في برية الكوفة بينه وبين العرب (٣) وبنى مدينة هفة (٤) واسكنها أياداً لما قتل منهم من قتل في مدينة شالها .

وخشى أمرهم كسرى انوشروان (٥٣١ — ٥٧٨ م) وحفر خندقاً من هيت يشق طف البادية إلى كاظمة (٥) .

هذه نبذة موجزة عن نزوح العرب إلى العراق في الجاهلية تفيد موضوع كتابنا في الحيرة ولا نتصدى لذكر أعظم هجرة عربية إلى العراق وهي التي أعقبت الفتح الاسلامي . إذ استولى العرب في العراق وقرضوا دولة الاكاسرة . وأصبحت هذه الديار عربية .

---

١) الاغاني ٢ : ٣٥ والطبري ٢ : ٦٢ ومعجم البلدان مادة « الحضر »
٢) الطبري ٢ : ٦٧
٣) معجم البلدان مادة « خندق سابور »
٤) كذلك مادة « هفه » ومادة « شالها » : يسمى النبط مدينة هفة « هفة طرناي » جعلها سابور محبساً واتخذها بعده خلفاؤه حتى اشكل من سخطوا عليهم ووجبت بالنفي والسجن ويفهم من كلام الطبري انها كانت في ارض جرجرايا في بقعة البطائح
٥) معجم البلدان مادة « خندق سابور »

مدينة الحيرة

في اللسان الذي ادلمه البر في الريف (١) وبالقرب من الملطاط (٢) حيث طاب الثرى ورقّ الهواء وعذب الماء نرى سهلاً وشّته الطبيعه بالريحان وزيّنته بشقائق النعمان واجادت عليه بخصب حدّث به كل لسان . هناك مسرح الريم والغزلان ومهتف الحمام ومناخ الحمام وديارات النساك والرهبان ومهبط الوحي والالهام (٣) في ذلك الوسط الرائع الجمال كانت المدينة البيضاء الحيرة الروحاء (٤) قائمة كعروس في مطارف دلالها مستندة إلى مشرفة النجف . ترمق بالعين الواحدة البحر وبالعين الاخرى بادية الشام وتطرب لانغام نهر الكافر (٥) وهي راكبة جانبيه الشرقي والغربي (٦) ونهرها منفوق من الفرات إلى النجف (٧) نفقه تُبّع بامر الحارث بن عمرو الكندي (٨) وكانت تتيه عزاً وخيلاء بقصورها العامرة ودياراتها الزاهرة ومنتزهاتها الباهرة .

تقع مدينة الحيرة في جنوبي الكوفة وعلى بعد ثلاثة اميال (٩) منها وتبعد عن النجف مسير ساعة للفارس إلى جنوب شرقيه (١٠) وتشاهد اليوم اطلال مبانيها وقصورها ودياراتها وكنائسها في ناحية الجعّارة قبلاً وتسمى اليوم ناحية الحيرة وهي من نواحي لواء الديوانية (١١) وحوالي النجف حيث كانت بلاد العيون وتسمى اليوم بلاد القصور (١٢) .

قال ياقوت : كان بناء الحيرة في موضع يقال له النجف إذ زعموا ان بحر فارس

١) جاء في معجم البلدان في مادة لسان : اللسان : لسان البر الذي ادلمه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة قبل اليوم

٢) معجم البلدان : وتغنى به عدي بن زيد اذ قال :

هيج الداء في فؤادك حور . ناعمات بجانب الملطاط

٣) الهام الشعر ٤) الحيرة البيضاء والحيرة الروحاء من اسماء الحيرة عن ياقوت

٥) الاغاني ٢١ : ١٢٥ في ابيات للمتلمس اذ قال :

والقيتها بالثني من جنب كافر : كذلك اقنو كل قط مضلل

٦) الاغاني ٢ : ١٨ ٧) معجم ما استعجم للبكري ٣٠٣ ٨) الطبري ٢ : ٩٠

٩) معجم البلدان ١٠) لامنس في المدنة الاسلامية مادة « حيرة »

١١) مجلة لغة العرب ٦ : ٤٤٣ ١٢) كذلك ٤ : ٣٢٥

كان يتصل به (١) وعندنا ان ليس في ما ذكره ياقوت من غريب إذ ان مصب كل من دجلة والفرات كان يبعد الواحد عن الآخر شقة بعيدة في بعض ادوار التاريخ . وليس نضوب بحر النجف او بحيرة النجف كما يدعوها بعض الكتبة المحدثين ببعيد عنا فانه جف سنة ١٣٠٥ هجرية (١٨٨٧ م) .

عرف الاراميون بحيرة النجف باسم فرثا « פרתא » بمعنى البثقة واطلق اليهود عليها اسم « حاشير » (٢) ومعناه مجموع المياه وهذا اللفظ والحشر بالعربية بمعنى الجمع من اصل واحد .

اختلف العلماء في معنى اسم الحيرة فمنهم من قال انه عربي مبنى ومعنىً . فذهب الهمذاني انه مشتق من الحيرة لأن تبعاً لما اقبل بجيوشه ضلّ دليله فتحير في هذا الموضوع . ومنهم من قال انه من الحير بمعنى الحمى والملجأ كما تقول البقعة من البقاع (٣) . ومنهم من ذهب إلى انه مشتق من فعل حار الماء اي تردد لايدري كيف يجري بالنظر إلى ركود مياه بحر النجف (٤) والرأي الراجح اليوم ان الكلمة ارمية النجار من « חירתא » وهي المعسكر والدير والحصن (٥) ومما يؤيد هذا الرأي ما قاله العلامة نلدكة وهو ان رؤساء قبائل غسّان كانوا يسكنون في احياء قسم منها ثابت بالبناء والمدر وقسم آخر غير ثابت من جنس المضارب والخيم كانوا ينقلونه من محل إلى آخر للدفاع عن التخوم وحراستها وكانوا يدعون تلك الاحياء باسم ارامي « חארתא » ومنها اشتق العرب اسم الحيرة (٦) وعندنا ان الحيرة الارمية والحير العربي من اصل سامى واحد إذ ان المضرب والمعسكر والحمى الفاظ يدل اصلها على معنى واحد (٧) .

لا يُعرف مؤسس الحيرة معرفة اكيدة ولهذا تضاربت آراء المؤرّخين في بانيها وتاريخ نشأتها . فنسب العرب بناءها إلى نبوخذنصر (٨) وقالوا انها خربت بعد

١) معجم البلدان   ٢) المعلمة الاسلامية مادة « حيرة »   ٣) معجم البلدان
٤) تاج العروس   ٥) اوجين منا : دليل الراغبين ولمين واصف : الفهرست ص ٤٧
٦) مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص ٧/١ و Ghassaniden Turstcn 47
٧) ووردت חירתא في المعاجم الكلدانية : ارض ذات تلال ومغاور
٨) معجم البلدان

موته وانتقل عربها إلى الانبار وبقيت خراباً إلى ان هاجر رهط من اولاد معن ابن عدنان وطنهم تهامة من بلاد اليمن سواء أكان لحروب او لاحداث حدثت فنزلت قبائل منهم البحرين وبها يومئذ جماعة من الازد . وكان بين المهاجرين من تهامة مالك وعمر ابنا فهم بن تيم الله من قضاعة . فاتفقت الازد وقضاعة على التحالف فسموا تنوخاً وبهذا تمّ التكوين التاريخي لاسم تنوخ في ايام ملوك الطوائف . فتطلعت انفس من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ونزل كثير من تنوخ الانبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيه إلى ناحية الانبار وما والاها فتملك على تنوخ العراق مالك بن فهم وجعل منزله الانبار واتخذ في الحيرة قصراً وبستاناً واقطع رجاله الاقطاع فيها . وعظم اسم الحيرة في ايام الملك عمرو بن عدي من آل نصر اللخميين وبقيت عاصمتهم حتى الفتح الاسلامي (١) .

بدأ خراب الحيرة منذ أنشأ المسلمون الكوفة سنة ١٧ هجرية (٦٣٨ م) ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا (٢) .

وبني بعض قصور الكوفة وبيوتها بآجر واساطين رخام قصور الحيرة (٣) وقد نهج أعراب تلك الديار تلك الطريقة وهدموا قصور الحيرة وبيوتها على مر القرون وتتابع الأجيال للاستفادة من انقاضها في الأبنية الحديثة التي بنوها (٤) ولا تزال آثار ذلك التخريب بادية لأعيان الأثريين الذين يحفرون في تلك الأطلال (٥) .

مع ذلك بقيت مأهولة عهداً غير قليل في عصر العرب المسلمين ووقع فيها حوادث منها القتال الذي وقع بين مضرية الكوفة والحيرة ولم يصطلحوا ويصبح امرهم واحداً إلا بظهور الضحّاك سنة ١٢٧ هجرية (٧٤٥ م) (٦) . ونزل رواة اهل

١) معجم البلدان والطبري ٢ : ٢٨ ٢) المسعودي : مروج الذهب ٣ : ٢١٣

٣) الطبري ٢ : ١٩١ ــ ١٩٢ ٤) مجلة لغة العرب ٢ : ٣٢٣

٥) Hira : Journal of the Royal Central Asian Society Part 2 April 1932 P. 261.

٦) الطبري ٩ : ٥٨

الحيرة مكانة بين المسلمين (١) .

نزل الحيرة غير واحد من الخلفاء فكان فيها السفاح سنة ١٣٤ هجرية (٧٥٢ م) وانتقل منها إلى الانبار في ذي الحجة من تلك السنة عينها ونزلها المنصور سنة ١٣٧ هجرية (٢) وحلّ بها هارون الرشيد سنة ١٨٠ هجرية (٧٩٦ م) فسكنها وابتنى بها المنازل واقطع من معه الخطط فوثب به اهل الكوفة واساؤوا مجاورته فارتحل إلى مدينة السلام (٣) ونزلها ثانية في محرم سنة ١٨٧ (٨٠٣ م) برجوعه من مكة واقام في قصر عون العبادي . وكان معه بختيشوع الطبيب (٤) وفي سنة ٢٢٧ (٨٤٢ م) ماتت بها ام الخليفة الواثق ودفنت في الكوفة (٥) والواثق نفسه زارها ودخل دير هند ودير مارت مريم وكان معه ابراهيم الموصلي (٦) وقد زارها واقام فيها في هذه التضاعيف غير واحد من الوزراء .

وقد زارها السيد الشريف محمد الرضي (ر) سنة ٣٩٢ هجرية (١٠٠١ م) فطافها ونظر عجيب آثارها وبناها ورأى الظباء ترتع في عراصها فانشد القصيدة العصماء الآتية :

ما زلت اطّرق المنازل بالنوى	حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت	شمم العماد عريضة الاعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها	وتبين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين إن بقيت لهم	خطط معمرة بعمر فان
ورأيت عجماء الطلول من البلى	عن منطق عربية التبيان
باق بها حظ العيون واعا	لا حظ فيها اليوم للآذان
وعرفت بين بيوت آل محرق	مأوى القرى ومواقد النيران
ومناط ما أعتقلوا من البيض الظبا	ومجرّ ما سحبوا من المرّان
ورأيت مرتبط السوابق للمهى	ومعاقل الآساد للذؤبان

١) المسعودي : كتاب التنبيه والاشراف ص ٨٣

٢) ابو الفداء ١ : ٢١٣ والمسعودي ٣ : ٢١٣ ٣) الطبري ١٠ ـ ٦٩

٤) الطبري ١٠ ـ ٨٤ ٥) ابن الاثير ٦ ـ ١٩٥ ٦) الاغاني ٥ ـ ١٠١

الهاجمين على الملوك قبابهم ... والضاربين معاقد التيجان

وكأن يوم الإذن يبرز منهم ... أسد الشرى وأساود الغيطان

ولقد رأيت بدير هند منزلاً ... ألماً من الضراء والحدثان

أغضى كمستمع الهوان تغيبت ... أنصاره وخلا من الأعوان

بالي المعالم أطرقت شرفاته ... إطراق منجذب القرينة عان

أو كالوفود رأوا سماط خليفة ... فرموا على الأعناق بالأذقان

وذكرت مسجدها الرباط بجوه ... من قبل يبيع زمانها بزمان

وبما ترد على المغيرة دهيه ... نزع النوار بطيئة الإذعان

أمقاصر الغزلان غيرك البلى ... حتى غدوت مرابض الغزلان

وملاعب الأنس الجميع طوى الردى ... منهم فصرت ملاعب الجنان

من كل دار تستظل رواقها ... أدماء غانية عن الجيران

ولقد تكون محلة وقرارة ... لأغر من ولد الملوك هجان

يطأ الفرات فناءها بعبابه ... ولها السلافة منه والروقان

ووقفت أسأل بعضها عن بعضها ... وتجيبني عبر بغير لسان

قدحت زفيري فاعتصرت مدامعي ... لو لم يؤل جزعي إلى السلوان

ترقى الدموع ويرعوي جزع الفتى ... وينام بعد تفرق الأعوان

مسكية النفحات تحسب تربها ... برد الخليع معطر الأردان

وكأنما نشر التجار لطيمة ... جرت الرياح بها على العيدان

حال الملوك رمى جدعة بينها ... والمنذرين تغاير الأزمان

طرداً كدأب الدهر في طرد الألى ... وإلى الحفائظ في بني الديان

نعق الزمان بجمعهم عن لعلع ... وأقض منزلهم على نجران

وكآل جفنة أزعجتهم نبوة ... قذفت قبابهم عن الجولان

وعلى المدائن جلجلت برعادها ... عركاً لكلكلها على الإيوان

وإلى ابن ذي يزن غدت مرحولة ... نفضت حويتها على غمدان

قصفت قنا جدل الطعان وثوّرت بعد الامان بعامر الضحيان
زفر الزمان عليهم فتفرّقوا وجلوا عن الاوطار والاوطان (١)

وفي سنة ٣١٥ هجرية (٩٢٧م) قصد الاعراب سواد الكوفة فنهبوه وخربوه ودخلوا الحيرة فنهبوها . فسير اليهم المقتدر جيشاً فدفعوهم عن البلاد (٢) ويظهر انها امعنت في الخراب والاقواء (٣) في هذه المطاوي حتى كان النصف الاخير من القرن العاشر للميلاد فامسى سكانها قليلين مع ان مساحتها كانت واسعة وتم اندثارها بانقراض الدولة العباسية (٤) .

وقد اشتهرت بطيب هوائها وصفا جوّها وصحة تربتها حتى قيل فيها « يوم وليلة في الحيرة خير من دواء سنة » . وقال ابن عيينة سمعت ابن شبرمة يقول يوم وليلة بالحيرة خير من دواء سنتين (٥) ويقال بيتة ليلة بالحيرة انفع من تناول شربة تادريطوس (٦) وقد اعتبرت في عهدها مستوصفاً يقصده المرضى من ضمرمنهم وجسا (٧) ومع هذا لم تخل من مزعجات البق وغيره من الهوام وقال الدهاب العجلي في ذلك (٨) :

ابى القلب ان يهوى السدير واهله وان قيل عيش بالسدير غرير
به البقّ والحمى واسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور

سكان الحيرة

من كان سكان الحيرة ؟ هذا سوأل لابد من ترداده على الالسنة . فنقول : مما لا ريب فيه ، فقد كان العنصر العربي السائد هنالك : نظراً إلى موقع الحيرة الجغرافي القريب من بادية الشام محط رحال البدو من العشائر والقبائل والبطون

١) ديوان السيد الشريف الرضي ٢ : ٨٨٥ ـ ٨٨٧ ٢) ابن الاثير ٩ ـ ٦١
٣) المسعودي ٣ ـ ٢١٣ ٤) المعلمة الاسلامية مادة « حيرة » ٥) كتاب تاريخ البلدان لأبي بكر احمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه طبعة ليدن ص ٢٦٢
٦) حمزة الاصفهاني ٧٥ ٧) معجم البلدان مادة « مبالة » والاغاني ٨ ـ ٤٧
٨) الطبري ٢ ـ ٩٠ والاغاني ١٢ ـ ١٢٦

والافخاذ العربية . ونظراً إلى السلالتين العربيتين اللتين سادتا فيها سلالة التنوخيين وسلالة اللخميين . فاننا نرى في تاريخها ذكر قبائل العرب من مذحج وطي وكلب وتميم ومن التنوخيين مما أطلق عليهم عرب الضاحية (١) وقد قسم المؤرخون العرب سكان الحيرة ثلاثة اصناف ، فثلث تنوخ وهم كانوا اصحاب المظال وبيوت الشعر ينزلون غربي الفرات فيما بين الحيرة والانبار فما فوقها . والثلث الثاني العباد وهم الذين سكنوا الحيرة وابتنوا فيها وهم قبائل شتى تعبدوا الملوكها واقاموا هناك وثلث الاحلاف وهم الذين لحقوا باهل الحيرة ونزلوا فيها من لم يكن من تنوخ الوبر ولا من العباد الذين دانوا لاردشير (٢) .

يحملنا هذا التقسيم على الظن ان المؤرخين العرب صوّروا حالة سكان العراق في كل القرون منذ سكنه الانسان حتى اليوم . فان الاقوام الرحّل ينزلون العراق . قسم منهم يسكن الارياف والقرى او يحل في ضواحي المدن ويصبح في حالة وسطى بين الحضارة والبداوة وقسم يعمر المدن ويسكن البيوت المشيدة .

اما العباديون من الحيريين فهم على رأي ابن عبد ربّه من الجرات ، بطن في جزيلة من لخم (٣) والاصح انهم قوم من النصارى من قبائل شتى انفردوا من الناس في قصور ابتنوها لنفوسهم ظاهر الحيرة (٤) وقد جاء في سبب تسميتهم بالعباد انهم لما قاتلهم سابور الاكبر اتخذوا شعاراً لهم يا آل عبادالله فسموا العباد (٥) وقيل لأنهم كانوا يعبدون الله وسموا بهذا الاسم لزهدهم (٦) وجاء في تعليل هذا الاسم انه وفد على كسرى خمسة منهم وكانت اسماؤهم تبتدئ بكلمة عبد وهم عبدالمسيح وعبد ياليل وعبد يسوع وعبدالله وعبد عمرو فقال كسرى : انتم عباد كلكم . فسموا العباد (٧) .

وقد اشتهر العباديون بنصرانيتهم وبعرفتهم القراءة والكتابة في عهد جهلها اكبر الشعراء النوابغ ودليلنا على ذلك ان صبياً منهم قرأ للمتلمس الشاعر المغلق

---

١) معجم البلدان مادة « حيرة »   ٢) حمزة الاصفهاني ٦٦   ٣) العقد الفريد ٢ — ٢٥٣
٤) ابن القفطي كتاب الحكماء ١٩٩   ٥) الاغاني ١١ — ١٥٦   ٦) التاج ٢ — ٤١٠
٧) البكري : معجم ما استعجم ١٨

صحيفة اعطاه اياها الملك عمرو بن هند موجَّهة إلى عميله عكبرا في البحرين وكتب فيها هلاك المتلمّس فلما اطّلع على مضمونها هذا بواسطة الصبي العبادي القاها في نهر الحيرة وهرب (١) واشتهر غير واحد من الشعراء العباديين كعدي بن زيد . ومن المترجمين حنين بن اسحق الذي نال ذكراً خالداً في عهد العباسيين (٢) ومن هذا الرهط حنين بن بلوع المغنّي الملحن البعيد الصيت (٣) وكان العباديون يبيعون الخمرة في الحيرة (٤) ويُذكر انهم كانوا صيارفة (٥) وكانوا اكرياء سعد بن ابي وقّاص بعد الفتح الاسلامي (٦) وكان لهم رأي في الفلسفة القدريّة اخذه عنهم اعشى قيس ويتمثل هذا المبدأ في قوله :

استأثر الله بالوفاء وبالـــ عدل وولّى الملامة الرّجلا (٧)

وقد مدح طخيم الطخماء الاسدي قوماً من العباديين من اهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد بن تميم رهط بن زيد العبادي في ابيات :

كأن لم يكن يوم بزورة صالح وبالقصر ظلّ دائم وصديق

ومنها :

واني وإن كانوا نصارى أحبهم ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق (٨)

ومن اهل الحيرة بنو مرينا النصارى الذين ينتسبون إلى لخم وهم من الاشراف (٩) العباديين (١٠) وكانت ديارهم بين دير هند والكوفة وفي هذه الديار قُتل رهط من بني آكل المرار في عهد المنذر وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونا

ولو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا (١١)

ومن سكان الحيرة النبط (١٢) ومما يؤيد كثرة وجود النبط في الحيرة : سأل خالد بن الوليد لما فتح الحيرة عبد المسيح بن بقيلة أعرب انتم أم نبط اجابه عرب

---

(١) الاغاني ٢١ : ١٢٥ (٢) طبقات الأطباء ١ : ١٨٤ (٣) الاغاني ٢ : ١١٦
(٤) الاغاني ٨ : ٧٦ (٥) طبقات الاطباء ١ : ١٣٥ (٦) معجم البلدان مادة « قبر العبادي » (٧) شعراء النصرانية ٣٥٨ والاغاني ٨ : ٧٦ (٨) معجم البلدان مادة زورة (٩) الاغاني ٢ : ٢٠ (١٠) الاغاني ٨ : ٩١
(١١) كذلك ٨ : ٦٢ (١٢) كذلك ١٦ : ٥١

استنطينا ونبط استعربنا (١) وقد اطلق المؤرخون العرب هذا الاسم « نبط العراق » على بقايا الكلدانيين والبابليين والاراميين في العراق الذين يتكلمون اللغة الارمية (٢) واطلق الفرس على بلادهم « سورستان » (٣) وعرفها كتبة النصارى باسم « بيت ارمايا » اي ديار الاراميين (٤) والحيرة كانت بين هذه الديار (٥) ومما لا مرية فيه ان اليهود سكنوا الحيرة وكان لهم فيها بعض الشأن تؤيد ذلك النصوص الصريحة منها ما جاء في حوادث سنة ٧٧ هجرية (٦٩٦ م) إذ قال الحجاج لاهل الكوفة « يا اهل الكوفة فلا اعزّ الله من اراد العزّ بكم ولا نصر من اراد بكم النصر اخرجوا عنا ولا تشهدوا معنا قتال عدونا الحقوا بالحيرة فانزلوا مع اليهود والنصارى » (٦) وبالقرب من الحيرة وبنواحي الكوفة كانت بانقيا وفيها مقبرة شهيرة لليهود ينقلون اليها موتاهم (٧) هذا فضلا عن انتشار اليهود في ذلك الصقع واشتهار مدارسهم في سورا ونهر دعة وعباديتة او فم البداءة (٨) وكانوا يبيعون الخمر (٩) .

ونرى في الحيرة إلى جانب العرب والنبط واليهود ، الفرس الذين كانوا سادة البلاد الحقيقيين وكان الاكاسرة يبعثون المرازبة والدهاقنة من قبلهم ليحكموا الحيرة في فترة من ملوكها آل نصر اللخميين (١٠) حتى ضرب العرب المثل بتيه دهقان الحيرة (١١) .

وكان الحيريون يهاجرون إلى البلاد المجاورة . قال ياقوت الحموي « ألا ترى ان في بلاد فارس من اهل الحيرة واهل الانبار في بلاد الروم واشباه هؤلاء فلا ينسبون إلى البلاد (١٢) .

---

(١) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨ (٢) المسعودي مروج الذهب ومجلة لغة العرب ١ : ٥٨
(٣) معجم البلدان (٤) الشهادوسات الشرقية طبعة شابو ٦٦٧ (٥) الاب سليمان صائغ تاريخ الموصل ٢ : ٧ والسيد ادي شير كلدو وآثور ٢ ى (٦) الطبري ٨ : ٢٤٨
(٧) معجم البلدان مادة « بانقيا » (٨) يوسف غنيمة نزهة المشتاق ٩١
(٩) الاغاني ٢ : ١١٧ (١٠) شير كلدو وآثور ٢ : ٢٦٦ (١١) الاغاني ٩ : ١١
(١٢) معجم البلدان المادة عربة





قطع من مناكب (عضادات) ابواب ورفوف في الحيرة

قصور الحيرة

اشتهرت الحيرة بعماراتها وسارت الركبان بذكر قصورها وتغنى الشعراء بخورنقها وسديرها وانشدوا القصائد في حيانها وابيضها وفيها يقول عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلاً ورجلاً فوق أثباج الركاب

حضرنا في نواحيها قصوراً مشرفة كأضراس الكلاب (١)

فرأينا ان نعقد هذا الفصل الموجز في بيان تلك الصروح المنيفة واشهرها :

« الخورنق » قصر كان بظهر الحيرة وقد تضاربت آراء الباحثين في اصل هذا الاسم ومعناه . فذهب الخليل انه عربي الاشتقاق من الخرنق . ومعناه الصغير من الارانب (٢) وارتأى نلدكه الالماني انه حرف من العبرية الربانية بمعنى المزرعة والعريش وذهب اندريا انه ايراني من « كوورنة » بمعنى ذي السقف الجميل (٣) وفي البرهان القاطع انه معرب من « خورن كاه » اي موضع الاكل والشرب (٤) وإلى هذا المعنى الاخير تميل كفة الرجحان عند معظم الباحثين .

اختلف المؤرخون في باني هذا القصر فقال الهيثم بن عدي : الذي أمر ببنائه النعمان بن امريء القيس بن عمرو . وقال ابن الكلبي صاحب الخورنق والذي أمر ببنائه بهرام جور بن يزدجرد وذلك ان يزدجرد كان لا يبقى له ولد وكان قد لحق ابنه بهرام جور في صغره علة فاشار عليه اطباؤه ان يخرجه من بلده إلى ارض العرب . فانفذه إلى النعمان وامره ان يبني له قصراً مثله على شكل الخورنق فبناه له وانزله اياه (٥) .

وقد اكثر العرب من ذكر الخورنق في نظم اشعارهم ومضرب امثالهم ولم يتصدوا لوصفه وصفاً مسهباً . غير ان المؤرخ يستنتج من اقوالهم انه كان طرفة من

(١) معجم البلدان مادة « حيرة » (٢) كذلك مادة خورنق (٣) لامنس في المعلمة الاسلامية مادة خورنق (٤) ادى شير : الالفاظ الفارسية المعربة
(٥) معجم البلدان مادة خورنق

طرف البناء جامعاً بين العظمة وبهاء الزخرف وروعة الموضع ، قال شريح القاضي إلى الضحاك بن قيس : يا ابا امية أرأيت بناءً احسن من هذا ؟ قال نعم السماء وما بناها (١) .

وجاء في البرهان القاطع (٢) ان سنمّار البنّا الرومي بنى الخورنق واجاد في صنعه كل الاجادة حتى ان القصر الذي بناه كان يتلألأ ليلاً ونهاراً بالالوان المتنوّعة لنظير ابي قلمون فكان يظهر صباحاً ازرق وظهراً ابيض وعصراً اصفر وكان صاحب قصر النعمان بن المنذر فاستجاده واستبدعه فانعم عليه وصلاه بالصلاة الثمينة وخلع عليه الخلع النفيسة . فلما رأى سنمّار ذلك الاحسان من الملك قال له متأسّفاً لو علمت انك تستجيد هذا القصر هذه الاستجادة فتغمرني ببحر احساناتك على هذا المنوال لأبدعت صنائع اعجب من هذه بكثير ولجعلت القصر يتبع سير الشمس ويتّجه اليها على اختلاف مسيرها فأثرت هذه الاقوال في النعمان فامر من ساعته بالقائه من اعلى القصر لئلا يبني لغيره قصراً على المنوال الذي قاله فمات (٣) وقالت العرب ان النعمان قال لسنمّار ما رأيت مثل هذا البناء قط فقال له سنمّار اني اعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله فقال النعمان ايعرفها احد غيرك ؟ قال لا . ثم أمر فقذف من اعلى القصر إلى اسفله فتقطع فضربت العرب به المثل لمن يجزيء بالاحسان الاساءة (٤) فقال الشاعر (٥) :

جزاني جزاه الله شرّ جزائه ... جزاء سنمّار وما كان ذا ذنب
سوى رمّه البنيان ستّين حجة ... يعلّ عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى البنيان تمّ سحوقه ... وآض كمثل الطود والشامخ الصّعب
فظنّ سنمّار به كلّ حبوة ... وفاز لديه بالمودّة والقرب

---

(١) معجم البلدان مادة « خورنق » (٢) برهان قاطع مادة سنمار (٣) شير : الالفاظ الفارسية المعربة ٨٦ (٤) الاغاني ٣ : ٣٦ ويقال ان الذي قذف بسنمار احيحة بن الجلاح بعد ان فرغ من بناء اطم له . وراجع مجمع الامثال للميداني ١ : ١٠٧

(٥) معجم البلدان مادة خورنق . ينسب هذا الشعر لعبدالعزى ويروى البيت الثاني هكذا :

سوى رصه البنيان عشرين حجة ... يعلي عليه بالقراميد والسكب

الطبري ٢ : ٧٣ والاغاني ٢ : ٣٦

فقال اقذفوا بالعلج من فوق رأسه ... فهذا لعمر الله من اعجب الخطب

وقال غيره (١) :

جزتنا بنو سعد بحسن فعالنا ... جزاء سنمّار وما كان ذا ذنب

وقال ابو الطمحان القيني : (٢)

جزا سنمّار جزوها وربها ... وباللات والعزّى جزاء المكفّر

وقال سليط بن سعيد (٣) :

جزا بنوه ابا غيلان عن كبر ... وحسن فعل كما يجزى سنمّار

وقال يزيد بن إياس النهشلي (٤) :

جزى الله كالاً باسواء فعله ... جزاء سنمّار جزاءً موفرا

ان الاشعار والاقوال في هذا الموضوع كثيرة فنجتزئ بما ذكرنا منها .

وفي الروايات ان بناء الخورنق دام ستين سنة فكان يبني سنمّار السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين واكثر من ذلك واقل فيطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتج حتى فرغ من بنائه وقيل ان بناءه دام عشرين سنة (٥) فهذه الروايات عليها مسحة من المبالغة القصصية كما يظهر للقارئ المحقّق .

ومما كان يزيد هذا الجوسق بهاءً وروعةً موقعه الطبيعي الفتّان فكان يشرف على النجف ومايليه من البساتين والنخل والجنان والانهار وكان البحر تجاهه وفيه الملاّحون والغوّاصون والحوت وخلفه البر وفيه الضبّ والظبي ويقابل الفرات فيدور عليه على ماقول كالخندق (٦) ولهذا افتتن المؤرّخون والشعراء بهذا القصر وهاموا بالاشادة بذكره قال عدي بن زيد (٧) :

وتبيّن ربّ الخورنق اذ ... شرف يوماً وللهدى تفكير

سرّه ماله وكثرة ما يـ ... ـلك والبحر معرضاً والسدير

وقال الاسود بن يعفر النهشلي (٨) :

ماذا اؤمل بعد آل محرّق ... تركوا منازلهم وبعد إياد

---

(١) مجمع الامثال للميداني ١ : ١٠٧ (٢) الاغاني ٢ : ٣٦ (٣) الطبري ٢ : ٧٣
(٤) كذلك (٥) معجم البلدان مادة [خورنق] والاغاني ٢ : ٢٩ (٦) حمزة الاصفهاني ٩٨ ومعجم البلدان مادة خورنق (٧) الاغاني ٢ : ٣٤ (٨) شعراء النصرانية ٤٨١

اهل الخورنق والسدير وبارق		والقصر ذي الشرفات من سنداد

وقال ابن كناسة (١) :

الآن حين تزين الظهر		ميثاؤه وبراقه العفر
بسط الربيع بها الرياض كما		بسطت قطوع اليمنة الحمر
وجرى الفرات على مياسرها		وجرى على ايمانها الزهر
وبدا الخورنق في مطالعها		فرداً يلوح كأنه الفجر
كانت منازل للملوك ولم		يعلم بها للملك قبر

وقال سلامة بن جندل (٢) :

ألا هل اتى ابناءنا اهل مأرب		كما قد اتى اهل النقا والخورنق

وبعد ان دالت دولة المناذرة بدخول خالد بن الوليد الحيرة قال عبد المسيح ابن بقيلة (٣) :

أبعد المنذرين ارى سواماً		يروّح بالخورنق والسدير

وانشد علي بن محمد العلوي الكوفي الحمّاني (٤) :

سقياً لمنزلة وطيب		بين الخورنق والكثيب
بمدافع الجرعات من		اكناف قصر ابي الخصيب
دار تخيرها الملو		ك فهتكت رأي اللبيب

وله ايضاً (٥) :

كم وقفة لك بالخور		نق ما توازي المواقف
بين الغدير إلى السد		ير إلى ديارات الاساقف

وللحمّاني المذكور غير هذه الابيات ومنها قوله (٦) :

فيا اسفي على النجف المعرّى		واودية منوّرة الاقاحي
وما بسط الخورنق من رياض		مفجرة بافنية فساح
ووا اسفاً على القنّاص تغدو		خرائطها على مجرى الوشاح

---

(١) الاغاني ١٢ : ١٠٨ (٢) شعراء النصرانية ٤٩١ (٣) امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٩
(٤) معجم البلدان مادة [خورنق] (٥) كذلك (٦) معجم البلدان مادة نجف

وقد بقي هذا القصر عامراً كما ترى من اقوال الشعراء فيه بعد الفتح الاسلامي وتخطيط الكوفة زمناً وان كل من ولاة الكوفة احدث فيه شيئاً من الابنية ومنهم الضحّاك بن قيس بنى فيه مواضع وبيّضه وتفقّده (١) وقد سكنه الامراء العباسيون واصبح في القرن الرابع عشر للميلاد خراباً (٢) ولا يعرف اليوم موقعه بل هناك ظنون وحدسيات لا يتمكن الباحث من البت في احداها . فقد ارتأى لويس ماسينيون إلى ان قصر الاخيضر الواقع على بعد نيف وخمسين كيلومتراً من كربلاء من المحتمل ان يكون قصر الخورنق إلا انه لم يقطع في ذلك . والارجح ان قصر الاخيضر هو القصر الذي بناه الملك اكيدر السكوني الكندي كما سنرى (٣) .

« السدير » هو القصر الذي يعقب الخورنق في العظمة والبهاء والذكر ويأتي غالباً اسمه مقروناً بالخورنق في قصائد الشعراء وروايات المؤرخين وينسب بناء هذا القصر إلى باني الخورنق نفسه وهو النعمان بن امرئ القيس المعروف بالنعمان الاعور او السائح (٤) ولابدّ لنا من الالماع هنا إلى ان بعض المؤلفين كالعمراني قالوا انه موضع بالحيرة وقال غيرهم انه نهر وقال فريق انه قصر قريب من الخورنق كان النعمان الاكبر اتخذه لبعض ملوك العجم (٥) اما صاحب « برهان قاطع » فوحّده والخورنق اذ قال « سه‌دير » هو قصر الخورنق المشهور الذي بناه سنّمار (٦) .

ثم قال الخورنق وهو عمارة بديعة من غرائب الدهر كان فيها قصران متناهيان في البداعة ، يسمى احدهما « خورنقاً » والآخر « سديراً » وكان يحوي ثلاث غرف متداخلة بعضها ببعض كان النعمان يلتزم فيها فرائض دينه (٧) فيظهر لنا من هذا الوصف ان الخورنق والسدير كانا في محل واحد يطلق عليهما

---

(١) معجم البلدان مادة « خورنق »   (٢) لامنس : المعلمة الاسلامية مادة خورنق
(٣) مجلة لغة العرب ٢ : ٤٥   (٤) حمزة الاصفهاني ٦٨   (٥) معجم البلدان مادة سدير و ٢٧ برهان قاطع مادة سه‌دير   (٦) معجم البلدان مادة خورنق وشير : الالفاظ الفارسية المعربة ص ٨٦   (٧) جاء في بعض الروايات كان الخورنق بالقرب من الحيرة الى شرقيها وكان السدير في وسط البرية

اسم الخورنق ثم يفصل ذلك إلى الخورنق وكان محل الاكل والمآدب وإلى السدير وكان محل العبادة ولكن ليس لدينا من الادلة ما يحملنا على الوثوق بهذا القول (١) لا بل هناك بعض المرويات التي تضاد هذا الرأي وتجعل الخورنق في بقعة والسدير في غيرها .

اما معنى السدير فقد ذهب بعضهم إلى ان هذا الحرف عربي الاشتقاق كقولك ارى سدير نخل اي سواده وكثرته (٢) والاصح انه فارسي معرّب واصله بالفارسية « سه‌دير » فمعنى « سه » ثلاثة ومعنى « دير » باللغة البهلوية القبّة او البيت المعقود عليه قبة اوجنبذة فيكون مفاده البيوت الثلاثة لان كان فيه ثلاث قباب متداخلة مثل الحاري بكين . وقد وصفنا الحاري بكين نقلا عن المسعودي في البحث عن الزيارة في فصل الصناعات في الحيرة كما سيجيء . وجاء في المخصص (٥ : ١٢٦) السدير بناء وهو بالفارسية سهدلي اي ثلاث شعب او ثلاث مداخلات ، وكان الناس تسمّي هذا القصر في القرن السابع للهجرة وما قبله سدّلي (٣) .

اما اقوال الشعراء فيه فكثيرة وقد اثبتنا بعضها في هذا الكتاب في مطاوي كلامنا عن الخورنق وفي ذكر الديارات ونزيد هنا عليها شيئاً .

قال حنين بن بلوع الحيري عندما ترك الشام متوجّهاً إلى وطنه الحيرة (٤) :

ليت شعري متى تخب بي النا قـة بين السدير والصنين

وقال ابو العتاهية :

لهفي على الزمن القصير بين الخورنق والسدير

« سنداد » قصر كان على نهر سنداد وهذا النهر فيما بين الحيرة إلى الأُبلة وكانت العرب تحجّ الى ذلك القصر وهو الذي يذكره الاسود بن يعفر النهشلي (٥) :

اهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

---

[١] معجم البلدان مادة « سدير » [٢] شير : الالفاظ الفارسية المعربة ٨٦ ومجلة لغة العرب ٦ : ٢١٢ [٣] معجم البلدان مادة سدير [٤] الاغاني ٢ : ١١٩
[٥] معجم البلدان مادة سنداد

« العذيب والصنبر » ومن قصور الحيرة « العذيب » و « الصنبر » بناها امرؤ القيس بن النعمان بن امرئ القيس (١) بقرب الفرات للنزهة (٢) وقد ذهب حمزة الاصفهاني إلى ان البناء الذي عمّر الصنّبر هو سنمّار وروى قتله على يد الملك امرئ القيس خلافاً لما هو مشهور عن قتل سنمّار لبنائه الخورنق وروى البيت التالي :

ليت شعري متى تخب به الناقة نحو العذيب والصنّبر (٣)

لم يذكر ياقوت هذين القصرين بل قال في مادة عذيب هو ماء بين القادسية والمغيثة وقيل هو واد لبني تميم وهو من منازل حاج الكوفة وقيل هو حد السواد وكان بين العذيب والقادسية مسلحة الفرس وقد اكثر الشعراء من ذكرها .

« القصر الابيض » قال ياقوت هو من قصور الحيرة (٤) وفي مادة « الحيان » (٥) هو ابيض النعمان واورد قول حاتم الطائي :

وما زلت اسعى بين خص ودارة والحيان حتى خفت ان اتنصرا

فنظراً إلى رواية ياقوت ان القصر الابيض وابيض النعمان والحيان واحد . وفي رواية الاغاني (٦) ان صاحب قصر الابيض هو جابر بن شمعون اسقف الحيرة احد بني أوس بن قلام وقد اتاه الملك النعمان مع عدي بن زيد وطلب منه مالاً يستعين به على امره عند كسرى فاضافهما ثلاثة ايام واعطى النعمان ثمانين الف درهم فقال النعمان للاسقف شمعون لاجرم لاجرى لي درهم إلا على يديك ان ملكتُ . يظهر من هذه الرواية ما كان عليه اسقف الحيرة من المنزلة المالية وسعة العيش .

« قصر الفرس » قال عنه ياقوت (٧) هو احد قصور الحيرة الاربعة ولم يزد على ذلك شيئاً .

---

(١) مجاني الادب ٣ : ٣٠٨ (٢) كذلك ٧ : ٥٠٩ (٣) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص ٧٠ (٤) معجم البلدان مادة « القصر الابيض » (٥) كذلك مادة الحيان (٦) الاغاني ٢ : ٢٥ – ٢٦ (٧) معجم البلدان المادتين « قرس » و « قصر الفرس »

« قصر الزوراء أو الزوراء » دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة (١) وينسب بعضهم بناءها إلى المنذر الثالث ابن امرئ القيس الثالث (٢) وفيها يقول النابغة الذبياني :

وانت ربيع ينعش الناس سيبه　　وسيف أعيرته المنيـة قاطع

وتسقى اذا ما شئت غير مصرّد　　بزوراء في اكنافها المسك كارع

ويقول بعضهم ان ابا جعفر المنصور هدمها (٣) .

« قصر العدسين (٤) » كان بالكوفة في طرف الحيرة لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس الكلبي وسمّوا العدسيين نسبة إلى امهم عدسة بنت مالك بن عامر بن عرف الكلبي وهذا القصر هو اول شيء فتحه المسلمون لما غزوا العراق على ما قاله ابن الكلبي في جمهرته .

ومن قصور الحيرة : « قصر ابن مازن » و « قصر الطين » (٥) و « قصر بني بقيلة » (٦) ويروى ان عبد المسيح بن بقيلة لما بنى هذا القصر بالحيرة قال :

لقد بنيتُ للحدثان قصراً　　لو ان المرء تنفعه الحصون

طويل الرأس أقعس مشمخراً　　لأنواع الرياح بـه انيـن

قصر ابي الخصيب (٧) : كان بظاهر الكوفة قريب من السدير بينه وبين السدير ديارات الاساقف وهو احد المتنزهات يشرف على النجف وعلى ذلك الظهر كله يصعد من اسفله في خمسين درجة إلى سطح آخر افيح في غاية الحسن وهو عجيب الصنعة وفي هذا القصر قال الشاعر :

يا دار غيّر رسمها　　مرّ الشمال مع الجنوب

« ١ » معجم البلدان مادة « زوراء »　« ٢ » الظريفي : تاريخ ملوك الحيرة ص ٦٣
« ٣ » معجم البلدان مادة زوراء　« ٤ » كذلك مادة قصر العدسيين　« ٥ » كذلك قصر الطين
« ٦ » امالي السيد المرتضى ١ : ١٨٩　« ٧ » معجم البلدان في المواد « قصر ابي الخصيب » و« خورنق » و« دير مارفثيون » ينسب الى ابي الخصيب وهو مرزوق ابن ورقاء مولى الخليفة المنصور

بين الخورنق والسدير فبطن قصر ابي الخصيب
فالدير فالنجف الاشم جبال ارباب الصليب

« قصر مقاتل » (١) وقيل قصر ابن مقاتل كان بين عين التمر والشام ، وقال السكوني هو قرب القطقطانة وسلام ثم القريات وقال ابن طخماء الاسدي فيه :

كأن لم يكن بالقصر قصر مقاتل وزورة ظلّ ناعم وصديق

وجاء ذكره في ابيات لعبيدالله الحر الجعفي ومنها :

بارزتُ اقواماً بقصر مقاتل وضاربتُ ابطالاً ونازلت من نزل

وجاء في الاغاني (٢) ما يأتي : خرج عمرو بن امرئ القيس المكنى بابي سريح وعلقمة بن عدي بن كعب وعمرو بن هند إلى الصيد فأتوا قصر ابن مقاتل فمكثوا فيه يتصيدون وكان عدي بن زيد معهم واليه قصدوا وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل . وجاء ذكر هذا القصر في موضع آخر من الاغاني (٣) قال : كان النعمان بن المنذر في قصر ابن مقاتل وجاء الحرث بن ظالم اليه فقتله النعمان هناك .

« القصور الحمر » المع اليها ابو الفرج الاصبهاني (٤) فقال : اتى ابو زبيد إلى الوليد ابن عتبة في سنة مجدبة فاعطاه ما بين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة وجعله له حمى . انتهت رواية صاحب الاغاني ولا نعرف اذا كان هناك قصور مشيدة عرفت بهذا الاسم او انها اسماء بقاع ومراع ، وعلى كل فان ذكر القصور الحمر في الحيرة جاء في رواية الاغاني في عهد المسلمين .

وكان اللخميون ولعين ببناء القصور الفخمة والصروح العظيمة وتابعهم ابناء بلادهم في هذا المضمار ، لا بل ان بعض العلماء نسبوا اليهم اي إلى بني لخم المشتى وقصير عمرة في انحاء موأب غربي وادي سرحان ، وإن رجّح اليوم فريق منهم ان هذين القصرين من عهد الوليد بن يزيد الخليفة الاموي (٥)

---

(١) معجم البلدان مادة « قصر مقاتل » (٢) الاغاني ٢ : ٤٠ (٣) كذلك ١٠ : ٢٨
(٤) كذلك ٤ : ١٨١ (٥) شيخو : النصرانية وآدابها ٣٥٢ ومجلة المشرق ١ : ٤٨١ و ٦٨١

« دومة الحيرة » كان فيها حصن نذكره هنا (١) وإن شيد بعد عهد المناذرة بقليل على رأي بعضهم ألا وهو حصن الاكيدر الملك السكوني الكندي النصراني صاحب دومة الجندل من اعمال المدينة . فاسلم اخوه حريث فأقرّه النبي (صلعم) على ما في يده وصالح اكيدر على دومة وأمّنه وقرر عليه وعلى اهله الجزية . فانقض اكيدر الصلح بعد النبي (صلعم) فاجلاه عمر (رضي) من دومة فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام إلى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى به منازل وسماها دومة وقيل دوماء باسم حصنه بوادي القرى وعرفت بدومة الحيرة . وفي رواية ان اكيدر كان منزله اولاً بدومة الحيرة وهي كانت منازله تماحيا جماعته مدينة قديمة وسمّرها دومة الجندل تفرقة بينها وبين دومة الحيرة وكان اكيدر يتردد بين هاتين الدومتين (٢) .

وعلى كل فان الشواهد التاريخية تدل صراحةً على وجود دومة الحيرة قبل الاسلام . فقد ذكر الاصبهاني ان عدي بن زيد ذهب مع النعمان بن المنذر ليستقرضا دراهم يستعين بها النعمان على امره من ابن قردس « رجل من اهل الحيرة من دومة » (٣) وقد ذهب بعضهم ان قصر الاخيضر (٤) اليوم هو بقايا حصن الاكيدر الملك السكوني الكندي وان لفظ اخيضر ما هو إلا تصحيف اكيدر (٥) وفي الختام نلمع إلى الجوسق الخرب بالنخيلة بظاهر الكوفة الذي لجأت اليه الخوارج في محاربة معاوية بعد قتل علي « رضي » (٦) .

فنكتفي اليوم مما ذكرنا من تلك القصور والصروح المنيفة منتظرين نتائج الحفر لتطلعنا على مواقع تلك العمارات الفخمة وتكشف لنا الستار عما تصلنا اخباره من تراث الاقدمين وكل آت قريب .

« ١ » مجلة المشرق ٢٦٥ ومجلة الجمعية الملوكية الآسيوية الوسطى نيسان ١٩٣٢

« ٢ » معجم البلدان مادة [دومة الجندل]   « ٣ » الاغاني ٢ : ٣٤

« ٤ » وصف اطلال الاخيضر لصديقنا سعادة الحيد بك العمري في مجلة النجم ٢ : ٩٢

« ٥ » مجلة لغة العرب ٢ : ٤٧ مقالة نفيسة في آثار هذا القصر . وقد زار الاخيضر وكتب عنه الرحالة نيبور ولوس ماسينيون والمس جرترود بل وفيوله ودولافوا

« ٦ » معجم البلدان مادة الجوسق الخرب

اديان اهل الحيرة

كان اختلاف اديان الحيريين كاختلاف اجناسهم . فكان بعضهم من يدين بدين جاهلية العرب . وكان لجذيمة الابرش ملكها التنوخي (٢٠٨ — ٢٦٨ م) صنمان يقال لهما الضيزنان مكانهما معروف بالحيرة يومئذ وكان جذيمة قد تنبأ وتكهن وكان يستسقي بهما ويستنصر بهما على العدو . فبعث إياد قوماً فاسقوا سدنة الصنمين الخمر وسرقوا الصنمين فاصبحا في إياد فبعث إلى جذيمة : ان صنميك اصبحا فينا زهداً فيك ورغبة فينا فان اوثقت لنا ان لا تغزونا رددناهما اليك . فقبل الشرط ودفعوا اليه الصنمين (١) وكان هذان الصنمان حتى ايام المنذر الاكبر اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة (٢) .

وعلى ذكر الكهانة نقول : اشتهر عند العرب جماعة كبيرة من الكهان والكواهن ومنهم سطيح الذي يصفه العرب وصفاً اقرب إلى الخرافة منه إلى الحقيقة فيقولون كان لحماً يطوى كما يطوى الثوب لا عظم فيه غير الجمجمة ووجهه في صدره ويزعمون انه عاش بضعة قرون (٣) ومما يذكره المؤرخون العرب عن سطيح ان كسرى ارسل إلى النعمان بن المنذر يطلب منه ان يرسل اليه رجلاً من علمائهم من الحيرة ليفسر له بعض ظواهر ويؤول رؤية رآها الموبذان في ليلة ولادة النبي محمد (صلعم) فارسل اليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني فلما وقف على رغبة كسرى بيّن له انه لا يتمكن من تحقيق هذه الرغبة بل طلب اليه ان يجهزه إلى خاله في الشام يقال له سطيح عالم بهذه الامور ففعل كسرى ويروي الرواة ما قاله سطيح في تأويل تلك الامور بلغة الكهان (٤) التي فيها شيء كثير من الايهام والابهام والكهانة معروفة عند الكلدان وغيرهم من الشعوب القديمة

---

(١) الطبري ٢ : ٢٩ ـ ٣٠ (٢) المخصص ١٣ : ١٠٤

(٣) زيدان الآداب العربية ١ : ١٨٨ (٤) العقد الفريد ١ : ١٨٧

وكان في الحيرة صنم اسمه سبد وكانوا يحلفون به ويقولون « حق سبد » (١) كما انهم كانوا يعبدون العزّى وهي الزهرة وقد جاء ان المنذر صاحب الحيرة ضحّى للعزّى ابن عدوه الحارث ملك غسّان وكان اسيراً لديه (٢) وضحى في حملته على انطاكية ٤٠٠ راهبة (٣) وعرفت الحيرة عبادة القمر (٤) تلك العبادة التي اخذها العرب من الصابئة (٥) كما ان المانوية تفشّت بين ظهراني القوم (٦) وبعد ان ظهرت المزدكية في فارس في ايام قباذ الساساني سنة ٥٢٩ م وشايعها الناس من كل طبقة دان بها جماعة من العرب ومنهم الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي . فآنس قباذ منه لعمله هذا وامتعض من ملك الحيرة المنذر الثالث بن امرئ القيس لرفضه المزدكية فطرده من العرش واحلّ محله الحارث بن عمرو الكندي (٧) المزدكي المذهب فدخلت المزدكية الحيرة . وقال صاعد الاندلسي : كانت الزندقة في قريش اخذوها عن اهل الحيرة (٨) وقد سبق لنا وبيّنا ان اليهود كانوا في الحيرة ونزيد لاثبات ذلك الرواية الآتية :

يروى ان قرية كانت بين طيسفون والحيرة يسكنها اليهود تسمى ميتامحزية (Meta Mahsia) مرّ بها تلميذ مسيحي فقبض عليه يهودي فوثقه وجعله يدير طاحونة . وحدث ان الملك ارسل احد النصارى بمهمة إلى تلك القرية وسمحت العناية الالهية ان يسكن رسول الملك في الدار التي فيها التلميذ فقص عليه ما حدث له . فسجن رسول الملك صاحب الدار ولم يفرج عنه حتى اطلعه على مدافن خفيا ورفقائه . ويروى ان البطريرك مارامه (٦٤٧ — ٦٥٠) استراح في هذه القرية في طريقه من طيسفون إلى الحيرة فاحتفى به اهلوها لخوفهم منه (٩) .

اما النصرانية فكانت الدين السائد في الحيرة ودان بها معظم اهاليها وهي دين كثير من ملوكها وامرائها واميراتها ووزرائها وهذا يحمل بنا ان نتبسّط في

---

(١) الاغاني ٢ : ٤٠ (٢) الأب شيخو : النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ١٠
(٣) سايكس : تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٨٢ (٤) مجلة المشرق كارديان بتاريخ ٧-٢-٣١
(٥) مجاني الادب ٣ : ٣١٧ (٦) مجلة مشرق كارديان (٧) ابن الاثير ١ : ١٧٥
(٨) طبقات الامم ٦٧ (٩) F. Nau : Les Arabes Chrétiens de Mesopotamie et de Syrie du VII siécle-au VIIIé Siecle.

تاريخها في هذا البلد .

من تقاليد الكنيسة الكلدانية الشرقية ان مار ادي ومار ماري من تلاميذ المسيح السبعين بشرا في هذه الاصقاع (١) وقد ذكر احد كتبة العرب نقلاً عن العباديين نصارى الحيرة ما يؤيد هذا التقليد قال ابن رستة (٢) « والعباد تذكر ان اول البطاركة السريانيين الذين نزلوا كرسي المشرق على قديم الايام بعد صعود المسيح إلى السماء بنحو ثلاثين سنة . فبعث توما احد الاثنى عشر ادي السليح وهو ادي بر ماري (كذا) من السبعين هو نصّر اهل المدائن ودير قني وكسكر وغيرها من السواد وبنى بيتين احداهما بالمدائن دار مملكة فارس يومئذ وجعلها كرسياً لمن يأتي بعده من البطاركة والاخرى بديرقني » .

انتشرت النصرانية في العراق في القرن الاول والثاني من حياتها ودخلت بعدئذ بين عرب الجزيرة والبحرين ودخلت الحيرة . ومما لاينكر انها تغلبت على حاضرة المناذرة هذه في القرن الرابع للميلاد (٣) ويظهر من تاريخ ملوك الحيرة ودياناتهم ان بعضهم تنصروا في مطاوي حياتهم ولكن خلفاءهم على العرش لم يبقوا عليها بل رجعوا الى عبادة الجاهلية والاوثان او الزندقة ولهذا نرى اضطراباً في روايات المؤرخين عن تنصّر هؤلاء الملوك كما نرى مثل هذا الاضطراب في وقائع كثيرة من تاريخهم فتسند تارة الى احدهم وتارة الى غيره وقد يكون بين حياة الاثنين نحو القرن او اكثر .

ذكر الطبري ان امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدي (٢٨٨—٣٢٨ م) اول من تنصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس (٤) ووالاه في قوله ابن خلدون (٥) ونسمع بعد ذلك ابن خلدون نفسه يقول : ان النعمان بن شقيقة (وهو النعمان الاعور او السائح) ٤٠٣ — ٤٣١م اول من تنصّر (٦)

---

(١) شير : تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢ (٢) الاعلاق النفيسة ١١٥ (٣) شيخو : النصرانية وآدابها ٤٥٢ — ٤٥٣ (٤) الطبري ٢ : ٦٥ (٥) العبر ٢ : ٢٦٣
(٦) العبر ٢ : ٢٧١

وبين زمان الاثنين نحو قرن . وقد نسب بعض الرواة تنصّر النعمان بن شقيقة الى توسّط عدي بن زيد الشاعر النصراني .

فيروى ان النعمان خرج يوماً للصيد ومعه عدي بن زيد فنزل في ظل شجرة مؤنقة فقال عدي : ايها الملك ابيت اللعن أتدري ما تقول هذه الشجرة . قال وما الذي تقول . قال فانها تقول :

من رآنا فليُحدّث نفسه	انه موفٍ على قرن زوال
فصروف الدهر لا تبقى لها	ولما تأتي به صُمّ الجبال
رُبّ ركبٍ قد أناخوا حولنا	يشربون الخمرَ بالماء الزُلالْ
والاباريق عليها فُدُمٌ	وجياد الخيل تجري في الجِلالْ
عمروا الدهر لعيشٍ حسنٍ	قطعوا دهرهم غير عُجالْ
عصف الدهر بهم فانقرضوا	وكذلك الدهر حالاً بعد حال

ثم جاوزوا الشجرة فمروا بمقبرة فقال له عدي : أتدري ما تقول هذه المقبرة قال لا . قال فانها تقول :

ايها الركب المخبو	نَ على الارض المجدونا
كما انتم كذا كُنّا	كما نحن تكونونا

فاتعظ النعمان وترك عبادة الاوثان وتنصّر (١) ولكن لا تصبر هذه الرواية على نار التمحيص لاختلاف زمان هذا الملك وزمان شاعرنا وبينهما عهد طويل . وظنّ بعضهم ان عدي بن زيد نصّر النعمان بن الاسود الذي يجعل بعض المؤرخين عهد ملكه من سنة ٤٩٨ الى سنة ٥٣٠ (٢) وجاء في الرواية المنقولة في الاغاني عن الزيادي الكلبي ان النعمان الاعور ساح ولبس المسوح وتنصّر وترهّب وخرج سائحاً على وجهه فتنصّر ولده بعده وبنوا البيع والصوامع (٣)

وجاء بعد ذلك خبر تنصّر المنذر بن امرىء القيس المعروف بابن ماء السماء

---

(١) شعراء النصرانية ٤٤١ – ٤٤٢ (٢) الاغاني ٢ : ٣٣ اختلف الرواة في اسناد هذه الاخبار فمنهم من نسبها الى النعمان الاكبر بن المنذر ومنهم من نسبها الى النعمان بن المنذر ابي قابوس راجع شعراء النصرانية حاشية ٢ ص ٤٤١ (٣) الاغاني ٢ : ٣٣

٥١٤ — ٥٦٣ م وانه بنى في الحيرة الكنائس العظيمة (١) وهو صاحب الغريين الاذين اقامهما على قبري نديميه اللذين قتلهما واتخذ له يومين في السنة يوم بؤس ويوم نعيم وكان يقتل اول من يطلع عليه في يوم بؤسه . ولما كان في بعض السنين يوم بؤسه مرّ به رجل من طي يقال له حنظلة بن ابي عفراء فاراد قتله فاستمهله حنظلة سنة وكفله في ذلك شريك بن عمرو . فبعد انقضاء الحول رجع حنظلة عند المساء . فسأله المنذر : مالذي رجع بك وقد افلتّ من القتل ؟ قال : الوفاء . فسأله المنذر : وما دعاك الى الوفاء . قال : ان لدي ديناً يمنعني من الغدر . قال وما دينك ؟ فاجابه النصرانية . فلما سمع ذلك المنذر تنصّر وتنصّر معه اهل الحيرة اجمعون (٢)

ويدّعي ابن العبري (٣) ان المنذر كان يعتقد اعتقاد اليعاقبة . ولكن هناك بعض الشهادات التاريخية التي تنقض هذه الرواية وتظهر ان هذا الملك كان يعتقد اعتقاد الكاثوليك انفسهم وانه تعمد على يد اساقفة من انصار المجمع الخلقيدوني (٤) وهناك شاهد على اعتقاد المنذر الثالث ابن ماء السماء بوجود طبيعتين في المسيح على رأي الكنيسة الكاثوليكية وهو مارواه المؤرخ اليوناني تاوفانوس قال : ان ساويرس البطريرك السرياني اراد ان يجتذب الى بدعته ملك الحيرة فارسل اليه اسقفين ليقنعاه بان في المسيح طبيعة واحدة وليس طبيعتين كما تعلم الكنيسة الارثوذكسية . فسمع الملك كلامهما ساكتاً ثم فضّ كتاباً كان في يده فبدأت عند قرأته الكآبة على وجهه . فسأله الاسقفان ما الامر فقال : قد أبلغني كاتب هذه الرسالة ان رئيس الملائكة قد توفي فهذا الخبر قد امضني جداً . فضحك الاسقفان وقالا للملك : كيف يمكن ان يموت ملاك لاجسد له فهذا كذب محض . فاردف الملك وقال لهما : وكيف انتما تزعمان ان المسيح هو ذو

(١) تقويم البلدان ٢٩٩ ٢ معجم البلدان مادة « غريان » والاغاني ١٩ : ٨٧ وقد نسب الميداني هذا الخبر الى النعمان الرابع ابي قابوس وقد اسنده الاصفهاني ص ٧٣ الى ابي قابوس ايضاً ورواه الشريشي عن النعمان الاكبر ويقال ان النعمان ابا قابوس كان قد تنصر على يد عدي بن زيد قبل ان يملك راجع شعراء النصرانية حاشية ١ ص ٦٠٠ . (٣) ابن العبري تاريخ الدول ٤٨ (٤) شيخو : النصرانية وآدابها ٩٠ و ٩٠ و ١٤٧ و ١٤٨ و المؤرخ اللاتيني Victor Tununensis

طبيعة الآهية مفردة قد مات أليس هذا اعظم كذباً وضلالاً ؟ ثم رد الاسقفين خائبين (١)

وكان عمرو الثالث بن المنذر الثالث نصرانياً نصّرته امه هند الكبرى مما يستدل من الكتابة التي وضعتها في ديرها كما سيجيء ذكره في البحث عن الديارات . ويظهر ان خلفاء عمرو بن هند الكبرى رجعوا الى الوثنية فان النعمان ابا قابوس بن المنذر الرابع (٥٨٤—٦١٣) كان يعبد العزّى غير ان النصرانية كانت في داره اذ ان اختيه هند وماريا دانتا بها . وبهمة شمعون اسقف الحيرة حملتاه على نبذ الوثنية والتنصّر ويروي احد المؤرخين النصارى ان تنصره كان لحلم رآه (٢)

ويستنتج من كلام المؤرّخين ان كلا من النساطرة واليعاقبة اراد ان يجلب النعمان الى مذهبه · فان اخا النعمان كان يعقوبياً واما اختاه هند وماريا فكانتا نسطوريتين فاضطرب النساطرة واستدعوا الى مساعدتهم سبريشوع اسقف لاشوم وايشوعزخا رئيس الدير وكان الفوز للنساطرة واعتمد النعمان في السنة الرابعة للملك كسرى ابرويز سنة ٥٩٤ وتنصّر معه كل اهل الحيرة . وبنى في حاضرة مملكته الكنائس العظيمة واعتمد بعد سنة ابناه الحسن والمنذر . ونصّرا اهل بيتهما . وامر الحسن عبيده الا يمنعوا المساكين من التقرّب منه عند دخوله البيعة (٣) وبعد زمن تنصّر النعمان والتجأ اليه البطريرك يشوعياب الارزني سنة ٥٩٥ هارباً من غضب كسرى ابرويز فات في قرية بيت قوشي بالقرب من الحيرة فلما اتّصل خبر وفاته باهل الحيرة خرجت هند اخت النعمان مع الكهنة والشمامسة والشعب وادخلوا جسده الى الحيرة بطواف عظيم ودفنته هند في وسط مذبح ديرها المعروف بدير هند الصغرى (٤)

---

(١) راجع تاريخ تاوفتوف في سنة ٥٠٥ وتاريخ ايفاغريوس ك ٣ ف ٣٣ وتاريخ تاودورس القاري ك ٣ وتاريخ ذوبادوس ك ١٤ ص ١٦٠ والنصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٩٠

(٢) شيرة كلدو وآثور ٢٠٩:٢ (٣) شير ، كلدو وآثور ٢١٠:٢ ، ٢١١ وقصة بابالاها ٣٢٤ وكتاب المجدل لماري بن سليمان ٥٦ وكتاب العفة العدد ١٧ (٤) شير ٢ : ٢٠٧ ولابور : تاريخ النصرانية في بلاد فارس ٢٠٦ : ٢١٢

ليس هذا البطريرك الوحيد الذي دفن فيها بل دفن غير واحد منهم وهم: البطريرك داديشوع (٤٥٦) على ما رواه عمرو بن متى (١) وخالفه في ذلك نصري (٢) اذ قال انه دفن في دير قني في المدائن .

وقد روى شير (٣) ان عندما اشتدت المصاعب على هذا البطريرك اضطر ان يعتزل الرئاسة وينفرد في الحيرة (٤)

ودفن فيها البطريرك اقاق (٤٩٦م) (٥) والبطريرك بابوي الذي صلبه هورمزد الثالث فيروز اخذه قوم من الحيريين ودفنوه في مدينتهم سنة ٤٨١م (٦) وقيل انه دفن اولا في دير ساليق وان قيورا تلميذه حمل جثمانه فيما بعد الى الحيرة ودفنه هناك وبنى على قبره ديراً ونذكر استطراداً في هذا الموقف ان تنصيبه بطريركا احتفل به في هذه المدينة في رواية (٧) ودفن كذلك في الحيرة البطريرك حزقيال (٥٨١) (٨) ودفن البطريرك جرجس (٦٨١) في الحيرة . ويروى عن هـذا البطريرك انه اختلف مع جرجس مطران نصيبين وتوسّط احد الاساتذة من مدرسة الحيرة ليصلح بينهما . ويروى ان الامير العربي طلب من البطريرك جرجس هذا ان يشاركه بالذهب الذي شاع عنه انه يجمعه من الاهلين ولما رفض البطريرك اغتاظ الامير وخرب كنائس كثيرة في العاقولة والحيرة (٩)

وتوفي في الحيرة الجاثاليق ابراهيم سنة ٨٥٣ ميلادية ودفن في دير ميزدقنة (١٠)

---

(١) كتاب المجدل ص ٢٩ (٢) ذخيرة الاذهان ١ : ١٢٠ . ومما تلفت اليه الانظار ان عمرو بن متى يجعل وفاة هذا البطريرك سنة ٧٧٦ يونانية ٤٦٥ ميلادية . والاصح على رأي المدققين سنة ٤٥٦ م كما ذكرناه (٣) تاريخ كلدو وآثور ٢ : ١١٩ (٤) قال شير قد ورد اسم هذه المدينة في اعمال مجمع داديشوع بالارمية وبمعنى مركبتا العرب فهذا المحل مجهول ولم يذكر الا هنا وهو غلط من الناسخ عوض كلتي ارميتي بمعنى مدينة العرب فيكون داديشوع قد هرب الى الحيرة التي كانت نوعا ما مستقلة اما الاب شابو فقد ذهب الى غير ذلك واتى اسم هذا المحل في النبذ التاريخية التي طبعها كويدي وفي كتاب التقدوذ وكان بالقرب من المدائن . وعمر بكتبها دير القبوت (٥) عمرو بن متى : كتاب المجهول ص ٣٥
(٦) لابور حاشية ٣ ص ١٦٩
(٧) شير كلدو وآثور ٢ : ١٧٩ و ١٩١ وماري ٥٢ وعمرو ٤١ (٨) عمرو بن متى ٤٤
(٩) نو : العرب النصارى الخ ص ٤٢ (١٠) نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ٣٩٢

كان معظم نصارى الحيرة نساطرة واجتهد اليعاقبة مراراً ان يقشروا مذهبهم فلم يتمكنوا من ذلك. ومنها حملتهم في عهد المنذر الثالث وشيلا البطريرك. وبذلوا جهودهم ايضاً في عهد ابنه النعمان ابي قابوس وكان من اشد دعاتها تحمساً شمعون الارشامي فانه ذهب الى الحيرة باثاً مذهب فرقته بين ظهراني القوم فنجح في مهمته واقنع علية القوم وبنى الكنائس. وكان داعية شمعون الارشامي ونصيره الحجاج بن قيس الحيري احد اصحاب ملك الحيرة ؛ فسعى النساطرة باليعاقبة انهم متحزبون للروم فاضطهدهم ملك الفرس ولذلك انتقل شمعون الى القسطنطينية واخذ وصية من ملك الروم ورجع الى بلاد فارس واخذ يبث تعاليمه بهمة لا مزيد عليها الا ان النساطرة استظهروا اخيراً على اليعاقبة (١) ومع هذا فقد كان لليعاقبة اسقفيتان عربيتان : الاولى اسقفية عقولا او الكوفة والثانية اسقفية التغالبة في السن وكان كرسيها في الحيرة حيث كان مقام ملوك العرب المناذرة(٢)

وننقل هنا كلام المستشرق نو (٣) فيما له علاقة بهذا الموضوع قال :

فمنذ سنة ٥٦٨ كان لاصحاب المشيئة الواحدة ديور ومؤمنون في بلاد ملوك الحيرة العرب كما تؤيده قطعة باقية من رسالة سويروس الانطاكي التي كتبت بعد سنة ٥١٩ الى الكهنة ورؤساء الديور يوناثان وصموئيل ويوحنا الذين يجلسون على اعمدة والى سائر الارثذوكس المجتمعين في كنيسة مدينة الانبار (فيروز شابور) وفي كنيسة الحيرة «حيرة النعمان»

كانت الحيرة اسقفية تابعة لكرسي جاثاليق المدائن وقد جاء ذكر بعض اساقفتها في مجامع الكنيسة الكلدانية واليك اسماءهم : هوشاع سنة ٤١٠ شمعون ٤٢٤ شمعون ٤٨٦ ايليا ٤٩٧ يوساي ٥٢٤ افرام كان معاصراً لهند الكبرى امرأة المنذر نحو سنة ٥٤٠ يوسف ٥٨٥ شمعون بن جابر ٥٩٤ يوئيل ٧٩٠ (٤) وقد عثرنا في اثناء بحثنا على اسماء بعض اساقفة الحيرة ولم يكن لنا متسع لتحقيق

---

(١) دوفال الاداب السريانية ١٤٨ و ١٥١ و ١٦٢ : ١٦٣ ولا بور : النصرانية في بلاد فارس ١٥٣

(٢) نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ١٦١

(٣) F. Nau : Les , Arabes Chretiens etc

(٤) شابو : السنهدوسات ٦٧٣

زمانهم،منهم يوحنا الازرق (١) وسبريشوع (٢) وخوداوي(٣) ويشوعداد(٤).

وكان في الحيرة بيَع جميلة حسنة البنيان مزخرفة بالنقوش والفسيفساء . قال ياقوت الحموي : ان اهل المنذر كانوا يجعلون في حيطان دياراتهم الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور (٥) لم يصلنا من اسماء هذه الكنائس الا القليل ومنها بيعة توما التي ذكرها صاحب الاغاني (٦)وكنيسة الباعونة (والارجح الباعوثة) التي خصها بالذكر الهمذاني في كتابه صفة جزيرة العرب (٧) وبيعة دير اللج وقد قال عنها البكري « كان النعمان يركب في كل عيد ومعه اهل بيته . عليهم حلل الديباج المذهب وعلى رؤوسهم اكاليل الذهب وفي اوساطهم الزنانير المفضضة وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان فاذا قضوا صلواتهم انصرفوا الى مستشرفة في النجف (٨) وكنيسة دير هند الكبرى ودير هند الصغرى وغيرها من كنائس الديارات .

قبل ان نأتي على ذكر ديارات الحيرة ووصفها جدير بنا ان نختم كلامنا في النصرانية في تلك المدينة ببعض افادات اقتطفناها من مصادر مختلفة تتعلق بموضوعنا ولا يخلو ايرادها هنا من اهمية ، ومن ذلك :

كان نصارى الشرق يصومون ثلاثة ايام ابتداء من يوم الاثنين الذي يعقب الدنح وقد روى ياقوت الحموي (٩) في سببه ان عذارى كنّ في ديرهنّ فاراد الملك العبث بهنّ فصلّين الى الله يستكفين شرّه فقبضت روحه تلك الليلة وصام نصارى الشرق صوم العذارى ذكراً لهذه الحادثة . ومن مرويات المشارقة ان هؤلاء العذارى كنّ من نساء الحيرة(١٠)وسرد هذه الرواية عبديشوع جاثليق المشارقة في مخطوطة كتبها بيده عام١٥٦٧م محفوظة في الخزانة المرقسية للسريان اليعاقبة بالقدس رقم١٥٩ في مطاوي كلامه عن طقس الباعوث ما ترجمته:

---

(١) كتاب العفة : العدد ٨٣ (٢) شير كلدو وآشور ٢ : ٢٦٦ (٣) كتاب العفة العدد ١٢٥ (٤) السمعاني : المكتبة الشرقية ٣ : ٢ ردوفال ٣٤ (٥) معجم البلدان مادة دير نجران (٦) ٢ : ٣٠

(٧) شيخو : النصرانية وآدابها ٣٤٦ (٨) معجم ما استعجم ٣٦٦ (٩) معجم البلدان مادة دير العذاري (١٠) نصري : ذخيرة الاذهان ١:٢٧٦

طقس باعوث العذارى الذي وضعه مار يوحنا الازرق اسقف الحيرة حينما طلب احد الملوك من المسيحيين بنات عذارى فاجتمع اهل الحيرة في الكنيسة مع الاسقف المذكور وبعد ثلاثة ايام نجاهم الله ومات ذلك الملك وقد قبل الرب دعاءهم كأهل نينوى وامر الاباء من ذلك العهد ان يصنع الباعوث (١) لاجل التذكار والمساعدة .

وجاء في كتاب الحوذرا المخطوط في كنيسة الكلدان ببغداد (٢) ما خلاصة تعريبه :

ان الاثنين الذي يلي عيد الدنح تقام باعوثة البتولات وتعرف بباعوثة العذارى وقد رتبها مار يوحنا الازرق اسقف الحيرة فان المسيحيين لما طولبوا من الامير عبد الملك ابن الوليد (٣) ببنات عذارى اجتمعوا مع اسقفهم المذكور واقاموا باعوثة فانقذهم الرب بعد ثلاثة ايام بموت الأمير المذكور وفرض مار يوحنا الازرق اقامة الباعوثة سنة فسنة في ابرشيته كلها وكان ذلك في اواخر الجيل السابع في عهد الجاثاليق حنا نيشوع المعروف بالاعرج .

واورد هذا الخبر ابن العبري في كتابه الكنيسة الشرقية في سياق كلامه عن بريشوع بن ابراهيم المفريان سنة ٦٨٦ وزاد قائلاً على الرواية المتقدمة وفي اليوم الثالث (من الصوم) بينما كان يوحنا الازرق يقرأ الانجيل اوحي اليه موت الملك وبعد التأكد من صحة النبأ اخبر الشعب (٤)

وروى البيروني في اصل هذا الصوم ان العذارى النصرانيات صمن هذا الصوم شكراً لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنصروا

(١) الباعوث كلمة ارمية بمعنى الطلبة والدعاء

(٢) الحوذرا كتاب الفرض الكنسي الكلداني . المخطوطة المذكورة كتبت سنة ١٩٧٠ يونانية (١٦٥٩ ميلادية) لكنيسة مكسمة الكلدانية الواقعة في محلة الميدان والتي هي اليوم بتصرف الارمن القديم ، وقد نقل هذا الكتاب مع غيره من الكتب والادوات الكنسية الى كنيسة الكلدان الحالية وفي آخره فذلكة عن ضبط الارمن هذه الكنيسة والمشاجرات التي حدثت بين الطائفتين عن هذا الموضوع . (راجع مجلة النجم ١ ٧٩ في مقال للاب يوسف كادو) نقلت هاتان الروايتان من مجلة الحكمة الصادرة بالقدس السنة الرابعة عام ١٩٣٠ ص ٦٣

(٣) لا صحة لما نسب للامير عبد الملك بن الوليد وهو غلط

عليهم (١) وجاء الجاثليق آبا الثاني سنة (٧٤٢ — ٧٥٢) رحل الى الكوفة والحيرة لافتقاد بني طائفته (٢) .

وروي ان العرب والفرس كان يقصدون الحيرة بدافع ديني ويتفقون فيها بالمبادىء النصرانية وقد جاء ان رجلا نجرانياً اسمه حنان قصد الحيرة والف النصارى واعتمد ولما عاد الى نجران وطنه عرّف اهله وبني وطنه بدين النصارى فتنصّروا (٣) .

ونصر شمعون بن جابر اسقف الحيرة (٥٩٤ م) مهران جوشنامب ابن موظف فارسي كبير وسماه جرجس ورسمه كاهناً ودرس جرجس بعد ذلك في مدرسة نصيبين الشهيرة ورافق الاسقف المذكور الى القسطنطينية لما ذهب اليها وقد مر بطريقه بنصيبين (٤)

وقد استعمل النصارى الناقوس في الحيرة في كنائسهم واثباتاً لذلك نورد هنا الرواية الاتية التى نقلناها من كتاب الدرة المثمنة الروحانية في اصول الدين النصرانية لعبد يشوع مطران نصيبين (٥)

حدث محمد بن موسى السكري عن احمد بن عبد الرحمن . قال حدّثني ابي عن ابن الكواء قال كنت مع امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وكان في نفر من اصحابه بظاهر الحيرة اذ سمعنا صوت الناقوس يضرب فجعلت العسه فقال مه يا ابن الكواء لانك لا تدري ما يقول الناقوس . فقلت يا امير المؤمنين الناقوس يتكلم فقال والذي فلق الحبة وبر النسمة ما من ضربة تقع على ضربة ولا نقرة على نقرة الا وهي تحكي مثلا وتودي علما . قلت فما يقول الناقوس قال : يقول سبحان الله حقاً حقاً . ان المولى فرد يبقى يحكم فينا رفقاً رفقاً . لولا حكمه كنا نشقى انا بعنا داراً تبقى واستوطنا داراً تفنى ما من حي فيها يبقى الا

(١) الاثار الباقية ٣١٤ (٢) نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ٣٣٦ (٣) كذلك ١٤٦
(٤) لابور : النصرانية في مملكة فارس ٢٢٥ (٥ لا يزال هذا الكتاب مخطوطا وقد وصفته في مجلة المشرق اليسوعية في بيروت في سنتها السابقة (١٩٠٤) ص ٩٩٨ وما بعدها ونشرت منه فصلا هناك وجاء اسم هذا الكتاب : فرائد الفوائد في اصول الدين والعقائد

ادنى منه دونا . ان الدنيا قد غرتنا واستغوتنا واستهوتنا ما من يوم يمضي عنا الا يهدم منا ركناً تفنى الدنيا قرنا قرنا ثقلا ثقلا . دفناً دفناً . يا ابن الدنيامهلا فازدد خيراً تزدد حباً يا مولانا قد اسرفنا قد افرطنا وتوانينا حكمك عنا قد احزأنا فتداركنا واعف عنا)

وقد سألنا صديقنا العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني عن حقيقة هذا الكلام المنسوب الى الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في الناقوس فاجابنا : قد جاء في كتاب دستور معالم الحكم المطبوع بمصر سنة ١٣٣٢ تأليف الامام القاضي ابن عبد الله محمد بن سلامة القضاعي المتوفي سنة ٤٥٤ هجرية وفي ص ١٣٣ مالفظه :

مرَّ علي (ع) ومعه الحارث الاعور فاذا ديراني يضرب بالناقوس فقال علي (ع) ياحرث أتعلم مايقول هذا الناقوس قال الله ورسوله وابن عم رسوله اعلم . قال إنه يصف مثل خراب الدنيا يقول :

مهلاً مهلاً يابن الدنيا	مهلاً مهلاً إن الدنيا
قد غرتنا واستهوتنا	لسنا ندري مافرطنا
فيها الا أن قد متنا	مامن يوم يمضي عنا

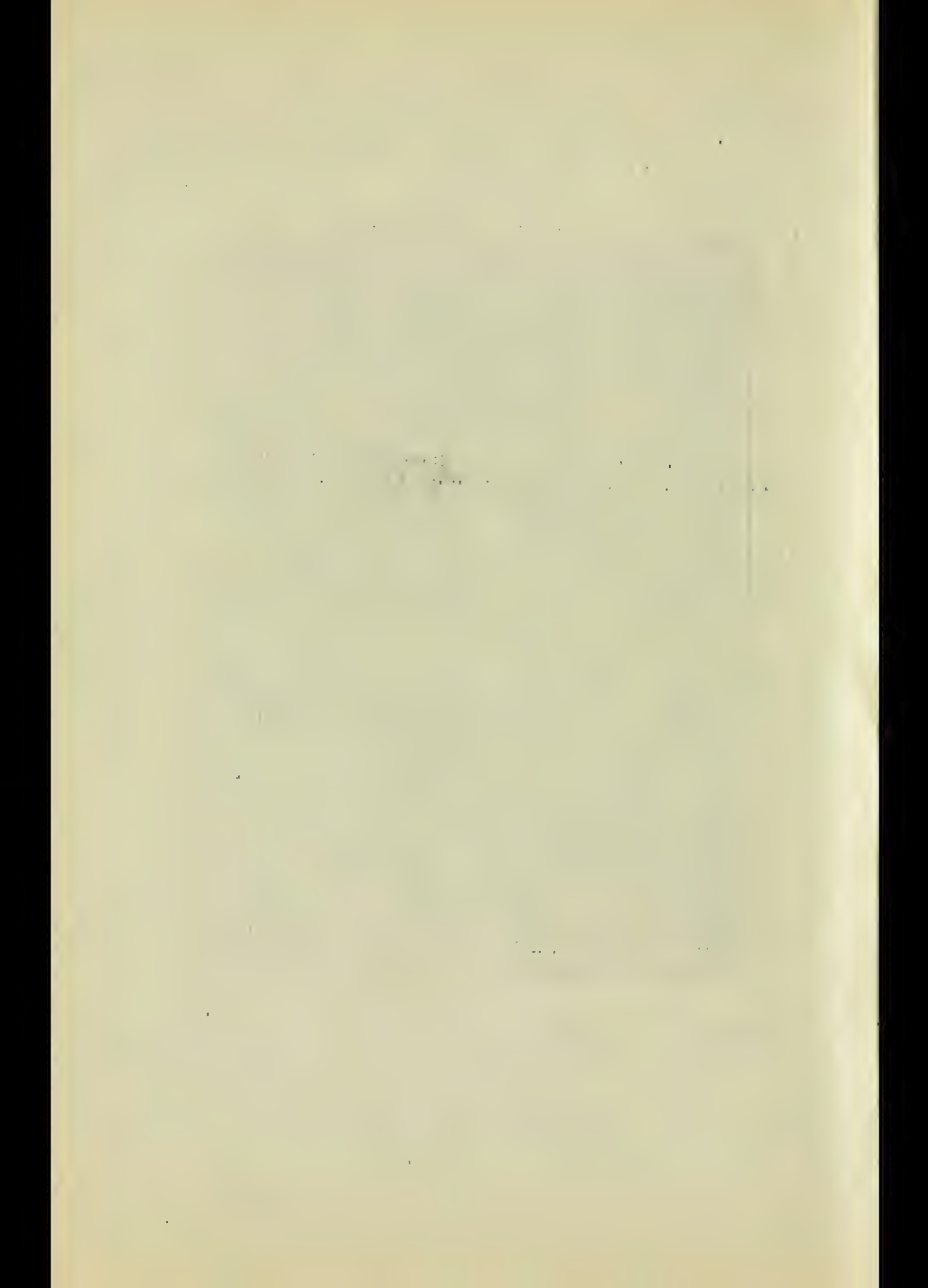
الا هدتُ منا ركناً

زنٍ ماتأتي زنٍ ماتأتي	زنٍ ماتأتي زنٍ ماتأتي
وزناً وزناً وزناً	تفنى الدنيا قرناً قرناً
يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً	يا ابن الدنيا مُرطاً مُرطاً
ما من يوم يمضي عنا	الا اتقن (١) منا ظهراً
ان المولى قد خبرنا	انا نحشر غُرلا بُهماً
قد ضيعنا داراً تبقى	واستوطنا داراً تفنى

فقال الحارث لعلي «ع» أو تعلم النصارى ذلك قال لا يعلم ذلك إلا نبي او صدّيق او وصي لنبي فان علمي من علم النبي « صلعم » . وعلم النبي «صلعم» من علم جبريل . وعلم جبريل من علم الله تبارك وتعالى .

---

(١) او هي منا ركنا



الرسم (٣)　　　　　　　　　　　　　　　　　　مقابل ص ٤١



صلبان ظلوم وجدت في اطلال الكنيسة « لتل المرقم ١١ » في الحيرة

ديارات الحيرة

مما يدلنا على انتشار النصرانية انتشاراً واسع النطاق في الحيرة والكوفة ونواحيها قبل الفتح الاسلامي كثرة الديارات المبثوثة في هذا الصقع . وقد جاء عن تأسيس اول دير في الحيرة اسطورة نوردها هنا قال نو (١) :

من المحتمل ان اول دير بُني في الحيرة كان في عهد النعمان الاول وقبل سنة ٤١٠ (٢) بناه عبد يشوع وهناك اسطورة عن بناء هذا الدير اثرت في العرب وتداولتها السنتهم . ولقب رؤساء هذا الدير بعد ذلك بلقب اسقف .

كان منشأ عبد يشوع من ميسان . ودرس في دير قنّي (٣) . وبينما كان يدرس في هذا الدير ذهب الى دجلة ليأخذ ماء . فلاقى هناك نسوة استحلفنه ان يلي جرارهن . ولما تأخر عن الرجوع قصَّ على رئيسه ما جرى له فامره ان يدخل اتوناً . فرسم عبد يشوع على جسمه وعلى النار علامة الصليب ودخلها على مشهد من جميع الأخوان . فخمدت النار حالاً ولم تمس شيئاً من ثيابه .

ولكي يهرب من الاحترام الذي استوجبته له هذه المعجزة انسلَّ ليلا من مقره واسس ديرين واهدى كثيرين الى النصرانية . وكان يترك كل محل يشتهر فيه وينتقل الى غيره .

رسمه البطريرك النسطوري تومرصا (٣٨٣ — ٣٩٩) اسقفاً . ولكنه سافر ليلاً الى جزيرة يمامة في البحرين (في شرقي جزيرة العرب) وقضى هناك حياة عزلة وعمَّد سكانها وبنى فيها ديراً .

طرد يوماً شيطاناً وامره ان يحمل حجراً الى بادية بني اسمعيل . فانجز الشيطان هذا الأمر ورجع الى القديس قائلاً : قد حملت الحجر الى الموضع الذي

---

(١) F. Nau : Les Arabes Chretiens de Mesopotamie et de Syrie du VII siecle au VIII siecle (٢) هذ النعمان الاول المعروف بالسائح والاعور وابن الشقيقة جعل برسفال ونو سني ملكه ٣٩٠ ـ ٤١٨ وجعلناه في تاريخنا ٤٠٣ ـ ٤٣٢ (٣) دير قني ويعرف بدير ماري السليح وكان على بعد ستة عشر فرسخاً من بغداد منحدراً وهو في الجانب الشرقي وبينه وبين دجلة ميل

عيّنتــه لي . ووضعته على بعد ثلاثة اميال من مدينة الحيرة الواقعة في مدخل البادية . فرأى القديس في الليلة التالية حلماً وامر ان يذهب الى الحيرة ويبني ديراً في موضع الحجر فطاع الأمر وبنى الدير .

يذكر يشوعدناح مطران البصرة ان ابراهيم الكشكري امير الرهبان ذهب الى الحيرة وبشّر الوثنيين وكان هذا في اوائل القرن السادس (١) وعمّر داديشوع الماحوزي البدروني ديراً في ضواحي الحيرة (٢) وانشأت الطوباوية دندا ديراً للنساء في الحيرة (٣) واسست الطوباوية ادواماناج ديراً مثله في تلك المدينة (٤) .

وقد خرّجت هذه المدينة كثيراً من الرهبان الذين التحقوا باديار أخرى او اسسوا في البلدان الاخرى معاقل الدين والفضيلة ومنهم مار ايليا الحيري الذي درس العلوم الكنسية في مدرسة قريته وذهب الى الموصل وعمّر ديره المعروف باسمه وما زال ماثلاً للانظار في الموصل حتى اليوم (٥)

وتبع ايليا المذكور ابن اخته حنا نيشوع الراهب وكان يدعى قبل ترهبه عمرو بن عمرو وكان في خدمة النعمان بن المنذر وكان كسرى يحبّه لما كان عليه من الاقدام والتبصر بالحروب فزهد في العالم وتبع خاله مار ايليا وعاونه في بناء ديره في الموصل (٦)

ونذكر هنا باباي الذي كان اصله من ارض بابل وكان كاتب روزبي بن مرزوق مرزبان الحيرة فخرج المرزبان ذات يوم الى الصيد ومعه كاتبه فلتقى باباي براهب في مغارة هناك وتتلمذ له .

ومار عبدا الكبير من سكان قرية قريبة من الحيرة دخل مدرسة الحيرة بعد تنصره ثم قصد باباي الراهب وترهّب عنده ومن بعد موته شيّد عبدا الصغير تلميذه ديراً على قبره عرف بدير مار عبدا او بدير معري .

وولد عبدا الصغير في الحيرة واسم ابيه حنيف وكان ذا ثروة جزيلة وتتلمذ لباباي الكاتب وعبدا الكبير وصار له عدة تلاميذ منهم ابراهام الحيري

(١) كتاب العفة العدد ١٤ (٢) كذلك العدد ٨٢ (٣) كذلك العدد ١٣٢
(٤) كذلك العدد ١٣٤ (٥) كذلك العدد ١٩ (٦) نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ٢٠٢

ويوحنان وغريغور وجبرائيل ومرقس وبنى بقرب نهركرا ديراً عرف بدير كرا جعل عليه رئيساً ابراهام الحيري وعاونه ببنائه قيس الحيري وانضم اليه بعد ذلك عدد من الرهبان وترأس عليهم احدهم خوداوي وشيّد ديراً في بيت حالي وساعده سبريشوع اسقف الحيرة والاعيان باموالهم (١) .

هناك غيرهم من الرهبان الذين خرّجتهم الحيرة ممن تعرف اسماؤهم ومن لا تعرف .

ذكر المؤرخون العرب عدداً كبيراً من الديرة في الحيرة والكوفة والنجف وضواحيها . فكانت تلك الاصقاع تموج بحصون العبادة وبيوت الفضيلة كالديارات والقلالي والصوامع . وقد تغنّى الشعراء بوصفها نوردفيما يلي اسماء طائفة منها معتمدين في ذلك على اضبط المصادر واصدق الروايات .

(١) دير ابن وضّاح : ويقال له دير مار عبدا ابن الحنيف نسبة الى مر عبدا بن حنيف بن وضّاح اللحياني وكان مع ملوك الحيرة وفيه يقول بكر بن خارجة :

الى الدساكر فالدير المقابلها　　الى الاكيراح ودير ابن وضّاح (٢)

(٢) ديارات الاساقف : وهي بالنجف ظاهر الكوفة وهو اول الحيرة وهي قباب وقصور بحضرتها نهر يعرف بالغدير عن يمينه قصر ابي الخصيب وعن شماله السدير وفيه يقول علي بن محمد بن جعفر العلوي الحماني :

كم وقفة لك بالخور　　نق ما توازي بالمواقف
بين الغدير الى السدير　　ر الى ديارات الاساقف
فمدارج الرهبان في　　اطمار خائفة وخائف
دمن كأن رياضها　　يكسين اعلام المطارف
وكأنما غدرانها　　فيها عشور في مصاحف
بحرية شتواتها　　برية فيها المصائف

(١) راجع كتاب المقة الاعداد ٣٢٦ ، ٧٥ ، ٧٦ و ٨٢ وغيره : تاريخ كلدو وآثور ٢ ٢٦٦

(٢) معجم البلدان مادة (دير مار عبدا)

(٣) دير ابن برّاق : بظاهر الحيرة ، قال الثرواني :

يا دير حنّة عند القائم الساقي ... الى الخورنق من دير ابن برّاق

(٤) دير الاعور : بظاهر الكوفة بناه رجل من إياد يقال له الاعور من بني حذافة بن زهر بن اياد .

(٥) دير الأسكون (١) وهو بالحيرة راكب على النجف وفيه قلالي وهياكل وفيه رهبان يضيفون من ورد عليهم وعليه سور عال حصين وعليه باب حديد ومنـــه يهبط الهابط الى غدير بالحيرة ارضه رضراض ورمل ابيض وله مشرعة تقابل الحيرة لها ماء اذا انقطع النهر كان منها شرب اهل الحيرة .

(٦) دير بني مرينا : بظاهر الحيرة في جفر املاك بني مرينا حيث قتل رجال حجر بن عمرو اقرباء امرئ القيس الشاعر المشهور بامر ملك الحيرة ذي القرنين المنذر بن النعمان .

(٧) دير الجرعة : يقال انه دير عبد المسيح بن بقيلة بعينه فسمي بدير الجرعة نسبة الى موقعه .

(٨) دير الجماجم : وهو بظاهر الكوفة ويقال انه سُمي بدير الجماجم لانه بني بجماجم قتلى اختلف في ذكرهم .

(٩) دير الحريق : وهو بالحيرة وذكره الثرواني في ابيات منها :

دير الحريق فبيعة المزعوق ... بين الغدير فقبة السذيق (٢)

(١٠) دير حنظلة : بالحيرة منسوب الى حنظلة بن عبدالمسيح بن علقمة ابن مالك بن ربي بن عمارة بن لخم وفيه يقول الشاعر :

بساحة الحيرة دير حنظله ... عليه اذيال السرور مسبله

(١١) دير حنة : وهو دير قديم منذ ايام بناه المنذر لقوم من تنوخ يقال لهم بنو ساطع تقابله منارة عالية كالمرقب تسمى القائم لبني اوس بن عمرو بن عامر . . . وفيه يقول الثرواني :

يا دير حنة عند القائم الساقي ... الى الخورنق من دير ابن برّاق

---

(١) ويروى دير الاسكول (٢) ويروى قبة الشنيق

وهناك دير يسمى حنة بالاكيراح الذي قيل فيه :

* يا دير حنة من ذات الاكيراح *

وهو ايضاً بظاهر الكوفة ولا يعرف اهو المذكور هنا او غيره .

(١٢) دير السواء : بظاهر الحيرة ومعناه دير العدل لانهم كانوا يتحالفون عنده فيتناصفون وقيل غير ذلك في معناه وذُكر في شعر ابي دؤاد الايادي .

(١٣) دير عبدالمسيح : وهو عبدالمسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال له الجرعة . بقي عبدالمسيح حياً وشاهد الفتح الاسلامي وقابل خالد بن الوليد وعاش في ديره هذا الى ان وافته المنية فدُفن فيه . خرب الدير بعده وظهر بعد مدة ازج معقود من حجارة فظنّوه كنزاً ففتحوه فاذا فيه سرير رخام عليه رجل ميت وعند رأسه مكتوب فيه انا عبدالمسيح ابن بقيلة :

حلبتُ الدهر أشطره حياتي	ونلت منُ المنى فوق المزيد
فكافحتُ الامور وكافحتني	فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت انال في الشرف الثريا	ولكن لاسبيل الى الخلود

(١٤) دير علقمة : وهو بالحيرة منسوب الى علقمة بن عدي بن الرميك بن ثوب بن اسس بن ربي بن نمارة بن لخم ... وفيه يقول عدي بن زيد العبادي :

نادمت في الدير بني علقما	عاطيتهم مشمولة عندما

(١٥) دير قرّة : دير بازاء دير الجماجم مما يلي الكوفة منسوب الى قرّة وهو رجل من لخم بناه على طرف من البر في ايام المنذر بن ماء السماء وهو ملاصق لطرف البرّ ودير الجماجم مما يلي الكوفة .

(١٦) دير اللّج : وهو بالحيرة بناه النعمان بن المنذر ابو قابوس في ايام مملكته ولم يكن في ديارات الحيرة احسن بناءً منه ولا انزه موضعاً وقيل انه كان بظاهر الحيرة . وذكر البكري : ان النعمان كان يركب في كل عيد ومعه اهل بيته بموكب وبايديهم اعلام فوقها صلبان ويذهبون لقضاء صلواتهم في بيعة هذا الدير ثم ينصرفون الى مستشرفة في النجف للتنزّه .

(١٧) دير مارت مريم : دير قديم من بناء آل المنذر بنواحي الحيرة بين الخورنق والسدير وبين قصر ابي الخصيب مشرف على النجف وفيه يقول الشرواني :

بمارت مريم الكبرى	وظل فنائهـا فقف
فقصر ابي الخصيب المشـ	رف الموفي على النجف
فأكناف الخورنق والسـ	دير ملاعب السلف
الى النخل المكمم والحـ	ـائم فوقـه الهتف

وبقي هذا الدير عامراً الى زمن الواثق (٢٢٧ — ٢٣٢ هجرية) فزاره ومعه اسحق بن ابراهيم الموصلي وقد اعجب موقع هذا الدير وحسن بنائه اسحق فقال فيه :

نعم المحل لمن يسعى للذته	دير لمريم فوق الظهر معمور
ظل ظليل وماء غير ذي اسن	وقاصرات كامثال الدمى حور

فقال الواثق لا نصطبح غداً الا فيه . وامر بان يعد فيه ما يصلح من الليل وباكروه وامر الواثق بمال ففرق على اهل ذلك الدير (١) .

(١٨) دير مار فاثيون : وهو بالحيرة اسفل النجف شاهده قد ذكر في دير ابن المزعوق .

(١٩) دير المزعوق او ابن المزعوق : وهو قديم بظاهر الحيرة قال الشرواني :

قلت له والنجوم طالعة	في ليلة الفصح اول السحر
هل لك مار فاثيون وفي	دير ابن مزعوق غير مقتصر
يقتص منه النسيم على طرق الـ	شام وريح الندى عن المدر
ونسأل الارض عن بشاشتها	وعهدها بالربيـع والمطر

(٢٠) دير هند الصغرى : بالحيرة يقارب خطة بني عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق في موضع نزه وهو دير هند الصغرى بنت النعمان بن

---

(١) الاغاني ٥ : ١١٢

المنذر المعروفة بالحرقة بقيت فيه حتى ماتت . وعند الفتح الاسلامي دخل اليها في ديرها خالد بن الوليد فسلَّمت عليه فقال لها : اسلمي حتى ازوجك رجلا شريفاً مسلماً فقالت : اما الدين فلا رغبة لي فيه غير دين آبائي . اما التزويج فلو كانت في بقية لما رغبتُ فيه فكيف وانا عجوز هرمة أترقَّب المنية بين اليوم وغد . فقال : سليني حاجة . فقالت : هؤلاء النصارى الذين في ذمتكم تحفظونهم . قال هذا فرض علينا اوصانا به نبينا محمد (صلعم) . فقال لها : اخبريني بشيء ادركت. قالت : لقد طلعت الشمس بين الخورنق والسدير الأعلى ما هو تحت حكمنا فما امسى المساء حتى صرنا خولاً لغيرنا . ثم انشأت تقول :

فبينا نسوس الناس والامر امرنا　　اذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فتبا لدنيا لا يدوم نعيمها　　تقلب تارات بنا وتصرّف

فتركها وخرج فجاءها النصارى وقالوا : ما صنع بك الامير ؟ فقالت :

صان لي ذمتي واكرم وجهي　　انما يكرم الكريمَ الكريمُ

وقد زار هرون الرشيد دير هند الصغرى ورأى قبرها وقبر ابيها فيه .

(٢١) دير هند الكبرى : وهو بالحيرة بنته هند أم عمرو بن هند وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي عمة امرئ القيس الشاعر المشهور وكان في صدر الدير مكتوب :

« بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت »
« الاملاك وأم الملك عمرو بن المنذر امة المسيح وأم عبده وبنت عبيده في »
« مُلك ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف. فالإله »
« الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها ويقبل »
« بها ويقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الداهر الداهر » .

حدث عبد ابن مالك الخزاعي قال : دخلت مع يحيى بن خالد لما خرجنا مع الرشيد الى الحيرة وقد قصدناها لنتنزه بها ونرى آثار المنذر فدخل دير هند الاصغر فرأى آثار قبر النعمان وقبرها الى جنبه ثم خرج الى دير هند الكبرى وهو على طرف النجف فرأى في جانب حائطه شيئاً مكتوباً فدعا بسلمٍ وامر

بقراءته وكان فيه مكتوب :

ان بني المنذر عام انقضوا — بحيث شاد البيعة الراهبُ

تنفح بالمسك ذفاريهم — وعنبر يقطبه القاطبُ

والقزّ والكتّان اثوابهم — لم يجب الصوف لهم جائبُ

والعزُّ والملك لهم راهن — وقهوة ناجودها ساكبُ

اضحوا وما يرجوهمُ طالبٌ — خيراً ولا يرهبهم راهبُ

كأنهم كانوا بها لعبةً — سار الى اين بها الراكبُ

فاصبحوا في طبقات الثرى — بعد نعيم لهم راتبُ

شدّ البقايا من بقي بعدهم — قلّ وذلّ جدّه خائبُ

قال فبكي حتى جرت دموعه على لحيته وقال نعم هذا سبيل الدنيا وأهلها .

وهناك غير هذه الديور كثير بني مرنبار (١) ودير الملح ودير الشاء وقبة الشتيق وقلاية القس . ودير سرجس وبكس . قال الشابشتي : كان هذا الدير بطيز ناباذ بين الكوفة والقادسية وديرا لزرنوق الذي كان ايضاً بين الكوفة والقادسية على وجه الطريق بينه وبين القادسية ميل . ولما جاء المسلمون وارادوا تخطيط الكوفة رأوا فيها ثلاثة أديار وهي : دير حرقة ودير ام عمر ودير سلسلة (٢) .

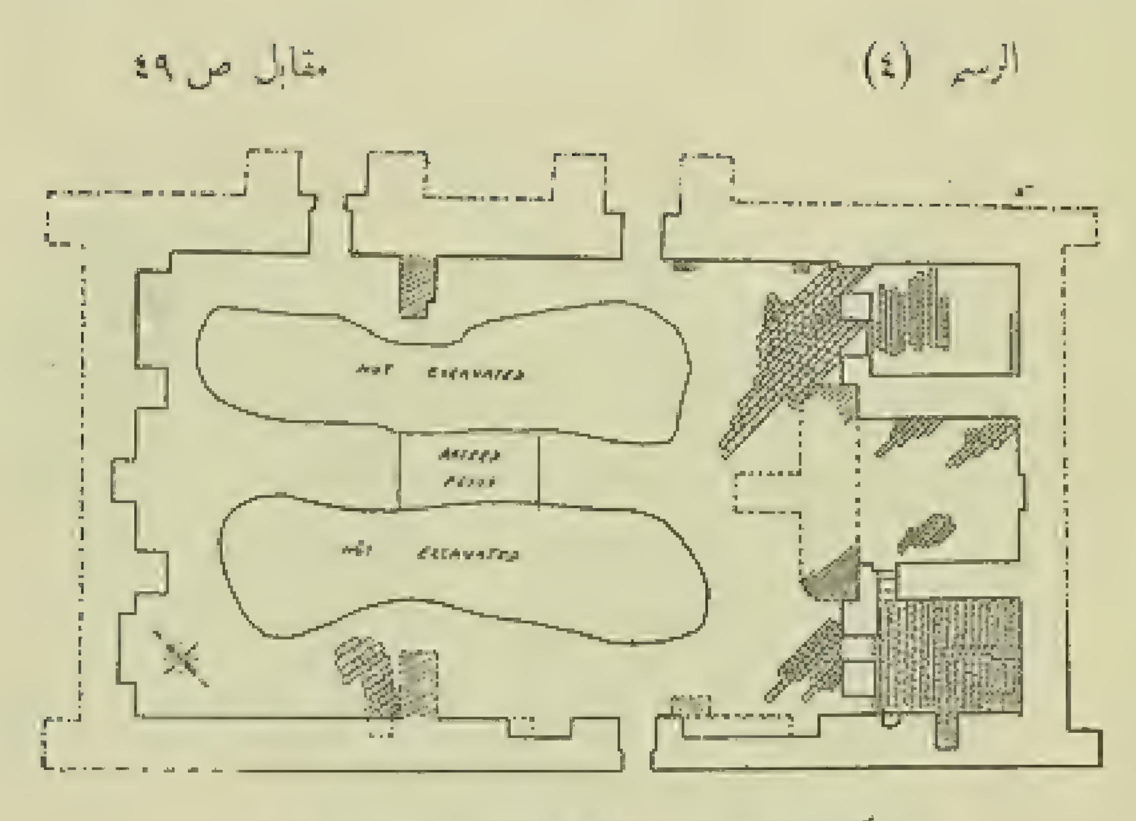
فلا عجب اذا رأينا هذا العدد الكبير من الديارات منتشرة في ملك آل نصر اللخميين مما يدلنا على انتشار النصرانية في تلك الديار وعلى اهتمام المناذرة اللخميين لبيوت العبادة لأن ثلاثة بيوتات من العرب كانوا يتبارون في البيع وديها المناذرة في العراق والغساسنة بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران فبنوا دياراتهم في المواضع النزهة الكثيرة الشجر والرياض والغدران ويجعلون في حيطانها الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور (١) وقال الفيرزبادي : كان في الحيرة كثير من الكنائس البهية

لقد اندثرت النصرانية من تلك الديار على توالي القرون وعفيت آثارها

(١) شير : كلدو وآثور ٢ : ٢٦٨ (٢) الطبري ٢ : ١٨٩



الرسم (٤) مقابل ص ٤٩



تصميم كنيسة وجدت بقاياها في الحيرة في التل المرقم ٥

فيها وها اننا نسمع المسعودي من رجال القرن العاشر للميلاد يقول عن الحيرة: وكان فيها ديارات كثيرة فيها رهبان فلحقوا بغيرها من البلاد لتداعي الخراب اليها واقفرت من كل انس في هذا الوقت الا الصدى والبوم (١)

****

اكتشاف آثار نصرانية

في الحيرة

عثر الاثريان رتلنكر ورايس في اطلال عاصمة اللخميين العظيمة على آثار نصرانية في ابان نبشهما في تلك الارجاء في سنة ١٩٣١ فالقى احدهما وهو المستر د تلبت رايس محاضرة في تاريخ الحيرة وحفرها فيها في الجمعية الملكية الاسيوية الوسطى بلندن ونشرتها مجلة تلك الجمعية في عددها الصادر في نيسان سنة ١٩٣٢ فاستناداً الى هذا المصدر والى مقالة ظهرت في المنشستر جرديان والى اقوال بعض شعراء العرب نعقد هذا الفصل من الكتاب

جرى الحفر في احد عشر تلاً من التلول الواقعة في شقة من الارض تبعد اربعة اميال من الكوفه فرقم الاثريان كل تل برقم . وعثر في كل من التلين المرقين ٥ و ١١ على بقايا بيعة يرتقي تاريخها الى القرن الثامن او التاسع للميلاد ولهذا الاكتشاف خطورة تاريخية لانه يطلعنا على الثقافة المسيحية العريقة في القدم في العراق *

وكان قبل هذا الاكتشاف قد عثر الحفارون الالمان في طيسفون (سلمان باك) سنه ١٩٢٨ على بقايا بيعة عدت آنئذ اول بادرة لفظتها الارض من الثقافة المسيحية العراقية ووجدوا قطعاً من تمثال اسقف من الستوق (٢).

(١) مروج الذهب ٣ : ٢١٣

(٢) الستوق تعريب كلمة Stucco الانكليزية و Stuc الفرنسية ومعناه مادة مركبة من كلس مفسخ (نورة باردة) وتراب مرمر وطباشير تحاكي المرمر وتتخذ لصنع التماثيل

بديع الصنع . ووجدت بعثة رتلنكر في الحيرة ظلوما (١) وصلبانا، فهذه الآثار توسع اطلاعنا على الفن النصراني القديم في العراق .

فهندسة بيعتي الحيرة وبيعة طيسفون على منوال واحد تقريباً . فهي كنائس ملكية (باسليقات Basilics) طويلة لكل منها ثلاث غرف مستطيلة في جهتها الشرقية . فسقف بيعة طيسفون معقود وكذلك سقف بيعة رقم ١١ في الحيرة وان كان وجود اطار الآجر (دنگ الطابوق) فيها ينبئنا بان كلاً من الاجنحة الثلاثة كان مسقفاً بعقد صغير شبه البرميل اي محدّب .

جدران البيع من اللبن وأما الاطار (الدنگ) من الآجر وداخلها مطلى كله بجص ابيض وقد جدد طلاؤها خمس مرات في ادوار مختلفة . بيان ان جسد الكنيسة لم يزوّق إلا ان المصلّيات الشرقية (٢) فيها كانت منقوشة بالظلوم وفي المصلّى الجنوبي صليب باق في محله على الجدران . ووجدت البعثة الاثرية في المصلّى الاوسط من كل بيعة قطعاً من النقوش وفي احداها صورة رمزية تقوية اما القطع الاخرى فتألف صليباً اذا ما ضممنا بعضها الى بعض .

قد ردمت ارض المصلّى الاوسط في كل من بيعتي الحيرة مراراً عديدة عند الترميم ولم تردم المصلّيات الجنبية وبنتيجة هذا الردم (الدفن) بقيت بعض النقوش مدفونة تحت مستوى طبقة الارض الفوقانية .

كانت بعض رسوم البيعة المرقمة [٥] في محلها فرفعها الاثريون وكانت الوانها باهتة ولكن ما بقي منها كان كافياً ليظهر لنا صبغتها الساسانية . فلهذه الرسوم والنقوش خطورة عظيمة لانها من النقوش النصرانية القديمة في العراق التي تعتبر اساً للنقش الاسلامي .

تقدم هندسة هذه الكنائس بعض المشاكل المهمة يجب علينا حلها . لا نقول شيئاً عن المصلّيات الثلاثة والاجنحة الثلاثة التي هي من الامور الاعتيادية ولكن مما يلفت النظر ان صدر الكنيسة وجنباتها (Abside) ليست على شكل

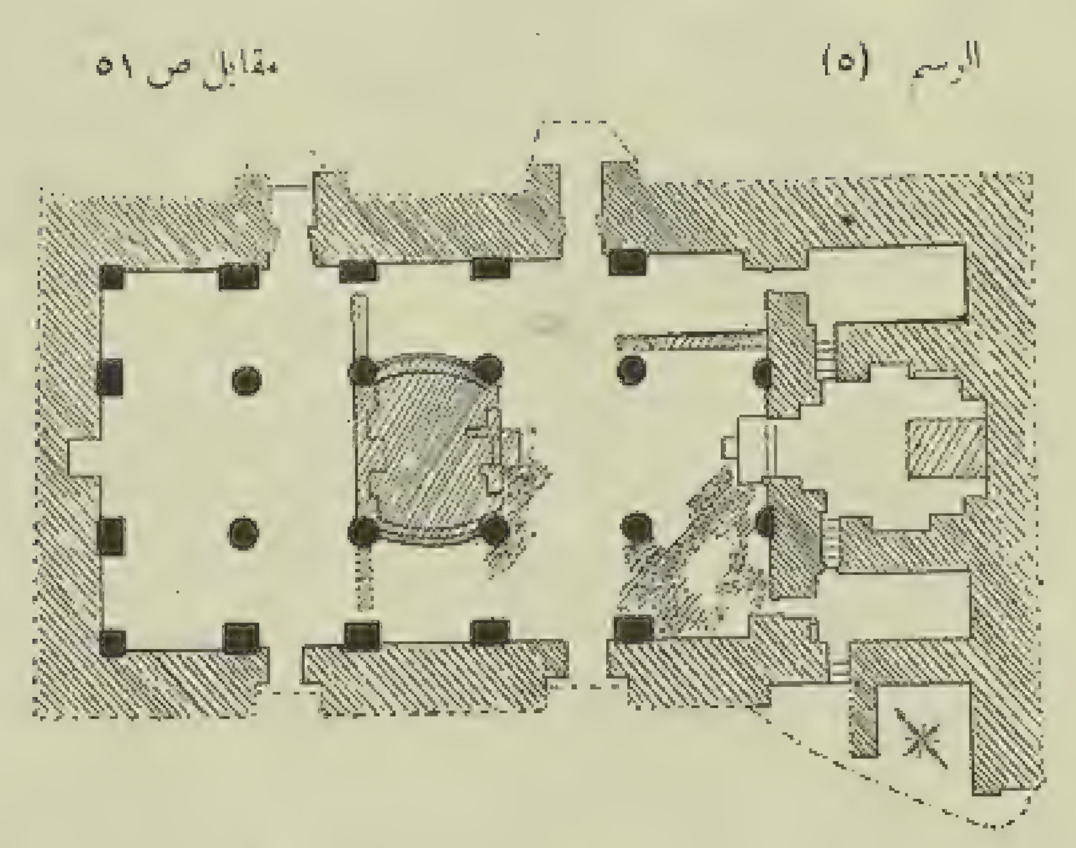
---

(١) الظلوم جمع ظلم تعريب لفظ Fresco الانكليزي و Fresque الفرنسية وتفسيرها صورة منقوشة على حائط حديث الطلاء وتلك النقوش محلولة في ماء الكلس

(٢) Chapelles كابيلات



الرسم (٥) مقابل ص ٥١



تصميم كنيسة وجدت اطلالها في التل المرقم ١١ في الحيرة

دائرة ولا مقوّسة كما ان ابواب الكنيسة من جانبيها وليست في آخرها ويلاحظ ان وضع الابواب بهذه الصورة اتخذ لغاية مقصودة ولم يضطر اليه البناؤون اضطراراً .

ليس في كنائس الحيرة القديمة محراب . ومما هو جدير بالقول ان كنائس الحيرة تنتهي بمربعات على طرز هيا كل بابل واشور وهذا ما يدعونا الى التفكر بتأثير الفن او الريازة الوثنية القديمة في الحقبة النصرانية في العراق .

وجدت البعثة الأثرية في البناء رقم [٢] صليباً صغيراً من البرونز وفيه حلقة ليعلق بالعنق ويتدلى على الصدر ومن المحتمل انه من الصنعة البزنطية وعلى ذكر الصليب نقول ان نصارى العرب علقوا الصلبان في اعناقهم . فهذا الشاعر الشهير الاخطل كان يحمل صليباً على صدره . وقال عبدالله بن العباس الربعي في فتاة (١)

كم اثمت الصليب في الجيد منها كهلال مكلل بالشموس

وكانوا يلثمون الصليب ويمسحون ايديهم به قال جرير (٢)

رويدكم مسح الصليب اذا دنا هلال الجزى واستعملوا بالدراهم

ووجدت البعثة قناديل في الكنيسة المرقمة [٥] ويظهر ان في صنعة هذه السرج صلات قوية بالزجاج البزنطي من مدينة جرش وغيرها .وهنا لا بدّ من التنويه ان الشعراء والكتبة العرب في الجاهلية وبعد الاسلام وصفوا مصابيح البيع وقناديلها . جاء في الاغاني (٣) : ان مارية جارية هند بنت النعمان بن المنذر وصفت لسيدتها بيعة توما وما فيها من الرواهب ومن يأتيها من جواري الحيرة وحسن بنائها « وسرجها » وغنّى حنين بن بلوع الحيري (٤)

بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل صبح في كنيسة راهب

وقال عمر بن ابي ربيعة (٥)

نظرتُ اليها بالمحصّب من منى ولي نظرة لولا التحرج عارم

---

(١) الاغاني ١٧ : ١١٩ (٢) النقائض ٢ : ٤٠٢ (٣) الاغاني ٢ : ٣٠
(٤) الاغاني ٢ : ١٢٢ (٥) الاغاني ١٥ : ٧

فقلت أشمس ام مصابيح بيعة ... بدت لك خلف السجف ام انت حالم

وقال اوس بن حجر (١) :

عليه كمصباح العزيز يَشُبُّهُ ... لفصح ويحشوه الذبال المفتَّلا

وقال قبلهم امرؤ القيس في معلّقته :

تضيء الظلام بالعشا كأنها ... منارة ممسى راهب متبتّل

ومن قوله ايضاً في معلقته :

يضيء سناه او مصابيح راهب ... امال السليط بالذبال المفتّل

وما اصدق هذا الوصف بما هو جار حتى اليوم في العراق فالسليط هو دهن السمسم (السيرج) والذبال المفتل هو مايسميه العراقيون (الفتيلة) .

ومما وجده الاثريون في اطلال الحيرة من الاشياء الصغيرة لابل من اعظمها اهميةً صفائح صغيرة من جصّ ناعم عليها نقوش . ورسم الصليب هو الشكل الاصلي فيها . وهي على نوعين اما محفورة ومصبوغة احمر او بقيت بارزة وقطعت الارضية حواليها . ولهذه الصلبان شكل ممتاز لأن للورقة السفلى او الاساسية منها صبغة خاصة بها ويظهر ان لصنعة هذه الصلبان صلات قريبة بالصلبان المنقورة على الصخر التى تشاهد في بلاد ارمينية .

هذا ماقاله تلبت في مجلة الجمعية الاسوية الوسطى وجاء في مقال نشرته المنشستر غرديان نقلاً عن رفيقه رتلنكر ان احدى الدور كانت ممتلئة قطعاً من افريز جميل مزوّق برسوم ذي الوان جذّابة . ورسم الصليب بشكل ملطي هو الموضوع الاصلي فيها . وتحيط بالصليب دائرة كل مرّة رسم هناك . والبناء مزين بصفائح صغيرة من الجص مرسوم عليها الصليب . وقد استنتج رتلنكر ان هذا البيت كان لاحد رؤساء الدين ذي منصب رفيع .

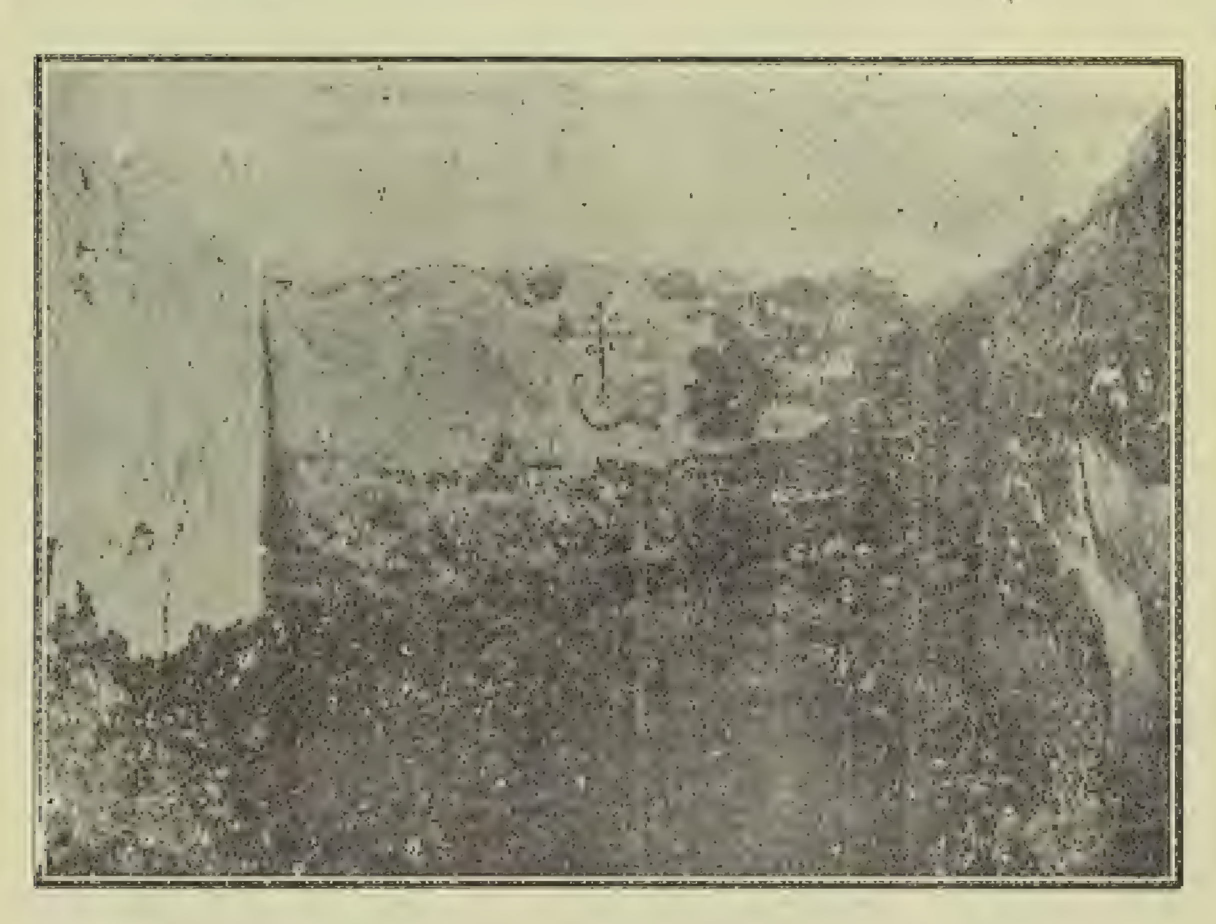
ونحن لانستغرب ان يكون دار اسقف الحيرة بناء فخماً لان التاريخ يخبرنا ان اسقف الحيرة شمعون بن جابر في اواخر القرن السادس كان يسكن قصر اللحيان وكان ذا ثروة طائلة واقرض الملك النعمان بن المنذر ثمانين الف درهم (٢)

---

(١) الآداب النصرانية ص ٢١٠ . (٢) الاغاني ٢ : ٢٥



الرسم (٦) مقابل ص٥٣



المصلى الجنوبي الشرقي في الكنيسة المكتشفة في الحيرة في التل المرقم ١١
من القرن الثامن

ومما هو ظاهر من الآثار المكتشفة واقوال الشعراء والمؤرخين ان الصليب كان متبجلاً مقدساً عند نصارى الحيرة في القرون الاولى للميلاد فكانوا يرسمون علامته على ديوراتهم وبيعهم ودورهم ويعلقونه على صدورهم ويحملون اعلامه في مواكب ملوكهم (١) ولهذا كان الشاعر العربي يقول : (٢)

فالدير فالنجف الاشم — جبال ارباب الصليب

* * *

العلم في الحيرة

* * *

مدارس الحيرة ، الخط الحيري ، الشعر

الامثال ، الخطابة

توطئة

لمملكة الحيرة منزلة رائعة في تاريخ العراق وتاريخ العرب ونهضة آداب لغة الضاد في بضعة قرون من الجاهلية حتى ظهور الاسلام ، كما ان لتاريخ النصرانية في هذه المملكة شأناً عظيماً لانتشارها في هذه الديار انتشاراً عجيباً حتى دان بها الملوك اللخميون المعروفون بالمناذرة . وكان المناذرة في العراق عند ملوك العجم ما كان الغساسنة في سورية عند ملوك الروم.

ليس لدينا من المعلومات الضافية ما يؤهلنا لعقد فصل كامل عن الحركة العلمية في الحيرة ايام عزها وازدهار ملكها. الاّ ان تتف الاخبار المنثورة في مرويات الاقدمين تلقي اشعة ضئيلة تضيء بنورها هذه المجاهل ، فتظهر لنا حاضرة المناذرة مركز علم ومدارس وادب ، ومدينة استنباط والهام.

كيف لايشرق نور العلم من هذه المدينة التاريخية وكل مروّجاته فيها . فانها ورثت العلم والعرفان من بابل وآثور المنقرضتين . ومعظم سكانها عرب ،

---

(١) البكري معجم ما استعجم ص ٣٦٦ (٢) معجم البلدان مادة قصر ابي الخصيب

والعرب ذوو القرائح الوقّادة ، كانوا يتبارون في ايام عزّها باشعارهم ومعلّقاتهم ومجهراتهم ، ويتناشدون قصائدهم في سوق عكاظ. وكان جيران الحيرة يهود بابل لهم مدارسهم الدينية الزاهرة في سورا ونهر دعة وفم البداءة او فم البادية (عِباديته) والاكاسرة يبذلون جهودهم لاقتباس معارف الامم وترجمة كتبهم . وفي هذه التضاعيف طبّقت الخافقين شهرة مدارس النصارى في الشرق كمدارس الرها (١) ونصيبين (٢) والمدائن ، وانشئت المدارس في المدن الاخرى ايضاً حتى في القرى (٣) وكانت الديارات نفسها معاهد زهد وعلم في الوقت ذاته . وملوك آل نصر انفسهم يجزلون عطاياهم على الشعراء الذين يقصدونهم ويمدحونهم باشعارهم .

مدارس الحيرة

تعزّز الشواهد التاريخية الوضعية هذه الاستنتاجات عن النهضة العلمية في الحيرة . فقد جاء عن مدارس الحيرة في كتاب العفة ان ايليا الحيري ، مؤسس دير مار ايليا بالموصل ، درس العلوم الكهنوتية في مدرسة قريته (٤) ومار عبدا الكبير درس في مدرسة الحيرة (٥) وان المرقّش الاكبر ، وهو ابو عمر الشيباني ، واخاه حرملة درسا الكتابة على نصراني من اهل الحيرة(٦). وكان زيد بن عدي قد حذق الكتابة العربية في الحيرة ، وكان زيد هذا اول من كتب العربية في ديوان كسرى (٧)

ان البطريرك ايشوعياب الثاني (٦٢٨—٦٦٤) حدث له صعوبات جاء اليه مفسر من مدرسة الحيرة ليعضده في امره . وقد وسّط البطريرك جرجس (٦٦١—٦٨١) لازالة الخلاف الناشيء بينه وبين جرجس مطران نصيبين احد اساتذة مدرسة الحيرة (٨).

---

(١) R. Duval, Hist. politique et littéraire d' Edesse P. ١٧٩

(٢) ادي شير : مدرسة نصيبين الشهيرة و Chabot, L'Ecole de Nisibe

(٣) ادي شير : تاريخ كلدو وآثور ٢ : ١٦٩

(٤) طبعة شابو : العدد ١٩ (٥) ادي شير : تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢٦٦

(٦) الاغاني ٥ : ١٨١ (٧) الاغاني ٢ : ١٩

(٨) Nau – Les Arabes Chrétiens etc page 42

وكان يتعلم اولاد الحيرة الكتابة والقراءة في مدارسهم في وقت كان يجهلها اكبر شعراء العربية . وهذا المتلمس الشاعر الطائر الصيت كان يجهلها ، فطلب من صبي من اهل الحيرة ان يقرأ الصحيفة التي كتبها له الملك عمرو بن هند ، وكان فيها هلاكه ، فلما علم مضمونها هرب ونجا (١) . مما يدلّ على ان المدارس كانت في الكنائس ماجاء عن خالد بن الوليد انه في مسيره من عين التمر وجد في بيعة قرية من قراها اسمها النقيرة صبياناً يتعلّمون الكتابة ، وكان فيهم عمران مولى عثمان بن عفان (٢) . وهذا يؤيد ماقاله دوفال : ان السريان النصارى كانوا يذهبون للدراسة في المدارس الملحقة بالكنائس والديّر (٣) وقد ذهب العرب الى ابعد حد من هذا إذ قالوا ان اول من كتب منهم بالعربية حرب بن امية بن عبد شمس تعلّم من اهل الحيرة ، وتعلّم اهل الحيرة من اهل الانبار (٤)

وفي طبقات ابن سعد (٣ : ٢٥٨) ان في عهد عمر بن الخطاب كان جفينة النصراني من اهل الحيرة يعلّم الكتاب في المدينة وذلك بعد ان امر عمر بخروج النصارى من جزيرة العرب (٥)

الخط الحيري

لم يقتصر فضل الحيريين على الدرس والتعليم في معاهدها بل لهم مأثرة خالدة على اللغة العربية وكتابتها . فقد كان للخط العربي تطوّرات قبل ان يصل الى حالته الحاضرة . ومن اوليّات تطوّراته الخط الحيري او الانباري او الجزم وقد شهد بذلك كثير من المؤرّخين العرب . قال البلاذري : « اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقّة (٦) ، وهم مرامر بن مرة ، واسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة (٧)

(١) الاغاني ٢١ : ١٢٥

(٢) معجم البلدان : مادة « نقيرة »

(٣) R. Duval. Lit. syriaque, p.4

(٤) المزهر للسيوطي ٢ : ٢١٥

(٥) النصرانية وآدابها

(٦) ويذهب ابن النديم ، في الفهرست ص ٤ ، الى انهم كانوا يسكنون الانبار .

(٧) ان هذه ليست اسماء واضعي الخط بل القابهم الادبية او العلمية تقوم بها المتخرجون

فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلمه منهم قوم من اهل الانبار ثم تعلمه اهل الحيرة من اهل الانبار. وكان بشر بن عبد الملك اخو اكيدر بن عبد الملك بن عبدالجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم بها الحين وكان نصرانياً فتعلم بشر الخط العربي من اهل الحيرة ثم اتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس وابو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب فسألاه ان يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ثم اراهما الخط فكتبا (١).

وان لقيط (٢) بن يعمر الايادي كتب الى قومه إياد بالحيرة يحذرهم كسرى سابور ذا الاكتاف وقد جمع على غزو إياد. وكان لقيط كاتباً بديوان كسرى ومما قاله لهم في قصيدته المشهورة :

ياقوم لاتأمنوا ان كنتم غُيُراً	على نسائكم كسرى وما جمعا
قوموا قياماً على امشاط ارجلكم	ثم افزعوا قد ينال الامن من فزعا

وقال في آخرها :

هذا كتاب اليكم والنذير لكم	لمن رأى رأيه منكم ومن سمعا

اللغات في الحيرة

ومما لاريب فيه ان الحيريين كانو يتعلمون اكثر من لغة واحدة فكانوا يتقنون العربية لانها لغتهم ، وكانوا يتعلمون الارمية اي السريانية ، وهي لغة بيعتهم وصلواتهم كما انها لغة الانباط منهم يتكلمونها في بيوتهم . ان مدارس

عليهم او الامذتهم بالسريانية ولما جهل معناها العرب ظنوها اعلاماً لهم فعرفوهم بها . والحقيقة ان اسم مرار بن مرة منحوت من (مارا ماري بر ماري) ومعناها «سيد السادة ابن السيد» وبعبارة عربية تقابل المعنى السرياني « شيخ شيوخ العلم ابن حامل لواء العلم » واما اسلم بن سدرة فهو تصحيف « شلما بر سدرا » بمعنى « التام العالم الخطاط » ، وعامر بن جدرة تصحيف « عمرايا برجدرا » ومعناه (الدار الحاذق او الماهر) . « راجع مجلة لغة العرب مجلد ٣ : ٤٢٨ »

(١) البلاذري : فتوح البلدان : ٤٧١ ، والمزهر للسيوطي ٢ : ٢٢٥ ، ومقدمة ابن خلدون : ٤٥٨ ، والعقد الفريد ٣ : ٣٠

(٢) المقتطف ابريل ١٩٣٤ ص ٥١٢

الحيرة الدينية علّمت هذه اللغة ، ونحدس ان الحيريين ألّفوا كثيراً فيها ، ولكن طوارق الحدثان عفت ذكر معظم تلك الكنوز الادبية ولم يصلنا من آثارها الا النزر القليل . نسرد بعضها على سبيل المثال فان يوحنا الازرق، اسقف الحيرة في النصف الاخير من القرن السابع ، ألّف رسائل وكتاباً في التهذيب الرهباني (١) وألف حنين بن اسحق العبادي الحيري كتاباً في الطب ومعجماً بهذه اللغة ، وترجم من الكتب اليونانية الى الارمية كما ترجم الى العربية (٢) وألف حنا نيشوع برسروشاي ، اسقف الحيرة حوالي سنة ٩٠٠ م ، معجماً ارامياً استشهد به بربهلول في كل صفحة من صفحات معجمه (٣) وألف حنا نيشوع مباحث في الكتاب المقدس ايضاً (٤)

ولتناسق الموضوع ننقل ماجاء في كتاب الآداب السريانية (٥) رواية عن ايشوعداد اسقف الحيرة ، في ترجمة الكتاب المقدس المعروفة بالبسيطة قال: ان العهد القديم ترجم في عهد سليمان النبي بطلب من حيرام ملك صور ماخلا اسفار الايام والانبياء فانها ترجمت في عهد ابجر ملك الرُها (٦) .

وكان بين الحيريين من يتكلم الفارسية للروابط السياسية والادارية والعلائق التجارية بين الحيرة ودولة الاكاسرة ولقرب عاصمتها من حاضرة المناذرة . ومن الشواهد التاريخية على معرفة الحيريين اللغة الفارسية ان ترجمان القائد رستم الفارسي كان من اهل الحيرة اسمه عبود ترجم بين رستم وبين المغيرة سنة ١٤ هجرية (٧) . لا بل ان الآداب الفارسية العالية كانت معروفة في الحيرة فتعلم النضر بن الحرث بن كلدة في سفره الى الحيرة علوم رستم (٨) . ولما رجع الى الحجاز في صدر ايام البعثة اخذ يقرأ اخبار العجم ويقول : « محمد يأتيكم باخبار عاد وثمود وانا آتيكم بخبر الاكاسرة » يريد بذلك اذى النبي .

(١) بطرس نصري : ذخيرة الاذهان ١ : ٢٧٨

(٢) دوفال الآداب السريانية : ٣٨٦ (٣) كذلك : ٢ ٣ (٤) كذلك : ٣٩

(٥) ص ٣٤ (٦) السمعاني : المكتبة الشرقية مجلد ٣ الفقرة الاولى : ٢٤ ومابعدها

(٧) الطبري ٤ ٩–١٠

(٨) C. Huart : Hist. des Arabes 1 : 109

وأسر النضر في واقعة بدر الكبرى وامر النبي علي بن ابي طالب فقتله لهذا السبب (١).

وكان بين الحيريين من يعرف اليونانية . هذا فضلاً عن ان اليهود منهم كانوا يعرفون العبرية .

ولم يجهل الحيريون اقتباس العلم والعرفان من الاصقاع المجاورة فكانوا يشدّون الرحال الى نصيبين وبلاد الروم حتى القسطنطينية (٢) ، او كانوا يستدعون المعلمين (٣) ، ويستقدمون الفنّانين من الاجانب (٤) .

وللحيرة منزلة تاريخية في آداب اللغة العربية سواء أكان بالشعراء الذين انجبتهم ، او بالشعراء الذين قصدوا ملوكها المناذرة للمدح والتقريظ ووصف البلاد والمعاهد ، او بالحوادث او الوقائع التي تمت في ارضها وقبائلها ، فظهرت الشعراء مواضيع للمعلقات والمجمهرات والقصائد . كما ان في اللغة العربية عشرات من الامثال السائرة على الالسنة نشأت في الحيرة نفسها . ولتاريخ الخطابة العربية علاقة بملوك الحيرة . وها نحن نورد لمعاً ولمحاً من كل هذه الصنوف ، وان لم نتمكن من الاحاطة بمجموعها .

الشعر العربي في الحيرة

من شعراء الحيرة عدي بن زيد العبادي (٥٨٧ م) (٥) ، وهو الذي ربى النعمان بن المنذر ، وتزوج بهند بنت النعمان ، وقتله بعد ذلك النعمان . وله منزلة في تاريخ الحيرة السياسي . وقد نظم القصائد الحسان ، واشهرها داليّته ، وهي من مجمهرات العرب ضمّنها اجود الحكم ، ومطلعها :

أتعرف رسم الدّار من أم معبدِ نعم ورماك الشوق قبل التجلدِ

ولعدي بن زيد ولدان : زيد (٦) وعمرو ، وكان كلاهما شاعراً . واستعمل

(١) راجع التصريح والتبريزي والاغاني ١ ـ ٩ في الحاشية

(٢) لابور : النصرانية في فارس ٢٢٥ (٣) الطبري ٢ : ٧٥

(٤) معجم البلدان : مادة خورنق

(٥) ترجمة في الاغاني ٢ : ١٧ ـ ٤٠ ، وشعراء النصرانية : ٤٣٩

(٦) الاغاني ٢ : ٢٧ ، وشعراء النصرانية : ٤٧٣

كسرى زيداً عنده ، واما عمرو فقتل يوم ذي قار .

ومنهم عدي بن مرينا (١) معاصر عدي بن زيد . وكان ابن مرينا يحسد عدي بن زيد على تقدمه عند النعمان ، فكتب اليه :

ألا أبلغ عدياً عن عديّ ... فلا تجزع ، وان رثّت قواكا

هياكلنا تبرّ لغير فقد ... لتُحمد او يتمّ به غناكا

فان تظفر فلم تظفر حميداً ... وان تعطب فلا يبعد سواكا

ندمت ندامة الكسعي لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

ولامرىء القيس (٢) (٥٦٥ م) صلات سياسية بالحيرة وقربى بملوكها . فانّ جدّه الاعلى ، حجر آكل المرار ، ملك كندة ، حكم بكراً فانتزع من اللخميين ما كان بايديهم من ارض بكر بن وائل . وملك الحارث بن عمرو بن حجر الحيرة في عهد كسرى قباذ ، وطرد من عرشها المنذر ، الى ان حكم كسرى انوشروان وانتزع الملك من الحارث واعاده الى المنذر فانهزم الحارث وتبعه المنذر ، وبقي يطارده ويطارد رهطه حتى ظفر بقوم منهم فامر بقتلهم فقتلوا بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين ، وفيهم يقول امرؤ القيس :

ألا يا عين بكّي لي شنينا ... وبكّي لي الملوك الذاهبينا

ملوكاً من بني حجر بن عمرو ... يساقون العشية يقتلونا

فلو في يوم معركة اصيبوا ... ولكن في ديار بني مرينا

فلم تغسل جماجمهم بغسل ... ولكن في الدماء مرمّلينا

تظلّ الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا

والتجأ امرؤ القيس الى ابن عمّته عمرو بن المنذر ، وامه هند بنت عمرو ابن حجر آكل المرار ، وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرّق ملك اهل بيته . وكان عمرو يومئذ خليفة لابيه المنذر ببقّة ، فمدحه وذكر صهره ورحمه وانه قد تعلّق بحباله ولجأ اليه . فأجاره عمرو ، ومكث امرؤ القيس عنده زمناً . ثم بلغ

(١) الاغاني ٢ : ٢٢ ، وشعراء النصرانية : ٤٤٩

(٢) الاغاني ٨ : ٦٢ – ٧٤ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٧ ، وخزانة الادب ٣ : ٥٣٢ ، شعراء النصرانية ٦ ، والروائع – الجزء ٧

المنذر مكانه عنده فطلبه ، وانذره عمرو فهرب .

وروى مؤرخو الروم مثل نذوز ويركوب وغيرهما انه ارسل وفداً الى يوستينيناس يطلب منه النجدة على اسد ، وعلى المنذر ملك العراق .

وهذا عمرو بن قميئة (١) (٥٦٠م) التجأ الى نصارى الحيرة إذ راودته امرأة عمه عن نفسه ، فتنكر عليها طلبها تعففاً ، فما عتمت ان شكته فلجأ الى عمه فصار الى اللخميين وقال لعمرو بن هند : ان قومي اطردوني . فقال له : ما فعلوا الا قد اجرمت ، وانا الفحص عن امرك فان كنت مجرماً رددتك الى قومك . فغضب وهمّ بهجائه وهجاء قومه بني المرثد . ثم اعرض عن ذلك ومدح عمّه واعتذر اليه .

وكان المرقش الاصغر (٢) (٥٧٠ م) كلفاً بفاطمة بنت الملك المنذر ، صاحب الحيرة ، وقد اكثر من ذكرها في شعره ولم يصلنا إلا القليل من نظم هذا الشاعر . ومن قوله فيها :

الا يا اسلمي لاصرم لي اليوم فاطماً ولا ابداً ما دام وصلك دائماً

ومن شعراء اياد الذين حلوا في الحيرة وانشدوا قصائدهم نذكر ابا دؤاد الايادي (٣) وهو من قدماء شعراء الجاهلية ، وقد جعل بعضهم تاريخ وفاته سنة ٥٢٠ م (٤) . ونقل عنه ياقوت ابياتاً في دير السواء (٥) .

وقد جاء الحيرة المتلمّس ، وهو جرير بن عبدالمسيح الضبعي ، وبقي مع ابن اخته طرفة بن العبد عهداً عند ملكها عمرو بن هند . ثم حقد عليهما واراد اقصاءها وارداها ، فدفع الى كل منهما صحيفة الى عامله في البحرين . فاعتقدا ان فيهما خيراً . إلا ان المتلمس لم يلبث ان اوجس شراً ، فطلب الى غلام من الحيريين العباديين قراءتها فقرأها له ، واذا فيها : « اما بعد فاذا اتاك المتلمس

---

(١) الاغاني ١٦ : ١٥٨–١٦٠ ، وشعراء النصرانية : ٢٩٣

(٢) الاغاني ٥ : ١٧٩–١٨٥ ، وشعراء النصرانية : ٣٢٨

(٣) الاغاني ١٥ : ٩١

(٤) زيدان : الآداب العربية ١ : ٧٢، ١٥٥

(٥) معجم البلدان : مادة « دير السواء »

بكتابنا هذا فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً » . ولما علم مضمونها القاها في النهر وهرب الى الشام (١) . أما طرفة فلم يرض بفض صحيفته ، وذهب الى البحرين فلاقى فيه حتفه . وللمتلمّس اشعار في مدح وذمّ عمرو بن هند وفي مدح الغساسنة .

ومن شعر المتلمّس قوله في طرفة لما قتله عمرو بن هند في البحرين :

عصاني فما لاقى الرشاد ، وانما ... تبيّنُ من امر الغويّ عواقبهْ

فاصبح محمولاً على آلة الرّدى ... تمُجّ نجيع الجوف منه ترائبُهْ

فامّا تحالها يُعالوك فوقها ؛ ... وكيف توقّى ظهرما انت راكبهْ

ومن قصيدة له يهجو عمرو بن هند :

يا آل بكر ، الا لله أمّكمُ ! ... طال الثّواءُ ، وثوب العجز ملبوسُ ،

ومنها :

أمّي شآميّةٌ ، إذ لا عراقَ لنا ، ... قوماً نودّهم ، إذ قومنا شوس (٢) .

ومن قصيدة اخرى يهجو فيها عمرو بن هند

شرُّ الملوك وشرّها حسباً ... في الناس من علموا ومن جهلوا

الغدرُ والآفاتُ شيمتُهُ ... فافهم ، فعرقوبٌ له مثلُ

وكانت وفاة المتلمّس سنة ٥٨٠ م (٣)

وعلى ذكر طرفة (٤) بن العبد المتوفى سنة ٥٥٠م (٥) وهو صاحب المعلّقة نقول ان له ايضاً قصائد يهجو بها عمرو بن هند واخاه قابوساً منها :

(١) ثمار القلوب للثعالبي : ١٧٢ . وقد ذكر كثير من الشعراء صحيفة المتلمس منهم الفرزدق لما كتب الخليفة مروان بصحيفة الى عامله بشأن ذلك الشاعر فقال عن نفسه :

ألق الصحيفة ، يافرزدق ، لاتكن ... نكداء مثل صحيفة المتلمس

وذكرها الابله الشاعر ، وشريح لمؤدب ابنه ، ويعقوب بن الربيع في مرثية جاريته ؛ واليه اشار الحريري في مقامته العاشرة اذ قال : « فقطّبا فعل المتلمس »

(٢) أمي : اقصدي ، يخاطب ناقته

(٣) ترجمته في الاغاني ١٥ : ١٤٥ ، و ٢١ : ١٢٥ ، وشعراء النصرانية : ٣٣٠

(٤) الاغاني ٢١ : ١٢٥ — ١٣١ وزيدان : الاداب العربية ١ : ١١٦

(٥) ولعل الاصح انه توفي حول السنة ٥٦٩ (راجع الروائع ٢٤ : ج)

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تخورُ

الى ان يقول :

لعمرُك ان قابوس بن هندٍ ليخلط ملكه نوكٌ كثير

ومن الشعراء الذين ذهبوا الى الحيرة عبيد بن الابرص (١) في عهد المنذر بن ماء السماء . ووافق وصول الشاعر المدينة يوم بؤس المنذر فقتله . ومن شعره المأثور قصيدته البائية التي استنشده اياها المنذر قبل ان يقتله . مطلعها :

اقفر من اهله ملحوبُ فالقُطبيَّاتُ فالذنوب

ومنها :

فكلُ ذي نعمة مخلوسٌ ، وكلّ ذي املٍ مكذوب ،
وكل ذي ابلٍ موروثٌ ، وكل ذي سلبٍ مسلوب ،
وكل ذي غيبةٍ يؤُوبُ ، وغائبُ الموت لا يؤُوب .

وتعلّم المرقش الاكبر المتوفى سنة ٥٥٢ م الكتابة في الحيرة كما مرّ بنا (٢) وجاء الحيرة المثقّب العبدي (٣) (توفي ٥٨٧ م) ودخل على ملوك الحيرة ومدح منهم عمرو بن هند والنعمان ابا قابوس . ومن مدائحه لعمرو بن هند رائيته :

هل لهذا القلب سمعٌ او بصر او تناهٍ عن حبيب يذكّر

ومنها :

والى عمرو ، وان لم آته ، تجلبُ المدحة ويمضي السفر

ومن اشعاره في مدح عمرو بن هند قصيدته التي تُعدّ من مشوبات العرب السبع جاء في مطلعها :

افاطم قبل بينك ودّعيني ، ومنعُكِ ما سألتُك ان تبيني

(١) الاغاني ١٩ : ٨٤ - ٩٠ ، وشعراء النصرانية : ٥٩٦ . مات عبيد بن الابرص سنة ٥٥٥ م

(٢) الاغاني ٥ : ١٧٩ ، وشعراء النصرانية : ٢٨٢

(٣) شعراء النصرانية : ٤٠٠ - ٤١٠

ومنها :

الى عمرو ، ومن عمرو اتتني ... اخي النجدات والحلم الرصين

فاما ان تكونَ اخي بحقٍ ... فاعرف منك غثي من سميني ،

والاّ فاطرحني واتخذني ... عدوًّا اتقيك وتتقيني .

وما ادري اذا يممتُ وجهاً ... اريد الخيرَ أيهما يليني

هل الخير الذي انا ابتغيه ... ام الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

ومن مدائحه للنعمان ابي قابوس قصيدته التي انتقاها صاحب المفضليات وفيها يقول :

الا ازهدا امس رث جديدُها ... وضنّت ، وما كان المتاع يؤودها ،

فلو انها من قبلُ جادت لنا به ... على العهد اذ تصطادني واصيدُها ،

ومنها :

فان ابا قابوس عندي بلاؤه ... جزاءً بنعمى لايحل كنودُها

وجدت زنادَ الصالحين نمينه ... قديماً كما بذ النجوم سعودُها

فلم علم اللهُ الجبال عصينه ... اتاه بامراس الحبال يقودها .

ونذكر منهم المنخل اليشكري (١) المتوفى سنة ٥٩٧ . م كان ينادم النعمان مع النابغة الذبياني ، وينشده القصائد . وكان النعمان يكرمه ويقرّ به اليه غير انه كان يؤثر شعر النابغة على شعره . فسعى المنخل بالنابغة واوغر صدر النعمان عليه حتى هم بقتله . فهرب النابغة . وخلا المنخل بمجالسته ، الى ان ارتاب النعمان منه ، وقيل بل اتهمه بامرأته المتجرّدة . فاخذه ودفعه الى رجل من حرسه وصاحب سجنه يقال له عكبٌ من بني تغلب ليقتله فعذّ به حتى قتله . وهو القائل من قصيدة له :

فاذا انتشيتُ فانني ... ربّ الخورنق والسدير

واذا صحوت فانني ... ربّ الشويهة والبعير

وبين الشعراء الذين جاؤوا الحيرة حنظلة الطائي (٢) (٥٩٠م). وحكايته

(١) الاغاني ١٨ : ١٥٢ : وشعراء النصرانية — ٤٢١

(١) الاغاني ٩ : ٩٨ ، و ١٩ : ٧٨ و ٨٨ وشعراء النصرانية : ٩٣

معروفة مع المنذر بن ماء السماء . بلغ شاعرنا الحيرة يوم بؤس المنذر ، فاراد قتله بالرغم من اياد بيضاء كانت لحنظلة على الملك . فاستمهله سنة حتى يدبّر امر بيته فامهله بكفالة شريك بن عمرو. ولما انقضى الحول اعدت العدة لقتل شريك عوضاً عن الطائي . وقبل انتهاء اليوم اقبل حنظلة براً بوعده . فسأله المنذر : ما الذي جاء بك وقد افلتّ من القتل ؟ قال : الوفاء . قال : وما دعاك الى الوفاء ؟ قال : انّ لي ديناً يمنعني من الغدر . قال : وما دينك ؟ قال : النصرانية . وعلى هذا تنصّر المنذر ، وتنصّر معه اهل الحيرة اجمعين ، على رواية الميداني ونسك بعد ذلك حنظلة ، وبنى له ديراً يعرف بدير حنظلة . لم يبقَ الا القليل من شعر حنظلة ومما رواه ابو الفرج بن الطيب قوله :

ومهما يكن من ريب دهرٍ فانني ... ارى قمر الليل المعذّب كالفتى ،
يهلّ صغيراً ثم يعظم ضوءه ... وصورته،حتى اذا ماهو استوى
وقرّب يخبو ضوءُهُ وشعاعه ... ويمصح حتى يستسرّ فما يرى

ولا يفوتنا الاسود بن يعفر النهشلي (١) المتوفى سنة ٦٠٠ م ، الذي كان مع خالد بن مالك عند النعمان ، واقام عنده مدة ينادمه ويؤاكله . ثم مرض فبعث النعمان اليه رسولا يسأله عن صحته فقال :

نفعٌ قليلٌ اذا نادى الصدى أُصُلاً ... وحان منه لبرد الماء تغريدُ
وودّعوني فقالوا ساعة انطلقوا : ... اودى فاودى الندى والحزم والجودُ !
فما ابالي اذا ما متّ ما صنعوا ، ... كلُّ امرىء بسبيل الموتِ مرصودُ !

واشتهر الاسود بن يعفر بقصيدته الدالية وقد جاء فيها :

ماذا اؤمل بعد آل مُحرّقٍ ... تركوا منازلهم ، وبعدَ إياد ؟
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ ... والقصر ذي الشرفات من سنداد
ارضٌ توارثها لطيب مقيلها ... كعبُ ابن مامة، وابن امّ دُؤاد ،
جرت الرياحُ على مقرّ ديارهم ... فكأنّهم كانوا على ميعادِ ،
ولقد غنوا فيها بانعمَ عيشةٍ ... في ظل ملك ثابت الاوتادِ .

(١) الاغاني ١١ : ١٢٨ — وشعراء النصرانية : ٤٧٥

ومن اولئك الشعراء روّاد الحيرة النابغة الجعدي ، وهو من جعدة قيس قال الجمحي : النابغة الجعدي اقدم من الذبياني لانه ادرك المنذر بن محرّق والذبياني انما ادرك النعمان . وقال غيره : ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث ابن ابي شمر الغسّاني ، حين قتل المنذر ، في اسارى بني اسد فشفعه . وللجعدي قصيدة جمعها ابو زيد مع المثوبات في « جمهرة اشعار العرب » يصف بها حاله منذ كان عند المنذر وكيف سار الى النبي واسلم ووصف ناقته وفرسه وبعض المواقع وغير ذلك ، مطلعها :

خليليّ عوجا ساعة وتهجّرا ولوما على ما احدث الدهر او ذرا

ومنها يتذكر المنذر بن محرّق :

تذكرت ، والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون ان يتذكرا

نداماي عنـد المنذر بن محرّق فاصبح منهم ظاهر الارض مقفرا(١)

بلغنا الآن الى النابغة الذبياني (٢) (٦٠٤ م) من عاش في نعماء المناذرة فغدقوا عليه الصلات حتى أنه كان يأكل بآنية الذهب والفضة من هدايا النعمان وابيه . ومما عمّ ان وصف المتجرّدة ، امرأة النعمان ، وصفاً اغاظ زوجها فغضب عليه حتى هرب الى الشام ، ثم اعتذر اليه فعذره . رأى النابغة زوجة النعمان وقد سقط نصيفها فاستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعها تستر وجهها لعبالتها وغلظها . فقال قصيدته التي مطلعها :

امن آل ميّة رائحٌ او مغتدِ عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ

ومنها :

لا مرحباً بغدٍ ولا اهلاً به ان كان تفريق الاحبّة في غدِ

حانَ الرحيل ولم تودّع مهدداً والصبحُ والامساء منها موعدي

في اثر غانيةٍ رمتك بسهمها فاصاب قلبك غير ان لم تقصد

(١) الاغاني ٤ ص ١٢٦ والعمدة ١ ص ٦٧ وجمهرة اشعار العرب ص ٤٥ وزيدان ج الآداب العربية ١ ص ١٥٦

(٢) الاغاني ٩ ص ١٥٤ و ١٨ ص ١٨٣ والشعر والشعراء ص ٧٠ و ١٢٩ وشعراء النصرانية ص ٦٤٠ والجمهرة ص ٥٢ والروائع ٣

ومنها :

والنظم في سلكٍ يزيّن نحرها ذهبٌ توقّد كالشهاب الموقدِ

صفراء كالسيراء اكمل خلقها كالغصن في غلوائه المتأوّدِ

قامت تراءى بين سجفي كلّةٍ كالشمس يوم طلوعها بالاسعدِ

او دميةٍ من مرمرٍ مرفوعة بنيت بآجرٍ تُشاد وقرمدِ

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتّقتنا باليدِ

بمخضّبٍ رخصٍ كأنّ بنانه عنمٌ يكاد من اللطافة يُعقدُ

والقصيدة طويلة وفيها اوصاف لا تتفق والآداب . ولمّا صار النابغة الذبياني الى الغساسنة بعد هربه من الحيرة كتب الى النعمان يعتذر اليه بقصيدة مطلعها :

أتاني ، ابيتَ اللعنَ ، انك لمتني وتلك التي اهتمّ منها وانصبُ

فبتّ كأنّ العائدات فرشنني هراساً به يعلى فراشي ويقشبُ

ومنها :

الم ترَ ان الله اعطاك سورةً ترى كلّ ملكٍ دونها يتذبذبُ

بأنك شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكبُ

ومن قصائده التي اعتذر بها الى النعمان في قضية المتجرّدة داليته الشهيرة التي مطلعها :

يا دار ميّةَ بالعلياء فالسَّندِ اقوت وطال عليها سالف الابدِ

ومنها :

فتلك تبلغني النعمانَ انّ له فضلاً على الناس في الادنى وفي البعدِ

ولا ارى فاعلا في الناس يشبهه ولا احاشي من الاقوام من احدِ

وله قصائد اخرى في مدح النعمان بن المنذر وعمرو بن هند . ولمّا بلغ النابغة ان النعمان مريض لا يُرجى لم يتمالك الصبر ، فذهب اليه والفاه محموما ينقل على السرير ما بين الغمر وقصور الحيرة . فقال لعصام بن شهبرة حاجبه ، وكان النعمان يوليه اموره وجيشه :

ألم اقسم عليك لتخبرني ... امحمول على النعش الهمام؟

فأني لا ألامُ على دخولٍ ، ... ولكن ما وراءك يا عصام؟

فان يهلك ابو قابوس يهلك ... ربيعُ الناس والشهر الحرام

ونمسك بعده بذناب عيشٍ ... أجبّ الظهر ليس له سنامُ .

وجاء الحيرة حاتم الطائي الجواد الشهير والشاعر الكبير (١) المتوفى سنة ٦٠٥ م . في عهد النعمان بن المنذر . وكان حاتم يخفر الحكم بن ابي العاصي الذي كان يريد حضور سوق الحيرة . وكان النعمان قد جعل لبني لأم بن عمرو ربع الطريق طعمةً لهم للمصاهرة التي بينهم ووقع خلاف بين حاتم وبني لأم في الطريق، فأتوا الحيرة للمجادلة ، وتوسّط إياس بن قبيصة لدى الملك النعمان فأعان حاتماً وقضيته مع ماوية بنت عفزر معروفة . وله قصيدة مطلعها :

حننتُ الى الاجبال اجبالِ طيِّءٍ ... وحنَّت قلوصي ان رأت سوط احمرا

ومنها بيت يذكر فيه تردّده على مواضع من ديار المناذرة :

ومازلتُ أسمو بين خُصٍّ ودارة(٢) ... ولحيان حتى خفتُ ان اتنصّرا .

وبين شعراء الحيرة إياس بن قبيصة (٣) (٧١٢م) وهو من اشراف طيء وفصحائها . وقد اتصل من مجالسة كسرى ابرويز الى ما لم يتصل اليه احد من الاعراب . وهو الذي ولاّه كسرى على الحيرة بعد موت عمرو بن هند الى ان ولى النعمان ابا قابوس .

وعاش الشاعر سلامة بن جندل (٤) (٦٠٨م) في جهات الحيرة وعاشر العباديين في عهد عمرو بن هند . ولحق بالنعمان ابي قابوس وذكره في شعره لما القاه كسرى بين ارجل الفيلة من جملة قصيدة :

---

(١) الاغاني ١٦ : ٩٢-١٠٩ ، ١٩ : ١٢٨ و١٥٩ ؛ وشعراء النصرانية : ٩٨

(٢) ويروى بين ناب ودارة

(٣) الاغاني ١٦ : ٩٦ ، و٢٠ : ١٣٤

(٤) شعراء النصرانية : ٤٨٦

هو المُدخل النّعمان بيتاً سماؤه   نحور الفيول بعد بيت مسردق

وقال ايضاً في هذه الحادثة يلوم زيد بن عدي :

هو المُدخل النعمان في ارض فارس   وجاعله في قوطهم في المدائن ،
والقاه ايضاً بعد ذا تحت افيلٍ   وفي العرب العربا بقايا ضغائن

ومن فحول الشعراء وابطال العرب الصناديد الذين سجنوا في الحيرة عنترة العبسي (١) (٦١٥ م) الذي أسر في سجن المنذر بن ماء السماء ، وكان قد خرج في طلب النوق العصافيرية مهر عبلة ، على ما ورد في القصة . وقد جاء في قصيدته العينية وهو في السجن :

ايا علم السعدي هل انا راجع   وانظر في قُطريك زهر الاراجع

ومنها :

ونوحي على من مات ظلماً ولم ينل   سوى البُعد عن احبابه والفجائع

وله قصيدة أخرى قافية في الموضوع نفسه استهلها بما يأتي :

ترى علمت عبلة ما ألاقي   من الاهوال في ارض العراقِ
طغاني بالربا والمكر عمي   وجار عليَّ في طلب الصداقِ
فخضتُ بمهجتي بحر المنايا   وسرتُ الى العراق بلا رفاقِ
وسقتُ النوق والرعيان وحدي   وعدتُ اجدُّ من نار اشتياقي
الى ان قال : وقادوني الى ملك كريم   رفيع قدره في العزِّ راقِ
وقد لاقيتُ بين يديه ليثاً   كريه الملتقى مرّ المذاقِ
بوجه مثل دور الترس فيه   لهيب النار يشعل في المآقي
قطعت وريده بالسيف جزراً   وعدتُ اليه احجل في وثاقي (٢)

(١) ديوانه ، طبعة البستاني ، ص ٨ و ٦٨ و ١٦٩ ، وشعراء النصرانية ج ٤ ص ٧٩٤ وزيدان الآداب العربية ١ ص ١١٧ ، والجمهرة ١٩٢ ، والروائع ٢٧ .

(٢) هذه الابيات الثلاثة تدلنا على ان المنذر كان عنده اسد ، وطلب من عنترة مبارزة ذلك الاسد بالسيف ، وهو في قيوده ، فتغلب العبسي على الاسد ، فاكرم الملك مثواه . وذكر هذه العادة في شعر عنترة له خطورة لانها قديمة عرفتها الامم السابقة

— « ولا يخفى ان كل هذه المعلومات وما يزينها من ابيات شعرية مستمدة من اقوال القصاص

عساه يجود في عراد عمتي ويُنعم بالجمال والنياق .

وله قصيدة بائية يتوعد النعمان بن المنذر ويفتخر بقوله :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

ومنها : ان كنت تعلم يانعمان اي فتى يلقى أخاك الذي غرّه العصب ...

وهذا اعشى قيس (١) المتوفى سنة ٦٢٩ م كان يأتي العباديين نصارى الحيرة يشتري منهم الخمرة . فاخذ عنهم مذهب القدرية الذي يتمثل في البيت الآتي :

استأثر الله بالوفاء وبالـ عدل وولّى الملامة الرجلا

وكان راوية الاعشى يحيى بن متى النصراني العبادي . ومدح الاعشى الاسود بن المنذر اخ النعمان وباع في الحيرة بعض هدايا سلامة ذي فائش الحميري له .

وهذا عمرو بن كلثوم التغلبي (٢) المتوفى سنة ٦٠٠ م نظم معلقته الحماسية الفخرية غضباً لامه وقبيلته من عمرو بن هند صاحب الحيرة . وكان عمرو هذا معجباً بنفسه فقال يوماً للندماء : هل تعلمون احداً من العرب تأنف امه من خدمة امي ؟ فقالوا : نعم ، ام عمرو بن كلثوم . قال : ولم ؟ قالوا : لان أباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب بن وائل اعزّ العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك افرس العرب ، وابنها عمرو وهو سيد قومه .

فارسل عمرو بن هند ، ملك الحيرة ، الى عمرو بن كلثوم يستزيره ويسأله ان يزير أمَّه أمَّه . فاقبل ابن كلثوم من الجزيرة الى الحيرة في جماعة من بني تغلب . واقبلت ليلى بنت المهلهل في ظعن من بني تغلب . وامر عمرو بن هند برواقه فضرب ما بين الحيرة والفرات وارسل الى وجوه اهل مملكته ، فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ،

وهي عرضة للشك ، بل من الواضح ان اكثرها منحول لا قيمة تاريخية له . وانما تمكن روايتها للدلالة على اثر الحيرة وملوكها في الادب العربي [illegible]

(٢) الاغاني ٨ : ٣٧٦ . وشعراء النصرانية : ٣٥٨ . والروائع ٣١

(٣) الاغاني ٩ : ١٧٥ ، وشعراء النصرانية : ١٩٧ وزيدان في الآداب العربية ١ : ١١٣ . والروائع ٢٦

ودخلت ليلى وهند في قبة من جانب الرواق . وكان عمرو بن هند قد امر امّه ان تنحّي الخدم اذا دعا بالطرف ، وتستخدم ليلى . فدعا عمرو بمائدة . ثم دعا بالطرف . فقالت هند : ناوليني ، يا ليلى ، ذلك الطبق . فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها . فاعادت عليها وألحت . فصاحت ليلى : وأذلّاه ايا لتغلب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدم في وجهه ونظر عليه عمرو بن هند فعرف الشر في عينيه . فوثب الى سيف معلق بالرواق فضرب به رأس عمرو بن هند ونادى في بني تغلب فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبه وساروا نحو الجزيرة .

ومعلقة عمرو بن كلثوم اشهر من ان تذكر انشدها امام عمرو بن هند ، لمّا تحاكم امامه بكر وتغلب ابناء وائل . وكانت المعلقة على غير ما تنشد اليوم ، ففقد من ابياتها واضيف اليها بعد ذلك ابيات تتعلق بحادثة امه التي ذكرناها فويق هذا . قال في مطلع القصيدة :

	ألا هبي بصحنك فاصبحينا	ولا تبقي خمور الاندرينا
وفيها يقول :	أبا هند فلا تعجل علينا	وانظرنا نُخبّرك اليقينا
ومنها :	بأيّ مشيئة عمرو بن هند	نكون لقيلكم فيها قطينا
	بأيّ مشيئة عمرو بن هند	تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
	تهدّدنا وتوعدنا ، رويداً	متى كنا لامك مقتوينا ؟
ومنها :	ملأنا البرّ حتى ضاق عنّا	وظهرَ البحرِ نملأه سفينا
	لنا الدنيا ومن اضحى عليها	ونبطش حين نبطش قادرينا

لم ينفرد عمرو بن كلثوم بذكر عمرو بن هند في معلّقته وانشادها امامه بل جاراه في هذا الباب الحارث بن حلّزة اليشكري (١) المتوفى سنة ٥٨٠ م . انتصاراً لبكر في موقف المحاكمة وقد جمع فيها ذكر عدة من ايام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرض ببعضها لعمرو بن هند . وسبب انشاده هذه المعلّقة امام ملك الحيرة ذكره الرواة ، وذلك ان النعمان بن هرم كان خطيب

(١) الاغاني ٩ : ١٧١ وشعراء النصرانية : ٤١٧ وزيدان : الآداب العربية ١ : ١١٥ والروائع ٢٦ ، وشرح المعلقات للتبريزي

بني بكر ، فغاظ الملك بكلامه وأوشك ابن هند ان يقضي لتغلب على بكر في الحاكمة التي ألمعنا اليها قبيل هذا في ذكر عمرو بن كلثوم . فقال الحارث ابن حلزة لقومه اني قد قلت خطبة فمن قام بها ظفر بحجته . فرواها اناساً منهم . فلما قاموا لم يرضه انشادهم ، قال : اني لا ارى احداً يقوم بها مقامي ، لكن اكره اكلم الملك من وراء ستور ، وينضح اثري بالماء اذا انصرفتُ عنه . وكانوا يفعلون ذلك بمن فيه برص . وقيل بل كان ابن هند يفعل ذلك لعظم سلطانه ولا ينظر الى احد به سوء . ثم خاف ابن حلزة على قومه وقال : انا محتمل ذلك . واقترب من الملك ، فقيل للملك ان فيه وضحاً ، فأمر ان تُعدّ بينه وبين الحارث سبعة ستور جُعلت . فلما نظر عمرو بن كلثوم قال للملك : أهذا يناطقني وهو لا يطيق صدر راحلته ؟ فاجابه الملك حتى افحمه . وانشد الحارث قصيدته . وكانت هند ، أم عمرو ، تسمع فقالت لابنها : تالله ما رأيت كاليوم قط رجلاً يقول مثل هذا القول يُكلّم من وراء سبعة ستور . فقال الملك : ارفعوا ستراً وادنوا الحارث ! حتى أزيلت الستور السبعة ، واقعده الملك قريباً منه في مجلسه ، ثم اطعمه في جفنته وامر ان لا ينضح اثره بالماء . ثم جزّ نواصي السبعين رجلاً الذين كانوا رهناً في يده من بكر ودفعهم الى الحارث . ثم امره ان لا ينشد قصيدته الا متوضئاً . ومطلع هذه المعلقة الشهيرة :

آذنتنا ببينها اسماء ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء !

ومنها :

ملك اضرع البرية لا يو جد فيها لما لديه كفاءُ

وهناك آخر من اصحاب المعلقات زار الحيرة ووفد على ملكها اللخمي ، أريد به لَبيد بن ربيعة (١) المتوفى سنة ٦٧٥ م . فهو احد شعراء الجاهلية والمخضرمين . وهو من اشراف الفرسان المجيدين . قال ابو الفرج الاصبهاني : دخل لبيد بن ربيعة على النعمان مع عامر بن مالك ملاعب الاسنّة ، وكان يكنى ابا البراء ، في رهط من بني جعفر ومالك بن جعفر وعامر بن مالك عمّ لبيد ، فوجدوا الربيع بن زياد العبسي وامه فاطمة بنت الخرشب . وكان الربيع نديماً للنعمان مع رجل من تجار الشام يقال له زرجون بن نوفل ؛ وكان حريفاً للنعمان يبايعه وكان الربيع يوغر صدر النعمان على الجعفريين حتى رأوا منه جفوة وصدوداً ثقل عليهم . فبينما كانوا يتفاوضون يوماً بهذا الامر سمعهم لبيد ، وكان متخلفاً عنهم يحفظ اباعهم ولم يرافقهم الى النعمان ، فطلب اليهم ان يدخلوه الى النعمان ليوقع بالربيع . فاجابوه وادخلوه على النعمان . فوجده يتغدى ومعه الربيع ، وهما يأكلان لا ثالث لهما ، والدار والمجالس مملوءة من الوفود . فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا عليه ، فذكروا الذي قدموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيع بن زياد في كلامهم ، فقال لبيد ابياتاً من الشعر في هجاء الربيع وذمّه وذكر فيه برصاً وانه غير نظيف ، فسبّه الربيع ، واثر كلام لبيد في النعمان ، وتقزّزت نفسه من عشرة الربيع فصرفه عنه وعن بلاده ، واراد الربيع ان يتنصّل من الوصمة التي وصمه بها لبيد إلا ان النعمان اجابه :

قد قيل ذلك ، ان حقاً وان كذباً   فما اعتذارك من قول اذا قيلا ؟

وروي ان النابغة رأى لبيداً وهو صبي يخرج من عند النعمان ، فقال له : الي ، يا ابن اخي ، فأتاه ، فقال : انشدني . فانشده قوله :

ألم تلمم على الدمن الخوالي   لسلمى بالمذانب فالقفال ؟

---

(١) الاغاني ١٤ ص ٩٠ – ٩٦ وزيدان ج الآداب العربية ١ ص ١١١ والعمدة ١ ص ٢٦ والروائع ٢٤

فقال له النابغة : انت اشعر بني عامر ، زدني ، فانشده :

طلل لخولة بالرسيس قديم بعماقل فالانعمين وشوم

فقال له : انت اشعر هوازان ، زدني ، فانشده :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

فقال له : اذهب فانت اشعر العرب !

وذكروا ان عمرو بن الخطاب بعث الى المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة ، يقول له : استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا في الاسلام . فارسل الى لبيد وقال انشدني ما قلته في الاسلام . فكتب سورة البقرة في صحيفة ثم اتى بها وقال : ابدلني الله هذا في الاسلام مكان الشعر .

ووفد حسّان بن ثابت ، المتوفى سنة ٦٧٢ م ، على النعمان بن المنذر . وهو من الخزرج ومن المخضرمين (١) . واشتهر في الجاهلية بمدح ملوك غسّان وملوك الحيرة وله مع النابغة الذبياني احاديث . واختصّ بعد الاسلام بمدح النبي والدفاع عنه ، وهو يُعدّ اشعر اهل المدن في ذلك العصر .

قال حسّان : قدمتُ على النعمان بن المنذر وقد امتدحته . فاتيت حاجبه عصام بن شهبرة فجلست اليه . فقال : اجئتَ بمدحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فاني ارشدك اذا دخلت عليه فانه يسألك عن جبلة بن الايهم ويسبه فاياك ان تساعده على ذلك ، ولكن امر ذكره مراراً لا توافق فيه ولا تخالف وقل : ما دخول مثلي ايها الملك بينك وبين جبلة وهو منك وانت منه . واذا دعاك الى الطعام فلا تؤاكله فان اقسم عليك فاصب منه اليسير . ولا تطل محادثته ، ولا تبدأه باخبار عن شيء حتى يكون هو السائل لك ولا تطل الاقامة في مجلسه . فقلت : احسن الله رفدك . ودخل ثم خرج اليّ فقال لي : ادخل . فدخلتُ ، فسلمت تحية الملوك ، فجاراني من امر جبلة ماقاله عصام كأنه كان حاضراً واجبت عما امرني به . ثم استأذنته في الانشاد فأذن لي . وامرلي بالطعام والشراب ففعلت مثل ذلك فامر لي بجائزة سنية وخرجتُ فقال لي عصام بقيت عليّ واحدة لم

(١) الاغاني ٩ : ١٦٤ . وزيدان : الاداب العربية ١ : ١٥٢ . والعقد الفريد ١ : ١٧٥

أوصلك بها . قد بلغني ان النابغة الذبياني قدم عليه ، وإذا قدم ليس لاحد منه حظ سواه فاستأذن حينئذ ، وانصرف مكرماً خير من ان تنصرف مجفواً .

وهذا يزيد بن عبد المدان (١) «٦١٥م» من مذحج ذكر النعمان بن المنذر غير مرة في شعره ومن ذلك قوله معيّراً عامر بن الطفيل :

كانت اتاوة قومه لمحرّق … زمناً وصارت بعد للنعمان

فقال عامر بن الطفيل :

عجباً لواصف طارق الاحزن … ولما تجيء به بنو الديّان

فخروا عليَّ بحبوة لمحرّق … واتاوة سبقت الى النعمان

ماانت وابنُ محرّق وقبيله … واتاوة اللخمي في غيلان

روى ابن الكلبي ان ابن جفنة سأل القيسيين في مجلس حضره يزيد بن عبد المدان ، شاعرنا هذا ، عن النعمان بن المنذر ، فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ماتقول يابن عبدالمدان ؟ فقال يزيد : ياخير الفتيان ليس صغيراً من منعك العراق وشركك في الشام ، وقيل له ابيت اللعن ، وقيل لك ياخير الفتيان ، والفى اباه ملكاً كما الفيت اباك ملكا . وايم الله مافيهم رجل إلا ونعمة النعمان عنده عظيمة ... وقال يزيد بن عبد المدان شعراً فيما كان بينه وبين القيسي عامر بن مالك الذي كان حاضراً وغضب ، واليك الشعر :

تعالى على النعمان قوم اليهم … موارده في ملكه ومصادره

على غير ذنب كان منه اليهم … سوى انه جادت عليه مواطره

فباعدهم من كل شر يخافه … وقرّبهم من كل خير يبادره

فظنوا واعراض المنون كثيرة … بان الذي قالوا من الامر ضائره

فلم ينقصوه بالذي قيل شعرة … ولا فُلِّلت انيابه واظافره

والحرث الجفني اعلم بالذي … يبوءُ به النعمان ان جف طائره

فيا حارِ كم فيهم لنعمان نعمة … من الفضل والمن الذي انا ذاكره

ذنوباً عفا عنها ، ومالاً افاده … وعظماً كسيراً قوّمته جوابره

---

(١) الاغاني ١٠ : ١٤٠ : وشعراء النصرانية ٨١

ولو سأل عنك الغائبين ابن منذر لقالوا له القول الذي لايحاذره

زهير بن ابي سلمى (١) وهو من مزينة احدى قبائل مضر. ومما ينسب اليه قصيدة ذكر فيها النعمان بن المنذر حين طلبه كسرى ليقتله ومدح بني رواحة من بني عبس الذين ارادوا ان يجيروا النعمان. وقد نسب بعضهم هذه القصيدة الى صرمة الانصاري ومطلعها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما ارى من الامر او يبدو لهم مابدا ليا

الى ان قال:

ألم تر للنعمن كان بنجوة من الشرّ لو ان امرءاً كان ناجيا

فغيّر منه ملك عشرين حجةً من الدهر يوم واحد كان غاويا

فلم ارَ مسلوبا له مثل ملكه اقلّ صديقاً باذلا او مؤاسيا!

فاين الذين كان يعطي جياده بارسانهنّ والحسان الغواليا؟

واين الذين كان يعطيهم القرى بغلاتهنّ والمئين الغواديا؟

واين الذين يحضرون جفانه اذا قدّمت القوا عليها المراسيا؟

نجتزىء بمن ذكرناهم من شعراء الجاهلية الذين كان لهم مختلف الصلات بالحيرة وملوكها؛ ولا سيما في القرن السادس. وهناك رهط آخر من الشعراء في الجاهلية والاسلام ممن ذكروا الحيرة وملوكها وحروبهم وقصورها وديارتها وخماراتها كطخيم الطخياء الاسدي؛ وابي الطمحان القيني؛ وسليط بن سعد؛ والخرنق اخت طرفة، وحنين بن بلوع الحيري؛ وعبدالله الحر الجعفي؛ والثرواني؛ والحماني؛ وابن كناسة؛ وابي نواس؛ والسيد الشريف الرضي؛ وابي العتاهية؛

ومن الشعراء الحيريين الذين نشأوا بعد الاسلام ابو قابوس الشاعر النصراني الذي كان منقطعاً الى البرامكة فلما اوقع الرشيد بجعفر صنع ابو قابوس ابياتاً وانشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحيى واليكها: (٢):

---

(١) الاغاني ٩: ٤٠ - ١٥١: وشعراء النصرانية ٥١٠، والشعر والشعراء ٥٧، وزيدان الآداب العربية ١: ١٠٥، والروائع ٢٥

(٢) العمدة ١: ٣٣

أمين الله هب فضل بن يحيى ... لنفسك ايها الملك الهمام
وما طلبي اليك العفو عنه ... وقد قعد الوشاة به وقاموا
ارى سبب الرضى عنه قوياً ... على الله الزيادة والتمام
نذرتُ عليَّ فيه صيام شهرٍ ... فان تمّ الرضى وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو ... محاسن وجهه ريح قتام
اما والله لولا خوف واشٍ ... وعين للخليفة لاتنام
لطفنا حول جزعك واستلمنا ... كما للناس بالحجر استلام
وما ابصرتُ قبلك يابن يحيى ... حساماً قدّه السيف الحسام
عقابُ خليفة الرحمن فخرٌ ... لمن بالسيف عاقبه الحمام (١)

وكأني بارض الحيرة منبت العلم وبفضائها مجرى المعرفة فلم تقتصر جاهليتها على احتكارها بل انها كانت في الاسلام محافظة على آثار شنشنتها العلمية . فهاانني ارى فيها مجمعاً فقهياً في القرن الثاني للهجرة يرأسه الخليفة ابو جعفر المنصور ويتبارى فيه الفقيهان الامام ابو حنيفة وجعفر بن محمد . قال ابو حنيفة : بعث اليَّ ابو جعفر المنصور ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيء له مسائل شداداً فلخّصت اربعين مسئلة وبعثتها الى المنصور بالحيرة ثم ابردالي فوافيته وهو على سريره وجعفر بن محمد عن يمينه فتداخلني من جعفر هيبة لم اجدها من المنصور فاجلسني ثم توجّه الى جعفر قائلا ياابا عبد الله هذا ابو حنيفة فقال نعم اعرفه، ثم قال المنصور سله مابدالك ياابا حنيفة فجعلت اسأله ويجب الاجابة الحسنة ويفحم حتى اجاب عن اربعين مسئلة فرأيته اعلم الناس باختلاف الفقهاء (٢)

فانت ترى من هذا كله ان ذكر الحيرة خالد عند العرب مادام العرب يتغنون باشعار الجاهلية ويفخرون بعلّاقاتهم .

* * *

(١) قال ابن رشيق « العمدة ١ : ٣٣ » اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه احدهما لأشجع السلمي والآخر لسليمان اخي صريع فالناس فيه يختلفون وهذه صحته

(٢) كتاب جامع مسانيد ابي حنيفة لقاضي القضاة محمد بن محمود الخوارزمي المطبوع بحيدراباد الدكن سنة ١٣٣٢ في ٢٢٢ . ارشدنا اليه صديقنا العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني

الامثال العربية والحيرة

لايخلد ذكر الحيرة في الآداب العربية بمدارسها ، وبالخط المنسوب اليها ولا بعلاقة الشعراء وقصائدهم ومعلّقاتهم ومجمهراتهم ومفضليّاتهم بها فحسب ؛ بل هناك طائفة كبيرة من الامثال السائرة في لغة الضاد نشأت في الحيرة نفسها ، او هي وليدة حوادث لها مساس بتاريخ الحيرة ، او ان مخيلة المفسّرين اخترعت تلك القصص لربط الامثال بها .

ومهما كان الحال فذكر الحيرة وذكر ملوكها وامرائها مرتبط بالآداب العربية وامثالها بروابط متينة العرى مجدولة القوى . ومن تلك الامثال ماقيل في حادثة الزبّاء وجذيمة الابرش وقصير وهي « رأي فاتر ، وعدوّ حاضر » — « رأيك في الكنِّ لا في الضحِّ » — « قصير لايطاع لقصير امر » — « ببقّة ابرم الامر » — « ببقّة تركت الرأي » — « خطر يسير ، وخطب كبير » — « ويل امّه على متن العصا » — « ماضلّ من تجري به العصا » — « بلغ المدى ، وجف الثرى ، وامر غدر ارى » — « امنع من عقاب الجو » — « لامر جدع قصير انفه » الى غير ذلك (١) . وقد نسب الى الزبّاء المثل « بيدي لا بيد عمرو » (٢) .

ومثل نشأة هذه الامثال ورد في سيرة عبيد الابرص وحكايته مع ملك الحيرة . ومن تلك الامثال : « اتتك بحائن رجلاه » — « حال الجريضُ دون القريض » — « بلغ الحزام الطبيين » — « المنايا على الحوايا » — « لايرحل رحلك من ليس معك » — « من عزّ بزّ » (٣)

وقال طرفة لما كان ينشد المسيّب بن علس في الحيرة امام عمرو بن هند شعراً في وصف الجمل ثم انتقل الى نعت الناقة : « قد استنوق الجمل » (٤)

ونشأ في الحيرة المثل القائل « قد يضرط الحمار والمكواة في النار » قاله مسافر

---

(١) ابن الاثير ١ : ١٣٧

(٢) الاغاني ١٤ : ٧٣

(٣) الاغاني ١٩ : ٨٧

(٤) الاغاني ٢١ : ١٣١

ابن عمرو بن أُمية عندما أُريد كيده في الحيرة (١) . وقيل المثل: « اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها » لما أُريد استرجاع سلمى بنت وائل ، الصائغ من فدك ، من اسرها وهي التي اضحت بعد ذلك زوج المنذر بن امرىء القيس الثاني وام النعمان بن المنذر (٢)

ومن الامثال التي نشأت وقائعها في الحيرة : « حتى يؤوب المنخّل » — « اخرمن حارث بن حلزة » — « جزاء سنمار » (٣) — « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » (٤) — « ابطش من دوسر » (٥) — « افتك من الحرث بن ظالم » (٦) — « اعزّ من حليمة » (٧) — « اعزّ من مروان بن القرظ » (٨) — « اخيب من حنين » (٩)

وهناك طائفة غير هذه من الامثال نشأت في الحيرة لا يسعنا ان نوردها كلها لضيق المقام ، فلتراجع في مظانّها.

---

(١) الاغاني ٨ : ٤٧   (٢) الميداني ١ : ٨٩
(٣) الميداني ١ : ١٠٧   (٤) « ١ : ٨٦
(٥) « ١ : ٨٧   (٦) « ٢ : ٣٤
(٧) « ١ : ٣٣١   (٨) « ١ : ٣٣١
(٩) « ١ : ١٧٢

الخطـابة

الخطابة قسم من آداب اللغة احتاج اليها المتكلمون بلغة الضاد للمفاخرة بالاحساب والآداب في المجالس والاندية العامة والخاصة ولايفـاد الوفود . وللمناذرة ، ملوك الحيرة ، منزلة في تاريخ الخطابة عند العرب . وقبل ان نذكر شيئاً في هذا الباب لابد لنا من التنويه باننا لانسلم مستسلمين بصـدق الروايات التي ننقلها عن الادباء والمؤرخين ولا نبتّ بصحتها كأنها حقائق تاريخية باجمعها بل نعتقد ان هناك طائفة من الروايات والمرويّات وضعت لغـايات مقصودة على السنة بعض مشاهير الرجال . وقد تـكون الرواية التي نستشهد بها هنا من هذا القبيل كلها او بعضها . ولـكن هناك حقيقة لانتمكن من انكارها وهي ان تـكرار ذكر ملوك الحيرة في الآداب العربية لدليل باهر على مقامهم السامي وموقفهم الرفيع في اذهان العرب . وبعد هذه الـكلمة نقول :

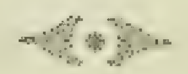
قال ابن القطامي نقلا عن الـكلبي : قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود العرب والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبـلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضّلهم على جميع الامم لايستثني فارس ولا غيرها فقال كسرى ، واخذته عزة الملك ، معدداً فضائل الامم ومغمطاً من حق العرب . فاجابه النعمان : اصلح الله الملك ، حقٌ لامة الملك ان تسمو فضائلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها الا ان عندي جواباً في كل مانطق به الملك في غير ردٍّ عليه ولا تـكـذيب له . فان امنني من غضبه ، نطقت به . قال كسرى : قل فانت آمن . فطفق النعمان يوصف فضائل العرب واخلاقهم وعزّة نفوسهم بكلام بليغ . فعجب كسرى لما اجابه النعمان وقال : انك لاهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولمـا هو افضل . ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه مافيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميـين ، والى الحرث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة بن

علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد الكلبي ، وعمرو بن معدي كرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المري . فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوّفت ان يكون لها غور ولا يكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه ، ودعا لهم بما في خزائنه من طرف حلل الملوك ، واعطى كل رجل منهم حلة ، وعمّمه عمامة ، وختّمه بياقوتة، وامر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة ، وارسلهم الى كسرى وكتب معهم كتاباً . فلما صاروا الى مجلس كسرى خطب كل منهم خطبة آية في البلاغة والفوا من درر الكلام ما يزري بالجمان ويصحّ ان تتخذ فصاحته منوالاً ينسج عليها (١)

***

قصارى القول ان الحيرة كانت في عهد عزّها وابّان سلطانها مركزاً خطيراً للعلوم والمعارف وملتقى كبار الادباء ومشاهير الشعراء . وكان ملوكها منشطين الحركة الادبية العربية والحضارة ولا سيما في القرن السادس للميلاد . ولا نخطىء الحز ان ذهبنا الى ان الحفر في اطلالها يوقفنا على حقائق تاريخية يجهلها العلماء ، او انهم مختلفون في تعليلها ، سواء اكان في التاريخ او الآداب او فنون الريازة والنقش والتزويق . فنختم مقالنا هذا بقول الاثري تلبوت رايس (٢) : « ان مشاكل كثيرة نجدّ اليوم في طلبها ولا نتوصل اليها ، ولكن حلولها تنتظرنا في بطن ارض الحيرة وبين ثنايا آثارها المدفونة » .



(١) العقد الفريد ١ : ١٦٦ — ١٧٤ ؛ وزيدان : آداب اللغة العربية ١ : ١٦٩

(٢) journal of the Royal Asiatic asian Society, April 1932, p. 265

الصناعات في الحيرة

مدينة تشتهر في التاريخ بزهوها وقصورها وعماراتها وديوراتها وبأبهة ملوكها وترف ملتكاتها، ويتغنى الشعراء بعظمتها ورقة نسيمها، ويقصدها المترفون والاغنياء، ويترنح الفتيان صبابة على أصوات قنانيها، ويرقص الشبان تيهاً على انغام اعوادها. ألا تكون الصناعات فيها زاهرة؟ هذا فضلاً عن السوق التجارية التي كانت تقام فيها واشتراك المناذرة بسوق عكاظ.

مما لا ريب فيه ان الحيريين اشتغلوا بالفلاحة والزراعة وتربية الماشية. امور تطلبها الحياة قبل اي شيء ويزيدها تشجيعاً خصب تربة السواد ومياه الفرات، ويقضي بها موقع الحيرة وموقف سكانها ذاك الموقف الجامع بين بداوة الجاهلية والحضارة الراقية. ترى اهل الحيرة يعبرون كل صباح على الجسر الى ضياعهم (١) كما اننا نرى إبل النعمان العصافيرية ترعى وقد اشتهر امرها بين قبائل العرب وفيها يقول ذو الرمّة:

هجائن من ضرب العصافير ضربها   أخذنا أباها يوم دارة مأسل (٢)

تلك العصافير التي طلبها مالك من عنترة العبسي مهراً لأبنته عبلة فذهب في طلبها فقبض عليه وسجن في الحيرة في سجن المنذر بن ماء السماء (٣)

اما خصب مملكة الحيرة فحدّث عنه ولا حرج. فمن وقف على الخورنق، وبعث بنظرة الى الغرب رأى النجف وفيه النخل والبساتين والانهار، واذا إلتفت الى الشرق رأى الفرات وما فيه من الخضرة والانوار، ورأى الأبل والملاّحين وصيّادي السمك، يتيه خيلاء وعجباً (٤) فكانت المرأة تخرج من الحيرة وتضع مكتلها على رأسها لا تزوّد إلا رغيفاً واحداً حتى تأتي الشام (٥).

(١) معجم البلدان مادة «جسر» ٢) كذلك مادة «دارة مأسل» ٣) شرح ديوان عنترة بن شداد طبعة يوسف البستاني ص ٦٨ و ١٦٩ (٤) الاصفهاني: تاريخ سني ملوك الخ ص ٩٨ (٥) أمالي السيد المرتضى ١ : ١٨٨

كان ذلك في ابّان عز المناذرة. ولكننا نراها بعد عهدهم سائرة الى الخراب فنسمع أبا دلامة (١) مستهزئاً بهبة الخليفة ابي جعفر المنصور فيقول له : « انا اقطعك يا امير المؤمنين اربعة آلاف جريب عامرة بين الحيرة والنجف وان شئت زدتك » (٢) .

كان في الحيرة النسّاج والقيون والصاغة. فالنسّاج ينسجون القز والكتان والصوف ، ولنا أدلة تاريخية على ذلك ومنها قول عمرو بن كلثوم :

اذلا ترجي سليمى ان يكون لها   من بالخورنق من قين ونسّاج (٣)

وجاء في ذكر المناذرة : (٤)

والقزّ والكتان اثوابهم   لم يجب الصوف لهم جائب

وكان القماش احياناً موشى بالقصب أو مطرزاً بخيوط الذهب . ذكر البكري عن النعمان وركبه عند خروجهم في كل عيد قائلاً : « وعليهم حلل الديباج المذهبة » (٥) وكانت الأميرات في بيوت المناذرة يلبسن الدمقس والحرير . قال المنخل اليشكري في هند بنت عمرو بن هند : (٦)

والكاعب الحسناء تر   فل في الدمقس وفي الحرير

ومن البسة الحيريين الساج والطيلسان وورد ذكرهما فيما فرضه خالد بن الوليد على النصارى العباديين وزعيمهم عبد المسيح بن بقيلة (٧) ومن البستهم الدخدار اسم فارسي معرب ، وهو الثوب المصون اصله تخت دار وقال عدي بن زيد : (٨)

تلوح المشرفية في ذراه   ويجلو صفح دخدار قشيب

ومنها اليلمق ، جاء ذكره في وصف عدي بن زيد في يوم فصح دخل ليتقرب في كنيسة توما في الحيرة وكان لابساً يلمقاً مذهباً لم ير مثله حسنا كان

---

(١) هو زيد بن الجون السكوني المتسمي أبا دلامة نسبة الى ابيه دلامة وهو من رجال القرن الثاني للهجرة توفي سنة ١٦١ الهجرية (٢) الاغاني ٩ : ١١٧ (٣) شعراء النصرانية ص ٢٠٣ سليمى او سلمى هي ام النعمان بن المنذر (٤) معجم البلدان مادة « دير هند الكبرى » (٥) معجم ما استعجم ٣٦٦ (٦) الاغاني ٩ : ١٥٩ (٧) مروج الذهب ١ : ٢٢١ (٨) شعراء النصرانية ٤٥١

فرخانشاه مرد قد كساه اياه (١) ومن الثياب الحارية ايضاً الشرعبية والسيراء (٢) وجاء في الاغاني (٣) وصف لبس حنين بن بلوع مغني الحيرة فقال: « وكان عليه قباء خشك شوى أو خشكوني ومنطقة حمراء وخفان مكعبان » وكان يلبس الملوك المناذرة التيجان في رؤوسهم (٤) ويلبس الحيريون العمائم (٥).

ومن ألبستهم « أثواب الرِّضا » وهي جباب اطواقها الذهب في قُضُب الزمرّد. » وأظن ان ملوك الحيرة كانوا يهبونها لمن رضوا عليه وأصدق لهم الخدمة او هي بمثابة الالبسة الرسمية المقصبة التي تمنحها الحكومات في هذه الأيام. وقد جاء ذكرها في رواية يقال ان النابغة الذبياني دخل على النعمان بن المنذر فحيّاه تحية الملوك ثم قال ايفاخرك ذو فائش وانت سائس العرب وغرة الحسب واللات لأمسك اليمن من يومه. ولعبدك اكرم من قومه ولقفاك احسن من وجهه وليسارك اجود من يمينه ولظنك اصدق من يقينه ولوعدك ابلج من رفده ولخالك اشرف من جده ولنفسك امنع من جنده وليومك ازهر من دهره ولفترك ابسط من شبره وانشد:

أخلاق مجدك جلّت ما لها خطر ... في البأس والجود بين الحكم والخفر
متوّج بالمعالي فوق مفرقه ... وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
إذا دجا الخطب جلاه بصارمه ... كما يجلّي زمان المحل بالمطر

فتهلل وجه النعمان سروراً ثم امر ان يملأ فوه دراً ويكسى اثواب الرّضا (٦). ومنها المرفل: ذكره المتلمس (شعراء النصرانية ٣٤٨) قال:

إني كساني أبو قابوس مرفلة ... كأنها سلخ أبكار المخاريط

وقد اشتهر الثوب الحاري كل الشهرة حتى شبهوا بليتهم به (٧) كما سيأتي الكلام عنه والحاري ايضاً انماط نطوع تعمل بالحيرة تزيّن بها الرحال وانشد يعقوب: (٨)

(١) الاغاني ٢ : ٣٠ اليلمق القباء اصله بالفارسية يلمة عن ادب الكاتب البطليوسي (٢) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٨ والخمس ٤ : ٧١ (٣) الاغاني ٢ : ١٢٠ (٤) الطبري ٢ : ١٤٦ (٥) العقد الفريد ١ : ١٦٦ - ١٧٤ (٦) الفرباء لابي الحجاج البلوي عن مجاني الادب ٣ : ١٧٤ (٧) مجلة لغة العرب ٦ : ٢١٢ (٨) تاج العروس مادة « حير ».

عقداً ورقاً وحارياً يضاعفه ... على قلائص امثال الهجانيج

وعلى ذكر الاغاط نرد بالرحال الحارية المشهورة كل الشهرة قال النابغة الذبياني في القصيدة التي مطلعها « يا دار مية » الخ : (١)

والادم قد خيست فتلا مرافقها ... مشدودة برحال الحيرة الجدد

ويقال ان امرأ القيس أشار الى هذه الرحال اذ قال : (٢)

فلما دخلناه اضفنا ظهورنا ... الى كل حاري جديد مشطب

أما القيون فكانوا يصنعون لوازم العمارة من الحديد كالباب الحديدي الذي كان موضوعاً على دير الاسكون (٣) ويصنعون شكات السلاح والسيوف الحارية الشهيرة والسهام ونصال الرماح وغيرها مما كان يتخذ اسلحة لكتائب الجيش ، وكتائب المناذرة معروفة ببطشها ولا سيما الشهباء والدوسر (٤) كما كانوا يعدون الاغلال للمسجونين . قال عدي بن زيد في سجنه : (٥)

وفي حديد القسطاس يرقبني الحا ... رس والمرء كل شيء يلاقي

في حديد مضاعف وغلول ... وثياب منضحات خلاق

ونرى الصاغة يصوغون الذهب والفضة ويرصعونها بالجواهر ، ولنا في قول البكري شاهد على ذلك قال : (٦) « كان النعمان يركب في كل عيد ومعه اهل بيته ... عليهم حلل الديباج المذهبة ، رؤوسهم اكاليل الذهب ، وفي اوساطهم الزنانير المفضضة بالجوهر وبين ايديهم اعلام فوقها صلبان ، فاذا قضوا صلواتهم انصرفوا الى مستشرفة في النجف »

وقال النابغة الذبياني في وصف المتجردة زوج النعمان : (٧)

والنظم في سلك يزين نحرها ... ذهب توقد كالشهاب الموقد

(١) شعراء النصرانية ص ٦٦٥ راجع المخصص ٤ . ٣٤ — ٩٦ والساق على الساق لفارس الشدياق ١٢٢ عن ايام العرب (٢) المعلمة الاسلامية مادة « حيرة » وشعراء النصرانية ص ٢٦ الا ان صاحب التاج يقول ان الحاري في هذا البيت هو السيف المنسوب الى الحيرة (٣) معجم البلدان مادة « دير الاسكون » (٤) حمزة الاصفهاني ٦٨ (٥) شعراء النصرانية ص ٤٥٥ (٦) معجم ما استعجم ٣٦٦ ، وجاء مثل هذه الرواية عن بني الحارث في نجران في معجم البلدان مادة « دير نجران » (٧) شعراء النصرانية ص ٦٤٣

أو كما جاء في رواية الاصبهاني : (١)

بالدر والياقوت زين نحرها ومفصل من لؤلؤ وزبرجد

وكانت آنية الذهب والفضة كثيرة في قصور المناذرة حتى ان النابغة نفسه كان يأكل فيها وهي من عطايا النعمان وأبيه وجده (٢) . ومن آنيتهم الديسق جاء في تعريفه في كتب اللغة هو خوان من فضة وما يشبه ذلك ، ذكره المتلمس في قصيدته الى عمرو بن هند التي مطلعها « ألك السدير وبارق » الخ الى ان قال : « والقذات من صاع وديسق » (٣)

وكانوا يلبسون أطفالهم وصبيانهم أطواق الذهب وقد لبسه في حداثته عمرو بن عدي رأس سلالة اللخميين (٤)

ولم يقتصر اشتغال الحيريين على ما ذكرنا بل كان لهم اليد الطولى في النجارة والتنجيد ، النجارة لبناء العمارات والقصور والبيع والديارات ، والتنجيد للفراش ، فقد اشتهرت رقمها ، وكان يتخذ بها من الفرش اشياء ظريفة (٥) وكانوا يصنعون اواني الفخار (الكوارة) ويطلون بعضها طلاء ذا ألوان بهية ؛ وقد عثرت بعثة رتلنكر على طائفة منها في اطلال الحيرة مختلفة الاشكال تضاهي ما اكتشفه سار وهرسفلد في سامراء (٦)

أما فن الريازة فكان قد بلغ شأواً من الاتقان . فبيوتها كانت مخططة تخطيطاً رفيعاً ومتناسبة الاجزاء بنسب دقيقة (٧) . والطراز البنائي الحيري مشهور ذكره العرب وحاكاه أحد الخلفاء العباسيين وهو المتوكل . قال المسعودي (٨) : « أحدث المتوكل في ايامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحيري والكمين (هكذا ورد عن المسعودي وصحيحه ذي الكمين) ، والاروقة . وذلك ان بعض سماره حدثه في بعض الليالي ان بعض ملوك الحيرة

(١) الاغاني ٩ : ١٥٧ (٢) كذلك ص ١٦٥ (٣) شعراء النصرانية ٣٤٦ (٤) الميداني في مجمع الامثال ٢ : ٥٦ في شرح المثل « كبر عمرو عن الطوق » (٥) الاغاني ٢ : ١٢١

(٦) مجلة الجمعية الاسيوية الوسطى الملكية ١٩٣٣ ص ١٦٦

(٧) Manchestr Guardian 7-12-32

(٨) مروج الذهب ٧ : ١٩٢

من النعمانية من بني نصر أحدث بنياناً في دار قراره وهي الحيرة على صورة الحرب وهيئتها للهجه بها وميله اليها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب اليه من خواصه ، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحيري والكمين (صحيحه ذي الكمين) اضافة الى الحيرة واتبع الناس المتوكل في ذلك إئتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية » انتهى . وهذا الوصف يلمع الى هيئة قصر السدير .

وقد قال الدكتور هرسفلد : « ان العرب قد اجادوا في وصف هذا البناء أحسن إجادة ولقد صدقوا في قولهم ان « الحاري بكمين » هو مثال عسكر روماني ذاهب الى الحرب بجناحين ميمنة وميسرة (١)

وكان الحيريون يستعملون في ابنيتهم اللبن (٢) والآجر والمرمر والجص والقرمد ، وقد قال النابغة الذبياني في ذلك : (٣)

او دمية من مرمر مرفوعة   بنيت بآجر تشاد وقرمد (٤)

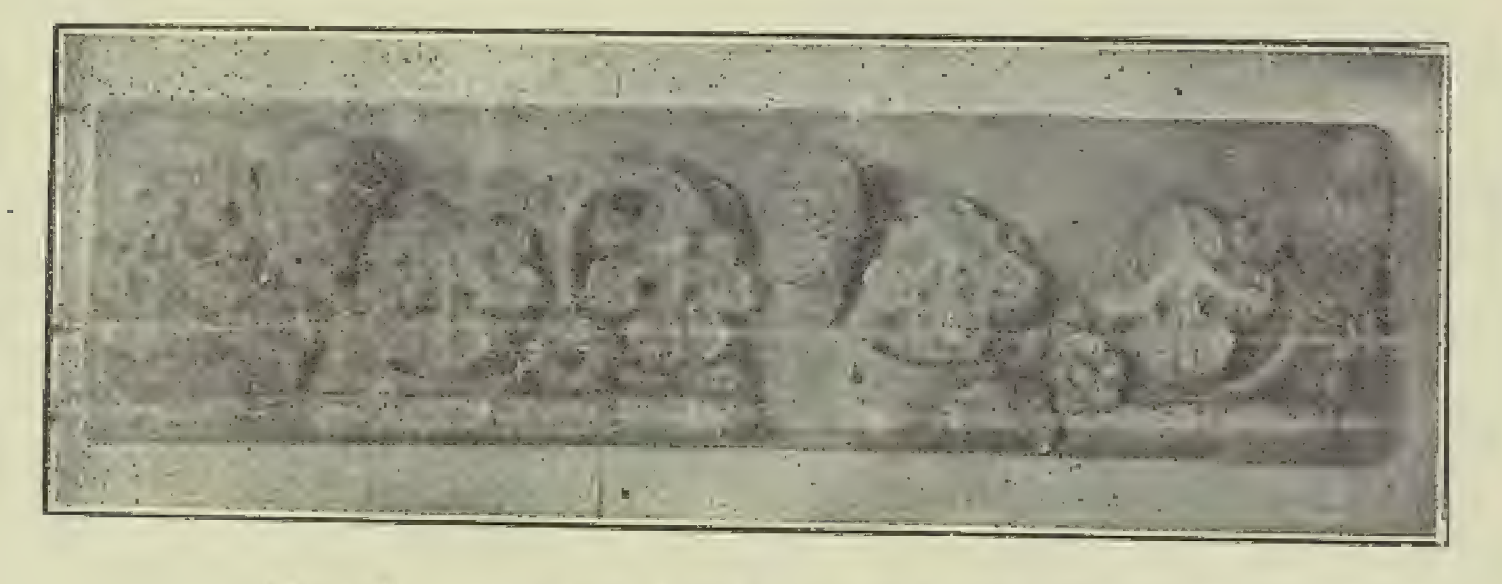
وقد تفنن الحيريون بنقش « عماراتهم » وزخرفها بالرسوم وبطلاء سقوفها بالفسافس والذهب (٥) وقد عثر رتلنكر ورايس على طائفة من الزخرف في غضون نبشهما اطلال المدينة سنة ١٩٣١ فانهما وجدا معظم الغرف مزيناً بزخارف « من جص » نات ومشبع وطرز نقشه ثقيل يشترك بين الطرز الروماني والطرز

(١) مجلة العرب ٢: ٥١٦ (٢) Journal of R. C. A. Society April 1932
(٣) شعراء النصرانية ٦٤٣ (٤) المرمر الرخام الابيض وهو معروف في العراق ، وقوله تشاد اي ترفع بالشيد وهو الجص ، وجاء في القاموس القرمد الخزف المطبوخ ، والاصح هنا ما جاء في المخصص ٥ : ١٢٣ اذ قال القرمد كل ما طلي به كالجص والزعفران (٥) معجم البلدان مادة « دير نجران »



الرسم (٧)

مقابل ص ٨٧



نقش من السنوق وجد في غرفة من التل الرقم ٤ في الحيرة من القرن الثامن

الفارسي ، وقد خصا احدى الدور فوجداها ممثلة قطعاً من ظلوم (١) جميلة مصبوغة اصباغاً لطيفة كل اللطافة وبهجة وفيها رسم صليب محاط بدائرة يتكرر رسمه مراراً (٢) كانت بعض الصلبان بارزة وبعضها كانت محفورة « طامسة » في غاشية الجص التي تغشي الجدار (٣)

ومما جذب نظر الأثريين خلو هذه الرسوم من تمثيل الانسان في الحيرة والاقتصار على تمثيل الزهور والفواكه والبقول في قرن سبق عهد الاسلام ، مع ان الحفارين في كيش التي لا تبعد أكثر من ثلاثين ميلا عن الحيرة وجدوا صور الانسان والحيوان بكثرة وعهدها ساساني يتفق وعهد النقوش المكتشفة في الحيرة .

اننا لا نشك في وجود رسوم تمثل البشر والحيوان في الحيرة ولكن لا يصح اتخاذ الحفر الابتدائي هناك مقياساً لكل ما في الحيرة من تركة المصورين والنقاشين الفنانين فيها ، وأكبر دليل عندنا أقوال بعض الشعراء والمؤرخين في الدمى والصور في الحيرة وقد أوردنا بيتاً للنابغة فويق هذا صدره « أو دمية من مرمر مرفوعة » الخ

وقد قال عدي بن زيد مشبهاً :

كدمى العاج في المحاريب أوكا　　لبيض في الروض زهره مستنير (٤)

وقال المسيب بن علس :

أو دميـة صور محرابهـا　　أو درة شيفت الى تاجر (٥)

وقال عبدالله بن العجلان

---

(١) الظلوم جمع ظلم على وزن حرب اتخذت هذه الكلمة لترجمة ما يقال في الانكليزية Frescoes وفي الفرنسية Fresques ومعناه صورة منقوشة على حائط حديث الطلاء وتلك النقوش محلولة في ماء الكلس ويقال للحائط المزوق بهذه الصفة مظلماً قال في اللسان : بيت مظلم كمظلم مزوق . كأن النصارى وضعت اشياء في غير موضعها وان لم يكن هذا التعريف منطبقاً كل الانطباق على ترجمة اللفظ الفرنجي . آثرنا استعماله لخلو لغتنا من مقابل لهذا المعنى ا مجلة لغة العرب ٥ : ٤٩٦) (٢) جريدة مانشستر غارديان بتاريخ ٧ ديسمبر ١٩٣١ (٣) جريدة الجمعية الاسيوية الوسطى الملكية نيسان ١٩٣٢ (٤) شعراء النصرانية ٤٥٥ (٥) لسان العرب ٧ : ١٧

غرّاء مثل الهلال صورتها ومثل تمثال صورة الذهب (١)

وقال عمرو بن ابي ربيعة :

دمية عند راهب ذي إجتهاد صوروه في جانب المحراب (٢)

وقال الاخطل :

حتى يشب بياض النحر واقده كما تصور في الدير التماثيل (٣)

وشهادة ياقوت الحموي لا تبقي شكاً فيما نقول وهي : ان اهل المنذر كانوا يجعلون في حيطان دياراتهم الفسافس وفي سقوفها الذهب والصور (٤)

ومن منتجات الحيرة الأثمد وقد نال شهرة بعيدة وفيه يقول عمرو بن معديكرب :

كأن الأثمد الحاري منها يسف بحيث تبتدر الدموع (٥)

واشتهرت أطباق الحيرة باسم « الحيريات » جمع حيرية والحيرية طبق يسوّى من قضبان الخلاف والصفصاف أو الرمان يتخذه أهل الحيرة لوضع الأثمار والفواكه (٦) وكانوا يصنعون القضم جمع قضيم وهو الأديم الخروز وقال النابغة:

كأن مجر الرامسات ذيولها عليه قضيم نمقته الصوانع

ولعجز هذا البيت رواية اخرى فيقولون « عليه حصير » الخ ولا عجب من هذه الرواية لأن صنع الحصير قديم في العراق . أما القضيم فجلد يكتب عليه ، والصوانع الكتاب (٧) ومن صناعات أهل الحيرة الدباغة وصنع الاحذية قال النمر بن تولب :

فترى النعاج بها تمشي خلفه مشي العباديين بالامواق

وكانت هذه الخفاف تتخذ من الجلد المدبوغ بالقرظ فيدعونه السبت وينتعل بها السادة (٨) وقد عرف الحيريون صناعة الشمع للاستنارة بنوره .

(١) الاغاني ١٩ : ١٠٢ (٢) الكامل للمبرد (٣) ديوان الاخطل ص ١٢ (٤) معجم البلدان مادة « دير نجران » (٥) كذلك مادة « حيرة » (٦) مجلة لغة العرب ٦:٣٥٥ (٧) شعراء النصرانية ٦٨٨ والمفصل للزمخشري ص ٢٣٩ (٨) اللسان ١٢ : ٢٢٧ والتاج ٢ : ٢٢٧ وشيخو : النصرانية وآدابها ٢١٩

ويروى انه قد صنع لجذيمة الابرش التنوخي في اوائل القرن الثالث للميلاد (١) وكانت الامتعة والعروش المصنوعة من العاج معروفة في تلك الديار وقد مر بنا في قول عدي بن زيد وصف دمى العاج . وجاء في معلقة عمرو بن كلثوم تشبيه الثدي بحق العاج :

وثدياً مثـل حق العاج رخصاً   حصاناً من أكف اللامسينا (٢)

لا بل انهم اتخذوا من هذه المادة الثمينة لترصيع سواري بناياتهم ، قال عمرو بن كلثوم ايضاً :

وسارية بلنط (٣) أو رخام   يرن خشاش حليهما رنينا

وطارت شهرة الغناء الحيري في الآفاق ، وكانت القيان اللواتي يغنين غناء الحيرة يبعثن الى الملوك والامراء فبعث أياس بن قبيصة الى جبلة بن الأيهم خمس قيان يغنين غناء الحيرة (٤) وذكر المسعودي انه لم تكن قريش تعرف من الغناء الا النصب حتى قدم النضر بن كلدة بن علقمة من العراق وافداً على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء عليه فقدم مكة فعلّم أهلها (٥) وقد اشتهر كثيرون من مغني الحيرة ومنهم حنين بن بلوع ونفر من السدويين يقال لهم عباديس وزيد بن الطليس وزيد بن كعب ومالك بن جمة (٦) وعوف الحيري العبادي (٧) وكان جد حنين بن بلوع من المغنين الفحّالين فطلبه اهل الحجاز فذهب ونزل ضيفاً على سكينة بنت الحسين وأذنت للناس اذناً عاماً فغصت الدار بهم وغنى لهم ومن شدة الازدحام على السطح سقط الرواق فمات تحت الانقاض (٨)

وما قلناه عن غناء الحيرة يصح اطلاقه على آلات طربها . ومنها العود قال عبد الرحمن بن مالك بعث اليّ عيسى بن موسى الهاشمي من عبد مناف ليلة ونحن في الحيرة وقال لي : « قد سمعت الليلة في داري شيئاً لم يدخل سمعي إلا ليلة في الخيمة وهذه الليلة فانظر ما هو » فدخلت استقري الصوت فوجدته في المطبخ

(١) الاغاني ٨ : ٧٠ (٢) شرح المعلقات طبعة ابي صعب ١٧٠ (٣) البلنط هو العاج بعينه (٤) الاغاني ١٦ : ١٤ (٥) مروج الذهب ٨ : ٩٣ (٦) الاغاني ٢ : ١٢١ (٧) الاغاني ١٠ : ١٢٨ (٨) الاغاني ٢ : ١٢٢

فاذا الطباخون وعندهم رجل من اهل الحيرة يغنيهم بالعود (١) . واشتهر المزمار وحديث المزمر بحصوما ورد في كتب الادب والتاريخ وقد أطرب بانغام مزماره الخليفة هرون الرشيد (٢) وهناك غيرها من آلات الطرب ومنها الدف قال فيه عدي بن زيد :

زجل عجزه يجاوبه دف م لخوان مأذوبةوزمير (٣)

وقال جابر بن حُنيّ التغلبي :

وصدّت عن الماء الرواء لجوفها دويّ كدفّ القينة المتهزّم (٤)

وقد جمع الاعشى في بيت واحد بعض آلات الطرب قال :

ومستق سيسمن ووناً وبربطاً يجاوبه صنج إذا ما ترنّما (٥)

فالمستق أصله مشته وهو من أسماء المزمار ويقال مشتق سيسمن أي يؤخذ باليد ، والون الصنج الذي يضرب بالاصابع . والبربط هو المزهر والصنج صفيحة مدوّرة من الصفر يضرب بها على الاخرى مثلها للطرب مختص بالعجم وعرف الحيريون الطنبور وقال ذو الرّمة : (٦)

يضحي به الارقش الجون القرى غرداً كأنه زجل الاوتار مخطوم

من الطنابير يزهي صوته ثمل في لحنه عن لغات العرب تعجيم

واشتهرت الحيرة بصنع الخمور ولاسيما خمور العباديين النصارى واليهود وما اكثر المرويات التاريخية والاشعار في هذا الموضوع . فقصد حاناتها في الجاهلية والاسلام طبقات كثيرة من الناس وتغنّى الشعراء بذكرها وتلذذوا بنشوتها (٧) وكان الملوك المناذرة أنفسهم يعقدون مجالس الشرب مع ندمائهم ويقدمون الخمر لضيوفهم قال الشاعر : (٨)

والعزّ والملك لهم راهن وقهوة ناجودها ساكب

---

(١) الاغاني ١٥ : ٣٣ (٢) الاغاني ٥ : ٣ و ٦ : ١١ (٣) شعراء النصرانية ٤٥٥
(٤) شعراء النصرانية ١٨٩ (٥) مخصص ١٣ : ١٤ (٦) المخصص ١٣ : ١٣ (٧) الاغاني ١٠ : ٨١ – ٨٨ و ١٤ : ١٣٥ و ١٥ : ٦٢ و ١٦ : ٩٧ و ١٨ : ٩٨ – ١٢١ و ٢٠ : ٨٧
(٨) معجم البلدان مادة « دير هند الكبرى »

لا بل كان غير واحد منهم مولعاً بشرب بنت الحان . قيل لحرقة بنت النعمان : « ما كانت لذة أبيك ؟ » قالت : « شرب الجريال ومحادثة الرجال »(١)

ومن الشواهد على بيع اليهود الخمرة ما جاء في شعر حنين بن بلوع الحيري : (٢)

أنا حنين ومنزلي النجف وما نديمي إلا الفتى القصف

أقرع بالكأس ثغر باطية مترعة تارة واغترف

من قهوة باكر التجار بها بيت يهود قرارها الخزف

لنوجه أنظارنا الآن الى الملاحة والتجارة في الحيرة في عهد ازدهارها وعصر مجدها فنقول : كانت سيادة بحر الهند في تلك المطاوي للساسانيين سيادة مطلقة ، حتى ان سكان الهند وسكان الحيرة لم يجدوا غير الطريق الآتية . فكانت سفن الفرس والهند والعرب تذهب الى جزيرة سرنديب (سيلان) ومن هناك يشترون البضاعات التي ترد من الصين في الجنوكة (وهي مراكب الصين) كالحرير وعود الند والصندل والقرنفل . ولم ينقلها الصينيون رأساً الى خليج فارس . وقد اتخذ الفرس وسكان الحيرة مجاري الانهر لنقل البضائع والتجارات فركب الحيريون والفرس سفنهم في الفرات وانحدروا الى دجلة العوراء أو شط العرب كما نسميه اليوم . فتشطأت طائفة منهم سواحل بلاد العرب وطافت حول الجزيرة ومرت بالبحرين ونزلت الى بحر الهند فارست في عدن وهي يومئذ مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون اليه وتشطأت طائفة منهم سواحل بلاد فارس وكلها حاملة أنواع السلع منها من منتجات العراق نفسه ومنها ترد اليه من بلاد سورية وبلاد الروم واليونان كالحديد والنحاس والاسرب والقصدير وبعد ان كان التجار يقضون وطرهم من البيع والشراء تنشر السفن اشرعتها وتتوغل في البحر فمنها تقصد سواحل افريقية ومنها الهند فيبيع التجار سلعهم في تلك الاقطار ويوسقون سفنهم من عروض تلك الامصار كثياب الحرير والاستبرق والقرنفل والدارصيني والفلفل والزعفران والهال والصمغ والميعة والصدف والعاج والدر

---

(١) النويري ٢ : ١٥

(٢) الاغاني ٢ : ١١٧

والمرجان والعطر ودهن البان وغيرها من حاصلات ثغور البحار . فتأتي السفن وتفرغ تلك السلع في العراق فيأخذ الاهلون حاجتهم منها ويبعث بالباقي منها الى دمشق والاسكندرية وموانيء سورية والى بلاد العرب ومصر فكان العراق حلقة وصل بين دول ذلك العهد وبين الهند في عصر لم يعرف فيه طريق رأس الرجاء الصالح . وكان للحيريين قسطهم الوافر في هذه المتاجر (١) وقصارى القول كانت تتوارد الى الحيرة المتاجر العظام براً وبحراً وترسو عندها سفن البحر من الهند والصين وغيرها (٢) والقراقير بينها (٣)

وكان كسرى يبعث الى عامله باليمن بعير تحمل نبعاً فكانت تبذرق من المدائن حتى تدفع الى النعمان في الحيرة ويبذرقها النعمان بخفراء من بني ربيعة ومضر حتى يدفعها الى هوذة بن علي الحنفي فيبذرقها حتى يخرجها من ارض حنيفة ثم تدفع الى سعد وتجعل لهم جعالة فتسير فيها فيدفعون الى عامل كسرى في اليمن (٤)

وجاء ذكر التجارة بين الحيرة والشام في عهد المنذر بن ماء السماء إذ أرسل احد الحيريين وهو أبو دؤاد أولاده الثلاثة بتجارة الى الشام (٥) لا بل كان للنعمان بن المنذر علاقة تجارية بالشام ولا سيما بالتاجر سرجون بن توفيل وكان هذا حريفاً للنعمان أي يبايعه . وقد ذكره الربيع بن زياد فقال :

فابرق بأرضك يا نعمان متكئاً مع النطاسي يوماً وابن توفيلا (٦)

وكان النعمان نفسه يبعث بلطيمة إلى سوق عكاظ فتباع ويشترى له بثمنها الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من العصب والوشي والمسير والعدني (٧)

وكان في الحيرة نفسها سوق تقام كل سنة يأتي اليها الناس المتاجرة وقد ذكر بين الذين قصدوها في بعض السنين في عهد المنذر بن النعمان : الحكم بن

(١) ي . غنيمة (تجارة العراق قديماً وحديثاً) ٢٧ — ٢٩ (٢) البكري : معجم ما استعجم ٣٠٢ (٣) الاغاني : ٢٠ : ٢٣ أما القراقير من القرقور قال ابن دريد ضرب من السفن كبار وأنشد : قرقور ساج ساجه مطلي : المخصص ١٠ : ٢٦ (٤) غنيمة تجارة العراق ٢٩—٣٠ (٥) مجمع الأمثال للميداني ١ : ٣١ شرح المثل « انا النذير العريان » (٦) شعراء النصرانية ٧٨٩ — ٧٩٠ (٧) الاغاني ١٩ : ٧٥

أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وكان حاتم الطائي يبيع فيها عطراً معه (١)

كان بين العباديين نصارى الحيرة الصيارفة والتجار وقد جاء ذكرهم غير مرة في الكتب ومنهم عيسى بن براء العبادي الصيرفي (٢) وكان أبو زيد حنين ابن أسحق العبادي النصراني من أبناء الصيارفة من اهل الحيرة (٣)

يظهر ان التعامل في الحيرة كان بادىء بدء بوزن الذهب . فقد ابتاع أوس بن قلام لأيوب بن محروف جد عدي بن زيد أرضاً لبناء دار بثلثمائة أوقية من ذهب وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً (٤) فاذا اعتبرنا ان عدياً توفى سنة ٥٨٧م وهو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروف (٥) فتكون هذه الصفقة قد تمت حوالي منتصف القرن الخامس للميلاد . لكننا لا نفتأ نرى في هذه المطاوي التعامل بالمسكوكات في الحيرة . ولنا شواهد على ذلك من عهد الجاهلية وبعد الاسلام . وأساس التعامل الدينار والدرهم والفلوس القادسية والسكوفية والنمي . جاء في قصيدة لجابر بن حنى التغلبي (٥٦٤ م) :

وفي كل اسواق العراق أتاوة   وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم (٦)

وجاء ذكر الدرهم في حكاية استقراض النعمان ثمانين الف درهم من الأسقف جابر بن شمعون بتوسط عدي بن زيد بعد ان رفض بن قردس من الحيرة من دومة ان يقرض النعمان نصف هذا المال وذلك في القرن السادس للميلاد (٧) .

وقال الاسود بن يعفر النهشلي في دره‍م الاسجاد :

وفارقت وهي لم تجرب أغن منطق   وافى بها كدراهم الأسجاد (٨)

أراد بالأسجاد اليهود والنصارى وكانوا يدعون النقود الخفيفة النحاسية نمياً وفلوساً وأشار اليها أوس بن حجر :

وفارقت وهي لم تجرب وباع لها   من الفصافص بالنمي سفسير (٩)

وجاء ذكر الفلس في قول جرير يهجو الأخطل :

---

(١) الاغاني ١٦ : ٩٥ ؛ ٢) الاغاني ٢٠ : ٨٧ (٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ١٨٥ (٤) الاغاني ٢ : ١٨ (٥) شعراء النصرانية ٤٣٩ (٦) شعراء النصرانية ١٨٩ (٧) الاغاني ٢ : ٢٤ (٨) شعراء النصرانية ٤٨٢ (٩) ديوان أوس طبعة هفنر وشعراء النصرانية وآدابها ٣٨٥

والتغلبية مهرها فلسان والتغلبي جنازه الشيطـان (١)

وذكر الدينار بعد الفتح الاسلامي في ولاية بشر بن مروان الكوفة .
وذلك أن عبيد الله بن سريج أتى من الحجاز الى الحيرة ومعه ثلثمائة دينار ليصرفها في هذا البلد لما بلغه من طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن الغناء فيها (٢)
وذكر الدرهم في حكاية المغيرة بن شعبة لما أراد إبتياع الخمر من أهل الحيرة بدرهم زائف (٣) وفي شعر الأقيشر إذ خدعته إمرأة من العباديين ظنها أم حنين فأخذت منه درهمين ثمن خمر أراد إبتياعها فدخلت داراً لها بابان ولم يعد يراها فقال: (٤)

لم يغرد بذات خف سوانا بعد أخت العباد أم حنين
وعدتنا بدرهمين نبيذاً أو طلاء معجلا غير دين
ثم ألوت بدرهمين جميعاً يا لقومي لصحبة الدرهمين

ونقل بن أبي أصيبعة (٥) أن يوحنا بن ماسويه حرد يوماً على حنين بن أسحق العبادي إذ كان صبياً يدرس عليه الطب فقال له : « ما لأهـل الحيرة وتعلم صناعة الطب صر الى فلان قرابتك حتى يهب لك خمسين درهماً تشتري منها قفافاً صغاراً بدرهم وزرنيخاً بثلاثة دراهم واشتر بالباقي فلوساً كوفية وقادسية وزرنخ القادسية في تلك القفاف واقعد على الطريق وصح الفلوس الجياد للصدقة والنفقة »

وعرف الحيريون في مقاييسهم القنطار قال عدي بن زيد :

ولا تحـل البشـر قيمتـه تسومه الروم ان تعطوه قنطاراً

وذكر الأثري ثابت رايس أنه وجد في نبشه في أطلال الحيرة سنة ١٩٣١ نقوداً لها خطورة في تحقيق سني بعض التواريخ ولكن لم تنظف هـذه المسكوكات حتى كتابة محاضرته للاطلاع على مضمون كتابتها (٦)

هذا ما أردت بيانه عن الصناعات في الحيرة ولعل الاكتشافات الأثرية تزيد هذا الموضوع مادة في المستقبل .

---

(١) الاغاني ٧ : ١٦٩ (٢) الاغاني ٢ : ١٢١ (٣) الاغاني ١٤ : ١٣٥ (٤) الاغاني ١٠ : ٨٤ (٥) عيون الانباء في طبقات الاطباء ١ : ١٨٥ (٦) Hira : The journal of The Royal Central Asian Society vol xix April 1932 page 266

الحياة الاجتماعية في الحيرة

ليس من السهل الهيّن أن يقدم المؤرخ على وصف الحياة الاجتماعية ويصوّر بقلمه مناظر المعيشة اليومية في بلد إنطوت اخبارها مندمئات من السنين ودالت دولتها قبل اربعة عشر قرناً وعبرت الأيام بجحافل الخطوب على آثارها فعفت عمرانها ودرست معالم عزّها ولم يرو لنا الرواة من أنباء أجيالها الغابرة إلا نتفاً مبعثرة بين مطاوي الشعر وثنايا النثر ولهذا تأتي ولا جرمَ هذه الصورة ناقصة مبتورة ولكن ما لا يدركُ كلّه لا يتركُ جلّهُ .

١ . شؤون إجتماعية متنوعة

كانت تحية الملوك عندهم عِم صباحاً وإنعم صباحاً وأبيت ألّلعنَ . وقد وردت هذه التحية في كثير من أخبارهم سواء اكانت مجملة كما قال الحرث بن ظالم للنعمان بن المنذر لما دخل عليه في قصر بن مقاتل (١) أو منفردة إنعم صباحاً لوحدها وأبيت ألّلعن لوحدها والعبارة الاخيرة اخص بالملوك وقد جاءت في كثير من أشعارهم قال الذّبياني يعتذر الى النعمان ويمدحه (٢)

أتاني أبيت اللعنَ انك لمتني　　　وتلك التي أهتمّ منها وأنصبُ

ولما جاء الاسلام عوّض هذه التحيات بين المسلمين بغيرها واكتفوا بقولهم « السلام عليكم » .

وكان من عادة ملوك العرب ان تزاد خرزة في تاج الملك كلما مضت سنة من سني ملكه . وكان يقال لتلك الخرزات خرزات الملك ولما بلغت خرزات النعمان بن المنذر أربعين أشخصه كسرى ابرويز الى حضرته لهنات نقمها عليه ثم أمرَ بقتله وأباه عنى لبيد بن ربيعة بقوله :

(١) الاغاني ١٠ : ٣٨

(٢) شعراء النصرانية ٦٥٥

رهي خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى قيد والشيب شامل (١)

وكان ملوك الحيرة يهدون الى فرسان العرب الرماح كما يهدي اليوم الملوك الى القوّاد سيوفاً . فبعث النعمان بن المنذر بأربعة رماح فأخذ أبو براء عامر بن مالك رمحاً وسلامة بن طارقة الجدام رمحاً (وهو جد الأخطل) وانس بن مدركة رمحاً وعمرو بن معديكرب رمحاً (٢) . وكان المناذرة يقابلون الناس من وراء ستور تحجز بين الزائر والملك فكلما كان الوافد على الملك وضيعاً زاد عدد الستور حتى يبلغ سبعة وكلما زادت مكانته قلّ عددها حتى ان رفيعي المنزلة كانوا يقابلون الملك بلا ستر وربما حجزت هذه الستور الوافدين المصابين بالجذام فقط .

وكانت الوفود تفد من قبائل العرب على المناذرة وكانوا يتخذون لهم عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه ويشربون وكان إذا وضع الشراب سقي الملك فمن بدىء به بعد أثره فهو أفضل الوفد . وكانت القينة تقوم بالسقاية وتفضل من الوفد أشرفهم فمن ذلك ما نقله ابو عبيدة عن النعمان بن المنذر فقال قدم عليه وفود ربيعة ومضر بن نزار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك البكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والأقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان أكرمهم وحباهم . وأقام لهم مجلساً عند انصرافهم على عادته . فبعد ان سقي الشراب قامت القينة تنظر الى النعمان من الذي يأمرها ان تسقيه اولاً وتفضله من الوفد فنظر في وجهها ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول :

سقي وفودك بدا أنت ساقيق	فابدي بكأس ابن ذي الجدين بسطام
أغرّ ينميه من شيبان ذو انف	حامي الذمار وعن أعراضها رامي
قد كان قيس بن مسعود ووالده	تبـدا الملوك بهم ايام ايامي

(١) الامالي . ثمار القلوب ١٤٤

(٢) الاغاني ٧ : ١٦١

فارضوا بما فعل النعمان في مضر وفي ربيعة في تعظيم أقوام
هم الجماجم والاذناب غيرهم فارضوا بذلك او بوؤا بارغام (١)

وكانوا إذا أرادوا ان يقيموا عهداً يضمون اليد باليد قال الملك عمرو بن هند لعوف بن مُحَلِّم لا أعفو عن مروان القرظ بن زنباع حتى يضع يده في يدي قال عوف يضع يده في يدك على ان تكون يدي بينهما . فاجابه عمرو بن هند على ذلك وهذه اليد الثالثة بمثابة وساطة وحكم عند وقوع الخلاف او كما تقول اليوم الاتفاق المثلث (٢) ومن عاداتهم اذا توسط الملك بين قبيلتين او اكثر لعقد صلح أو إزالة ضغائن اخذ من كل قبيلة رهائن فمتى التوى احدهم بحق صاحبه أقاد من الرهن (٣)

وكانت العرب تُسمي وزير الملك من ملوك اليمن والشام والحيرة المواهن والزعيم والكافي والكامل (٤)

وكان يقال لخاتم الملك الحلق والهجار قال المخبّل السعدي يذكر رجلاً أعطاه النعمان بن المنذر خاتمه

وأعطي منّا الحلق ابيض ماجد رديف ملوك ما تُغِبُّ نوافله

وقال الأغلب العجلي :

ما أن رأينا ملكاً أغارا اكثر منه قرةً وقارا
وفارساً يستلب الهجارا

وقالت العرب ان اول من طبع الكتب عمرو هند ويعنون بذلك ختمها (٦)

* * *

(١) العمدة ٢ : ١٧١ ولا بد من التنبيه هنا ان كثيراً من اشعار المفاخرة وضعها الناس من القبيلة على السنة الملوك او على السنة خصومهم لرفع شأن قبيلتهم بهذه الصورة . ونظهر صحة الوضع والتلفيق على هذه الابيات ايضاً (٢) الميداني : في شرح مثل « أوفى من عوف بن محلم » ٢ : ٢٢٣ (٣) الاغاني ٩ : ١٧٢ (٤) المسعودي : كتاب التنبيه والاشراف ص ٣٣٩ (٥) البطليوسي كتاب الاقتضاب ٩٧ (٦) كذلك ص ١٠٤

٢ : الحرب

يجدر بنا هنا ان نبحث بنظرة الى حروبهم فقد كانوا يقسمون جيشهم ميمنة وميسرة وقلباً كما يقسم الجيش اليوم في تعبئته (١) وكان للنعمان بن المنذر خمس كتائب وهي :

١ : الرهائن فانهم كانوا خمسمائة رجل رهائن قبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلهم خمسمائة اخرى وينصرف اولئك الى احيائهم فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في اموره ويحق لنا ان نسميهم نظراً الى هذا الوصف العسكر الخاص اما تبديلهم فكان يأتي للملك عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد سير لهم اكلاً عنده وهم ذوو الآكال فيقيمون عنده شهراً ويأخذون آكالهم ويبدلون الرهائن وينصرفون الى احيائهم

٢ : الصنائع وهم بنو قيس وبنو تيم (٢) اللات ابني ثعلبة وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه ويسوغ لنا ان نسميهم حرس الشرف .

٣ : الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك (أي الملك الساساني) بالحيرة نجدة لملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم الف وينصرف اولئك .

٤ : الاشاهب (٣) فهم اخوة ملك العرب وبنو عمه ومن يتبعهم من اعوانهم وسموا الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه .

٥ : دوسر فانها كانت أخشن كتائبه واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة سميت دوسراً اشتقاقاً من الدسر وهو من الطعن بالثقل لثقل وطأتها . (٤)

---

(١) الطبري ٢ : ١٥٤ (٢) اخذنا وصف كتائب النعمان من مجمع الامثال للميداني ١ : ٧٨ في مثل « أبطش من دوسر » ولكن ابن الاثير في كامله ١ : ٢٦٨ يقول ان الوضائع كانوا شبه المشائخ من العرب ونظنه الاصح (٣) نرى الاشاهب مشتقة من الشهباء وهي الكتيبة التي بعثها ملك الفرس الى النعمان الاول اما تعليل العرب اسم الشهباء كما جاء في المتن فلا نظنه صحيحاً بل نذهب الى ان الكلمة فارسية مؤلفة من لفظين فارسيين وهما « شاه » بمعنى الملك و « پاي » بمعنى القدم ومقادها « موطأ الملك » . (٤) وكذلك نقول في معنى « دوسر » فانها مؤلفة من « دو » ومعناها « اثنان » « وسر » ومعناها « رأس »

وقد اتخذ الحيريون كل سلاح العرب في الجاهلية من سيوف ورماح ونصال واقواس وسهام ودروع وخوذ وادراق مما جاء وصفه في كتب اللغة والاشعار واخبار حروبهم(١).

وفي ابان الفتح الاسلامي استعمل الحيريون الخزازيف ودعوا بها المسلمين من القصر الابيض. وكان رأس القصر مثلثاً رجالا متعلقي المخالي يرمون بهذه الخزازيف وهي المداحي من الخزف (٢)

ويظهر ان فرسانهم كانوا مسلحين بالسلاح الخفيف في محاربتهم الروم الى جنب الفرس (٣) ومعظم وقائعهم كان اما انتصاراً للفرس او للغزو والسلب وعلى كل حال فانه ليس للفتح والتدويخ وتثبيت سيادتهم ومدّ ملكهم. وكانوا يرفعون شمعة امام الملك في الحرب (٤) وكانت فدية الملك اذا اسر الف بعير ومثلها دية ابنه اذا قتل. وقد دفع سيار بن عمرو بن جابر الفزاري اواخوه الحارث للملك الاسود دية ابنه شرحبيل الف بعير (٥) وكانوا يرهنون القوس بالدية حتى يتم دفعها وفي ذلك قال شاعرهم :

ونحن رهنا القوس ثمة فوديت	بألف على ظهر الفزاري اقرعا
بعشر مئين للملوك وفى بها	ليحمد سيار بن عمرو فاسرعا(٦)

آن لنا بعد ان اثقلنا السمع بالحرب والضرب وقبضنا النفس بالكراع والسلاح والغزو ان نطرق موضوعاً يزيل الكربة ويسري الغمة. واي موضوع احق بهذه المزية من موضوع المرأة.

---

(١) راجع المخصص لابن سيده ٦ : ١٦—٩١   (٢) الطبري ٤ : ١٢

(٣) سايكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٥٠٣

(٤) ابن الاثير ١ : ٢٢٥   (٥) الاغاني ١٠ : ٢٤   (٦) الاغاني ٣ : ٣١١-٣١٢

٣: المرأة

تظهر لنا هذه المرأة معتزلة اجتماعات الرجال تتخمر وتأكل وحدها وقد توصلنا الى هذه الاستنتاجات من مرويات الشعراء والمؤرخين. قال النابغة الذبياني لما رأى المتجردة امرأة النعمان وقد سقط نصيفها وهو الخمار فاستترت بيدها وذراعها فكادت تستر وجهها لعبالتها

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد (١)

ولما استزار عمرو بن هند ملك الحيرة عمرو بن كلثوم وامه دخل عمرو ابن كلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت امه ليلى على هند في قبة من جانب الرواق فأكل الرجال وحدهم واكلت النساء في قبتهن (٢)

ومن البراهين على صحة قولنا في تستر المرأة الحيرية ماجاء في ابيات لعدي ابن زيد : (٣)

بنات كرام لم يربن بضرة دمى شرقات بالعبير روادعا
يسارقن من الاستار طرفاً مفتراً ويبرزن من فتق الخدور الاصابعا

وكانت الحيرية تميل الى الخضاب والطيب والكحل والتجمل والتزين وما اكثر حججنا على هذه الاقوال ومنها قول النابغة في المتجردة (٤)

بمخضب رخص كأن بنانه عنم يكاد من اللطافة يعقد

ومن ذلك ماجاء في ابيات لعدي بن زيد (٥)

ينفح من اردانك المسك والهنـــدي والغار ولبنى قفوص

وقال عمرو بن معدي كرب في الكحل الحاري (٦)

كأن الاثمد الحاري منها يسف بحيث تبتدر الدموع

واما تجملهن وزينتهن فقد جاء عنهما الشيء الكثير في الاشعار ومنها :

---

(١) الاغاني ٩ : ١٧٥ (٢) الاغاني ٩ : ١٧٥ (٣) الاغاني ٢ : ٣٨
(٤) الاغاني ٩ : ١٥٧
(٥) شعراء النصرانية ٤٧٠ (٦) معجم البلدان مادة «حيرة»

وحرّ الزبرجد في نظمه على واضح الليت زان العقودا
يفصل ياقوته دره وكالجمر ابصرت فيه الفريدا (١)

وقال عدي بن زيد (٢) :

واحور العين مربوب له غسن مقلّد من نظام الدرّ تقصارا

وقوله في قصيدة اخرى (٣) :

زانهنّ الشفوف ينضحن بالمسك وعيش مفانق وحرير

وكقول النابغة في المتجردة (٤)

والنظم في سلك يزين نحرها ذهب توقد كالشهاب الموقد

وكقول النابغة ايضاً (٥)

ترائب يستضيء الحلي فيها كجمر النار بذر بالظلام
كأن الشذر والياقوت منها على جيداء فاترة البغام

ومما يدل على تزينهن بمختلف الحجارة الكريمة قول المرقش الاصغر في حبيبته فاطمة بنت المنذر :

تحلين ياقوتاً وشذراً وصيغة وجزعاً ظفارياً ودراً توائما (٦)

وقول لقيط بن زرارة (٧)

فيهن ابنة نضح العبير بها تكسي ترائبها شذراً ومرجانا

وقد استعملت الحيريات الوذيلة وهي مرآة الفضة وقال المرقش الاصغر مشبها بها نعومة خد حبيبته فاطمة بنت المنذر :

أرتك بذات الضال منها معاصما وخداً اسيلا كالوذيلة ناعما (٨)

وقد عرف العرب هذه المرايا ومن اسمائها عندهم السجنجل قال امرؤ القيس في معلقته (٩)

---

(١) الاغاني ٢ : ١١٨ (٢) شعراء النصرانية ٤٦٩ (٣) كذلك ٤٤٥
(٤) كذلك ٦٤٣ (٥) كذلك ٧١٣ (٦) الاغاني ٥ : ١٨٥
(٧) الاغاني ١٩ : ١٣١ (٨) كذلك ٥ : ١٨٤ (٩) شرح المعلقات ص ٢٢
الترائب ج تريبة وهي موضع القلادة للصدر

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وكانت البنات يتزوجن وهنّ حديثات السن . فزفّت هند بنت النعمان ابن المنذر بن امرئ القيس الى عدي بن زيد ولها حينئذ احدى عشرة سنة (١) وكان عرب الحيرة شديدي التمسك بالنعرة القومية لا يريدون زواج بناتهم من الاعاجم حتى ان النعمان ملك الحيرة رفض كسرى لما طلب من بناته واخواته وبنات عمه واهله زوجات لامراء البيت المالك من الساسانيين لان العرب كانوا يتكرمون عن العجم (٢) وكانت بعض المؤسرات يتزوجن من شئن من الرجال(٣) وكان يقصد من المصاهرة بين رؤساء القبائل والملوك انقطاع الحرب وازالة الضغائن من بينهم ولهذه الغاية خطب الحرث بن ابي شمر جبله بن الحرث الاعرج الغساني الى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته هنداً على مارواه ابن الاثير(٤).

وكان تعدد الزوجات معروفاً بين اهل الحيرة ليس بين المجوس او من كان على دين الجاهلية بل حتى بين المسيحيين منهم . قال المطران ادي شير (٥) عن اصلاح الجاثليق مارآبا (٦) ان الشقاق بطل من الكنائس بهمة هذا الجاثليق غير ان الشرور المتولدة منه كانت باقية فان كثيراً من المسيحيين تراخت سيرتهم وضعف ايمانهم فاقتدوا بالمجوس واليهود والوثنيين وتزوجوا نظيرهم بأمرأتين او بامرأة الاب او بعمتهم او بخالتهم او كنتهم او بأمرأة اخيهم وهلم جرّا فاصدر مار آبا منشوراً عنوانه « تدبير الافعال الصالحة » حرّم فيه هذه الافعال (٧).

* * *

---

(١) الاغاني ٢ : ٣٠ (٢) شعراء النصرانية ٤٦٩ (٣) الاغاني ١٦ : ٩٩
(٤) الكامل ١ : ٢٢٤ (٥) تاريخ كلدو اثور ٢ : ١٧٩ (٦) جاثاليق المدائن من سنة ٥٤٠—٥٥٢ (٧) شابور : كتاب السنهدوسات ٨٠-٨٥

٤: مآكل الحيريين

قد تطرقنا الى حياة الرجال في الحيرة ومهنهم وحرفهم في البحث في الصناعات وآلات الطرب والعزف والاغاني ولكن هناك مناح اخرى من حياتهم نود معالجتها هنا . فانهم كانوا يقيمون الافراح في اعراسهم وينشدون الاغاني ويغنون الاصوات وكانوا يقولون عن مغنيهم حنين انه بطة اعراسهم(١) وكانوا يقيمون الولائم والمآدب ويضعون طعاماً من السمك وما صيد من وحشها من ظباء ونعام وارانب وحبارى وغيرها (٢) وكانوا يخبزون خبز الرقاق قال عدي بن زيد وهو بالشام يتشوق الى الحيرة (٣) :

ليت شعري متى تخب بي النا ... قة بين السدير والصنين

محقباً زكوةً وخبز رقاق ... وبقولاً وقطعة من نون

وجاء في اخبار وقعة اليس على الفرات ان خالد بن الوليد وقف على الطعام وقال للمسلمين قد نفلتكموه فتعشى به المسلمون وجعل من لم ير الرقاق يقول ماهذه الرقاع البيض ... (٤) ومن مآكلهم المضيرة وهي اكلة تطبخ باللحم وقد اعدّها حنظلة الطائي وقدمها الى المنذر بن ماء السماء عندما اضافه في يوم كان يصيد فيه (٥) . ومنها الهلام بضم الهاء او فتحها (٦) طعام من لحم عجلة بجلدها او من لحم مهر . وقيل من مرق السكباج المبرّد المصفى من الدهن (٧) ومنها ايضاً الاقط وهو الجبن المتخذ من الحامض . جاء في الاخبار كان لزيد بن عدي من العرب وظيفة موظفة في كل سنة مهران اشقران يحملان له هلاماً والكمأة الرطبة في حينها واليابسة والأقط والأُدم وسائر تجارات العرب (٨) .

وعلى ذكر الكمأة نقول ان الحيريين كانوا ولعين باكلها فيخرج الرجال والنساء والاولاد الى البرية لاجتنائها ويتهادونها رطبةً ويابسةً وقد جاء عن

---

(١) الاغاني ٢ : ١٢٠ (٢) الاغاني ٢ : ١٢١ (٣) الاغاني ٢ : ١١٩

(٤) الكامل لابن الاثير ٢ : ١٦٣ (٥) شعراء النصرانية ٨٩

(٦) اللسان والمحكم والتهذيب والتكملة (٧) تاج العروس (٨) الاغاني ٢ : ٢٧

عمرو بن عدي انه خرج مع الصبيان لاجتناء الكمأة وكان الغلمان اذا اصابوا الكمأة الطيبة أكلوها واذا اصابها عمرو جناها ثم اقبلوا الى منازلهم يتعاودون وهو معهم يقدمهم ويقول مخاطباً خاله جذيمة الابرش :

هذا جناي وخياره فيه ... إذ كل جان يده الى فيه (١)

وجاء في اخبارهم (٢) ان امرأة كانت تجني الكمأة بادنى مياه بني دارم فذهبت واخبرت سيدهم زرارة بن عدس باقبال بني عامر وعسكر النعمان في تلك الحرب المعروفة عند العرب بيوم رحرحان .

والتمر من طيب مآكل الحيريين لا بل العراقيين طراً وقال شريح بن اوس يهجو ابا المهوس الاسدي (٣) :

وعيرتنا تمر العراق وبره ... وزادك . . . . .

وعرفوا اكل الخبيص قال الفرزدق (٤) :

تفيهق بالعراق ابو المثنى ... وعلم قومه اكل الخبيص

هذه نبذة موجزة في بعض مآكل الحيريين اتينا على بيانها وهناك طائفة كبيرة من المآكل كاللحوم المشوية لاسيما لحم الناقة والابل ومنها السويق والكوامخ وانواع الحلواء كالفالوذق واللوزينج والزلابية والقطائف وغيرها فغيرها مما عرفه العرب عامة او مما اخذه فريق منهم من الفرس او من غيرهم مما جاء ذكره في كتب اللغة او الاشعار (٥)

٥ : الفتوة والترف

ونزع الحيريون الى الفتوة والترف في آن واحد وأمر فتيان الحيرة مشهور قال الاصبهاني (٦) كان حنين غلاماً يحمل الفاكهة بالحيرة وكان لطيفاً في عمل التحيات فكان اذا حمل الرياحين الى بيوت الفتيان والمياسير واصحاب القيان والمطربين في الحيرة ورأوا رشاقته وحسن قده وحلاوته وخفة روحه استحلوه

---

(١) الطبري ٢ : ٣٠ (٢) ابن الاثير ١ : ٢٣٢ (٣) كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١٢٩ (٤) كذلك ٥ : ٦٤ (٥) راجع المخصص ٤ : ١٢٥-١٢٩ و ٥ : ١٠ و١٤ و٢٥ والعقد الفريد ٤ : ٢٩٢ وكتاب الحيوان للجاحظ والساق على الساق لفارس الشدياق ٩٢ (٦) الاغاني ٢ : ١١٨



الرسم (٨)　　　　　مقابل ص ١٠٥



خابئة اللون مطلاة بالازرق وجدت في البناية المرقمة ٣ في الحيرة ، ويرتقي تاريخها الى القرن الثامن

واقام عندهم وخفّ لهم فكان يسمع الغناء ويشتهيه ويصغي اليه ويستمعه ويطيل الاصغاء اليه حتى شدا منه اصوات فاسمعها الناس . وكان مياسير اهل الحيرة يتفننون في اتخاذ الاثاث النفيس والرياش الثمين فكانوا يتخذون بارقهم من الفرش اشياء ظريفة (١) ويتخذون اواني الذهب والفضة للاكل (٢) والقلالي للماء والاواني للخمر من صنع الحيرة نفسها ويخدمهم في مآدبهم الاحرار والعبيد ويحيون بالرياحين (٣)

ونام ذلك القوم على فرش الحرير فوق الاسرّة المجللة بالكلل قال عدي ابن زيد (٤) :

ثانيات قطائف الخز والديبـــاج فوق الخدور والانماط

وقال ايضاً (٥) :

بيناهم على الاسرّة والانمـــاط افضت الى التراب الجلود

وقال النابغة الذبياني (٦) :

قامت تراءى بين سجفي كلّة كالشمس يوم طلوعها بالاسعُد

وكان من عاداتهم اتخاذ المجامر للبخور قبل النوم (٧) ويبخّرون اجسادهم وشعور رؤوسهم ولحاهم (٨) واستعملوا المسك والعنبر قال شاعرهم (٩)

تنفح بالمسك ذفاريهم وعنبر يقطبه القاطب

ويتباهون بتقديم الخمر الى الضيوف قال الشاعر في مدح المناذرة (١٠)

وقهوة ناجودها ساكب . . . . .

كان لحانات الحيرة شهرتها الطائرة يقصدها اهل القصف واللهو من سكان المدن والبدو ولا بأس ان ننقل هنا بعض حوادثها للتفكهة والفائدة .

قال المغيرة بن شعبة : كنت في ركب من قومي في طريق لنا الى الحيرة

---

(١) الاغاني ٢ : ١٢١ (٢) الاغاني ٩ : ١٦٥ (٣) الاغاني ٢ : ١٢١
(٤) معجم البلدان مادة «ملطاط» (٥) شعراء النصرانية ٤٧١
(٦) كذلك ص ٦٤٣ (٧) الاغاني ١٦ : ٩٩ (٨) كذلك ١٩ : ١٢١
(٩) معجم البلدان مادة «دير هند الكبرى» (١٠) كذلك

فقالوا لي قد اشتهينا الخمرة وما معنا الاّ درهم زائف فقلت هاتوه وهلموا بزقين فقالوا واما يكفيك لدرهم زائف زق واحد قلت اعطوني ماطلبت وخلاكم ذم ففعلوا وهم يهزؤن من قولي فصببت في احد الزقين شيئاً من ماء ثم جئت الى خمار فقلت له كِلْ لي ملء هذا الزق فملأه فاخرجت الدرهم الزائف فاعطيته اياه فقال ان ثمن هذا الزق عشرون درهماً جياداً وهذا درهم زائف فقلت انا رجل بدوي وظننت ان هذا يصلح كما ترى فان صلح والاّ فخذ شرابك فاكتال مني ماكاله وبقي في زقي من الشراب بقدر ماكان فيه من الماء فافرغته في الزق الآخر وحملتهما على ظهري وخرجت فصببت في الزق الاول ماء ودخلت الى خمار آخر فقلت اني اريد ملء هذا الزق خمراً فانظر الى مامعي منه فان كان عندك مثله فاعطني فنظر اليه وانما اردت ان لايستريب بي اذا رددت الخمر عليه فلما رآه قال عندي اجود منه قلت هات فاخرج الي شراباً فاكتلته في الزق الذي فيه الماء ثم دفعت اليه الدرهم الزائف فقال لي مثل قول صاحبه فقلت خذ خمرك فاخذ ماكال لي وهو يرى اني خلطته بالشراب الذي اريته اياه وخرجت فجعلته مع الخمر الاول ثم لم ازل افعل ذلك بكل خمار في الحيرة حتى ملأت زقي الاول وبعض الآخر ثم رجعت الى اصحابي فوضعت الزقين بين ايديهم ورددت درهمهم فقالوا ويحك اي شيء صنعت فحدثتهم فجعلوا يعجبون (١)

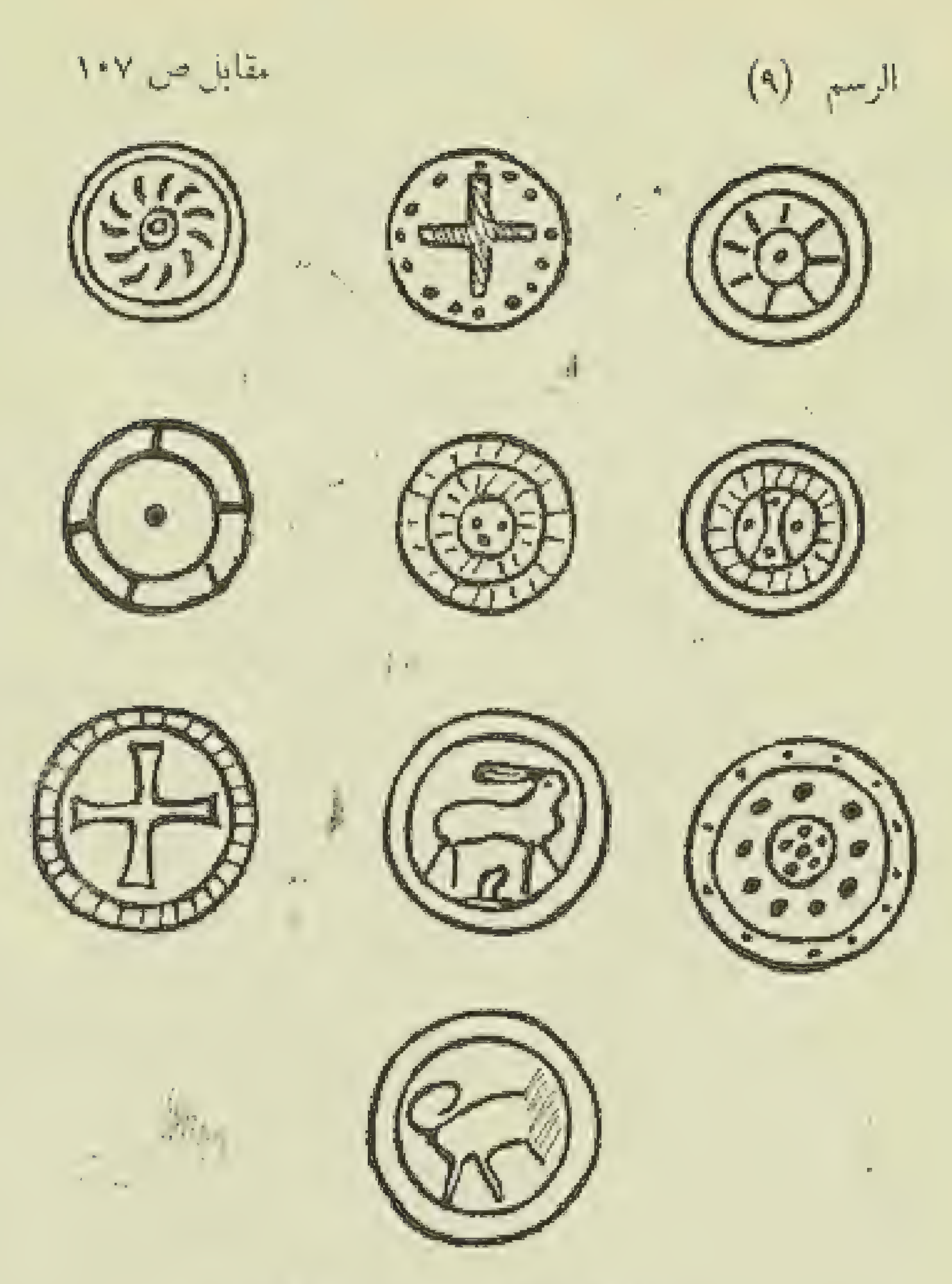
ومن الشعراء الذين ذكروا خمرة الحيرة والسكر فيها عبد الله بن ايوب التيمي احد الخلعاء الوصّافين في الدولة العباسية قال (٢) :

هل الى سكرة بناحية الحيرة شنعاء ياقبيص سبيل
وابو التيجان في كفة القرعة والرأس فوقه اكليل
وعزار كأنه بيذق الشطرنج يفتنّ فيه قال وقيل

ومن نوادر الخمارين في الحيرة بعد الفتح ان الاقيشر شرب يوماً في بيت خمّار في الحيرة فجاء شرطي من شرط الامير ليدخل عليه فغلق الباب دونه

---

(١) الاغاني ١٤ : ١٣٥ (٢) كذلك ١٨ : ١١٩



علامات فارقة على الخزف من صنع الحيرة

فناداه الشرطي اسقني نبيذاً وانت آمن فقال والله ماآمنك ولكن هذا ثقب في الباب فاجلس عنده وانا اسقيك منه ثم وضع له انبوباً من قصب في الثقب وصب فيه نبيذاً من داخل والشرطي يشرب من خارج الباب حتى سكر فقال الاقيشر:

سأل الشرطي ان نسقيه فسقيناه بانبوب القصب
انما نشرب من اموالنا فسلوا الشرطي ماهذا الغضب (١)

ولع الحيريون بالصيد والقنص وخرج اليه ملوكهم وامراؤهم واشرافهم وشبابهم . وتروى الاخبار والاشعار الكثيرة في وصفه وحوادثه فاقتصرنا على الالماع اليه في هذا المقام للايجاز .

٦ : القيافة والخرافات

ولا بد لناهنا من كلمة عن القيافة التي اشتهر العرب بها وهي معرفة الانسان والحيوان من آثاره في الرمل او التراب (٢) وقد مارسها الحيريون وها نحن نورد حكايتين عنها اولها ان امرأة مرثد بن سعد بن مالك شغفت بابن اخيه عمرو ابن قمئة الشاعر المشهور وراودته يوماً عن نفسه في غياب عمه فامتنع وارادت الايقاع به عند عمه فكفأت جفنة على اثر ابن قمئة . ولما رجع عمه اخبرته ان رجلا من قومه قريب القرابة جاء يستامها نفسا ولما سألها عنه اجابته : أما انا فلا اسميه ولكن قم فاقتقد اثره تحت الجفنة فلما رأى الاثر عرفه (٣)

والحكاية الثانية : ان المرقش الاصغر كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر صاحب الحيرة وكان لفاطمة قصر يحرسه الحرس وينثرون التراب حول قبتها ويجرّون عليه ثوباً حين تمسي ولا يؤذن لاحد بالدخول عليها الا جارية لها تعرف ببنت عجلان . فحملت الجارية ليلة ما المرقش على ظهرها واخذته الى سيدتها فلما اصبح الصباح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا اليه فقالوا نظرنا اثر بنت عجلان وهي مثقلة ...(٤) والظاهر ان هذه الحكاية موضوعة ملفقة ولكن تدل دلالة اكيدة على القيافة والعمل بها في الحيرة .

اعتقد اهل الحيرة بالخرافات والرواقي شأن الامم القديمة ولا تزال

---

(١) الاغاني ١٠ : ٨٦ (٢) زيدان آداب اللغة العربية ١ : ١٨٩
(٣) الاغاني ١٦ : ١٥٨ (٤) كذلك ٥ : ١٨٤

بقايا تلك العقائد عند اعرق الشعوب في المدنية الآن مما ورثوه من السلف وفي ذلك يقول عدي بن زيد (١)

او تكن وجهة فتلك سبيل الناس لا تمنع الحتوف الرواقي

وقد تغلغت هذه العقائد في الطب عندهم ومنها انهم كانوا يعتقدون ان دماء الملوك تشفي من الخبل (٢) والكلب (٣) والحبة (٤) وقال المتلمس:

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء الحبة والخبل

وقال المثقب العبدي (٥):

بأجري الدم من طعمه يبرؤ الكلب اذا عض وهر

٧ : الطب

وعلى ذكر الطب نسرد على سبيل المثال بعض ما كانوا يطببون به. فيعالجون بالكي من كان يطعن من الغم أو يصعق بخبر او حادث يفزعه (٦) ولا يزال اهل العراق يأخذون بهذه الوصفة حتى اليوم. وقد كان اقسة النصارى يتعاطون الطب في الحيرة قال ابو الفرج الاصفهاني بينا المتوكل الليثي بالحيرة رمد رمداً شديداً فمر به قس منهم فقال مالك؟ قال رمدت — قال انا اعالجك قال فافعل فذره (٧) واستعمل اطباؤهم السعوط واللدود. قال شاعرهم عدي بن زيد (٨):

والاطباء بعدهم لحقوهم ضل عنهم سعوطهم واللدود

وعالجوا الجرب في الابل بالطلاء بالقار ولا تزال هذه الوصفة عند عرب البادية حتى اليوم قال النابغة الذبياني مخاطباً النعمان في قصيدة (٩)

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار اجرب

ويجمل بنا ان نذكر هنا ان البيطرة كانت معروفة في الحيرة لمداواة

---

(١) شعراء النصرانية ٤٥٤ (٢) الاغاني ١٤: ٧٢ (٣) الميداني مجمع الامثال ١ : ١٥٨ في مثل «خطب يسير في خطب كبير» (٤) الاغاني ١٤: ٧٢ (٥) شعراء النصرانية ٤٠٤ (٦) الميداني مجمع الامثال ١ : ١٥٨ في مثل «قد يضرط العير والمكواة في النار» (٧) ١١ : ٤٠ (٨) شعراء النصرانية ٤٧١ (٩) كذلك ٦٥٦

الحيوانات قال الذبياني (١)

شك الفريصة بالمدرى فانفذها طعن المبيطر إذ يشفي من العضد

وكانوا يداوون العرّ وهي قروح تخرج في عنق الفصيل بكيّ بعير آخر صحيح فيبرأ العليل بل قيل انهم كانوا يكوون الصحيح للمناعة لئلا يتعلق به المرض وليس ليفيق العليل وفي ذلك يقول الذبياني (٢):

لكلفتني ذنب امرىءٍ وتركته كذي العرّ يكوى غيره وهو راتع

ومن عاداتهم انهم كانوا يجعلون الحلي والخلاخل في يد من تلدغه الافعى ويسمون الملدوغ السليم تفاؤلا . ويحركون تلك الحلي لئلا ينام فيدب السم فيه وقال بعض الاعراب إذا لدغ الرجل علقنا فيه الحلي سبعة ايام لتنفذ عنه الحمة وإشارة الى هذه العادة انشد النابغة الذبياني :

يسهّد من ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع(٣)

٨ : تربية الاولاد والعابهم

ومن عادة اشراف الحيريين انهم يرسلون اطفالهم للرضاعة والتربية إلى بيوت معارفهم أو من يعتمدون عليه من اخصائهم . وكانت هذه عادة العرب في غير الحيرة ايضاً ولا تزال قائمة حتى اليوم عند بعضهم . ولما ملك المنذر جعل ابنه النعمان في حجر عديّ بن زيد (٤) ووضع المنذر بن ماء السماء ابناً له اسمه مالك عند زرارة (٥) وترك الاسود بن المنذر ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري لترضعه زوجه (٦)

لنقف قليلاً عند اولاد الحيريين ونرى العابهم وملاهيهم . نراهم يلعبون بالدوّامة وهو «المصراع» بلسان العراقيين اليوم تصحيح «المرصاع» الفصيح قال المتلمّس (٧)

وتظلّ في دوّامة م المولود يظلمها تحرّق(٨)

(١) كذلك ٦٦١ (٢) كذلك ٦٩٣ (٣) كذلك ٦٩٠

(٤) شعراء النصرانية ٤١٦ (٥) الاغاني ١٩ : ١٢٨ (٦) ابن الاثير ١ : ٢٣٣ * (٧) شعراء النصرانية ٣٤٦ (٨) الدوّامة لعبة صبيان العرب يرمون بها على الارض بالخيط فتدوم اي تدور : يقول شاعرنا بهذا

ومثلها لعبة الخذروف المنتشر يومئذ عند العرب وفيها يقول امرؤ القيس في معلّقته :

درير كخذروف الوليد امرّه   تتابع كفيه بخيط موصّل

والخذروف لعبة مستديرة يديرها الصبيان بخيط ادخل في ثقبه وفتل . ولعبوا بالكعاب على مانراه حتى اليوم عند اولاد العراقيين وغيرهم فقد جاء ان المرقش كان يهوى ابنة عمه اسماء فذهب الى احد الملوك وفي غيابه زوجها عمه من رجل آخر فخبّره اخوته عند عودته انها ماتت ودفنوا عظام كبش في قبر وسمّوه انه قبرها فأخذ يزوره فبينما هو مضطجع ذات يوم وابنا اخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما في كعب فقال احدهما هذا كعبي اعطانيه ابي من الكبش الذي دفنوه وقالوا اذا جاء مرقش اخبرناه انه قبر اسماء . فاطلع المرقش على الخبر من قول الولد (١)

وفي الحيرة العاب لعبها غير الاولاد منهم . نذكر الطبن وقيل هي السدر قال المتلمّس من قصيدة يهجو الملك عمرو بن هند (٢)

أعني الخؤولة والعموم فهم   كالطّبن ليس لبيته حُولُ

ومن العابهم الجمرّي وهي لعبة للصبيان وهو ان يحمل الصبي بين اثنين على ايديهما ولا تزال هذه اللعبة حية بين اولاد العراقيين ويسمونها في بغداد « صندوق عال » والبوصاء وهي لعبة لهم يأخذون عوداً في رأسه نار فيديرونه على رؤوسهم . وهذه موجودة في العراق ولكن اسمها غير معروف اليوم . و « الخطّة » يخط الصبيان دائرة ويقف فيها صبي ويحيطون به ليأخذونه . وهي باقية في بلاد الرافدين بهذا الاسم والوصف وربما سميت في اللغة الفصحى الحاجورة ايضاً . والزحلوفة تزلج الصبيان من فوق التلّ الى اسفله . واللعبة مشهورة في العراق ويسميها بعضهم الزحلوقة . اما الحوالس فلعبة لهم بالحصى وأنشد الشاعر :

البيت لعمرو بن هند ملك الحيرة : لك هذه الدنيا وهذه القصور وانت اذا أُخذ من ابنك دوامة تحرق اي تلتهب غضباً

(١) الاغاني ٥ : ١٨٠   (٢) شعراء النصرانية ٣٣٩ والمشرق

فاسلمني حلمي فبتُ كأنني اخو خرق يلهيه ضرب الحوالس

قلنا هذه اللعبة تسمى في الموصل «الحالوسة» وفي بغداد والشام «المنقلة» يلعب فيها اثنان يأخذ كل منهما ٤٩ حصاة او ودعة او خرزة ويوزعها كل منهما على سبع حفر محفورة في خشبة متقابلة ويأخذ كل في دوره محتويات احدى الحفر من الحصى ويلقي حصاة في كل حفرة من الحفر الاربع عشرة حفرة وهكذا يسير في توزيعه فاذا انتهى الى حفرة فارغة والتي فيها حصاة . يبدأ الآخر بتوزيع الحصى واذا انتهى الى حفرة صار فيها حصاتان او اربعة حصى ربح هذه الحصى وما في الحفرة المقابلة .

ومن العاب الحيريين المخراق وهو منديل او نحوه يلوى فيضرب به او يلف فيفزع به وأنشد أبو علي :

ارقت له ذات العشاء كأنه مخاريق يدعى وسطهن خريج

قلنا ولا تزال هذه اللعبة معروفة في بغداد يسميها صبيانهم باسم تركي « قره قامچي » معناه السوط الاسود

ومن العابهم المقلاء والقلة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذي يضرب به هو المِقلاء والقلة الخشبة الصغيرة التي تنصب ويقال لها ايضاً المقلاء والقال وانشد الشاعر :

كأن نزو فراخ الهام بينهم نزو القلات زهاها قال قالينا

وهذه اللعبة تعرف في العراق حتى اليوم ويسميها الصبيان والبغداديون «الشنطرة والبلبل» عوضاً عن المقلاء والقلة (١) كما انهم لعبوا النرد والشطرنج وهما لعبتان اخذها العرب من العجم (٢) وتعلموا لعبة الصولجان من العجم ايضاً (٣)

٩ : النذور والمناحة

وكان من عادة الحيريين اذا اراد الرجل منهم امراً نذر انه لا يشرب الخمر

(١) راجع المخصص لابن سيدة ١٣ : ١٦—١٩ والساق على الساق لفارس الشدياق ٨٧ للتوسع (٢) الاغاني ٨ : ٩٥ (٣) شعراء النصرانية ٤٤١

ولا يغسل او لا يأكل اللحم او لا يعمل ذلك كله حتى يتم له الامر (١)

ولهم عادات في الموت والمناحة . فكانوا يكفنون موتاهم ويحنطونهم وتقوم نادبة تندبهم (٢) وقال عدي بن زيد في النائحة : (٣) سأكسب مجداً او تقوم نوائح

وكانت المرأة عندهم اذا ناحت قائمة على زوجها علم انها لا تريد ان تتزوج بعده وهكذا فعلت عائشة بنت طلحة على زوجها الاخير عمر بن عبيد الله بن معمر (٤)

١٠ : الحلف

ولا تثريب علينا ان مررنا بكم بطرق الحيرة وطفنا مجتمعاتها ومعناصور حلف القوم بمقدساتهم ومعتقداتهم واقسامهم الدالة على نفسيتهم واديانهم فها اننا نسمع ملكهم المنذر يقسم ازيد بن عدي « حق سبد » وسبد صنم اهل الحيرة (٥) وها اننا نسمع عبد المسيح المتلمس يحلف باللات والانصاب وهو يهجو عمرو ابن المنذر فيقول (٦)

اطردتني حذر الهجاء ولا   واللات والانصاب لا تئل

ونسمع المنذر يقسم ايضاً باللات والعزّى ويقول بعد هلاك عدي بن زيد لما اراد اهل الحيرة اخذ الف ناقة كانوا قد اعطوه اياها يوم ولوه عليهم « لا واللات والعزّى » لا يؤخذ مما كان في يد زيد ثفروق (٧) وقد جمع شاعر الحيرة عدي ابن زيد في قسمه بين مكة والصليب في قصيدة نظمها في سجنه يوم القاه فيه النعمان (٨) :

سعى الاعداء لا يألون شراً   عليك ورب مكة والصليب

وحلف عمرو بن عبد الجنّ بالعزّى وبالنسر وما يضحى عليهما من الضحايا وبقربان المسيح على الهيكل فقال (٩) :

(١) الاغاني ١٠ : ٨٦ (٢) كذلك ١٩ : ٨٨ (٣) شعراء النصرانية : ٤٦٧
(٤) الاغاني ٢ : ١٣٣ (٥) الاغاني ٢ : ٢٠ (٦) شعراء النصرانية ٣٣٩
(٧) شعراء النصرانية ٤٤٥ (٨) الاغاني ٢ : ٢٣ (٩) الطبري ٢ : ٣٤
ونسب الاب شيخو في كتابه النصرانية وآدابها ص ٤٠٤ البيت الاول للاخطل وذكر ص ١٩٠ ان البيت الثاني منسوب للاعشى وللاخطل ولابن عبد الجن





صلبان في الحيرة وفي اخشار رسوم على الجص في الحيرة

أما ودماء مائرات تخالها　　على قلة العزّى اوالنسر عندما
وماقدّس الرهبان في كل هيكل　　أبيل الابيلين المسيح بن مريما

وجاء في حلف الاخطل القسم بمكة ومناسك الحج(١)

اني حلفت برب الراقصات وما　　اضحى بمكة من حجب وأستار
وبالهدايا التي احمرّت مذارعها　　في يوم نسك وتشريق وتنحار
وما بزمزم من شمط محلّقة　　وما بيثرب من عون وابكار

واقسم الاعشي ذاكراً يوم ذي قار قائلا (٢):

حلفت بالملح والرماد وبالعُـزّى وباللات تسلم الحلقة

ومما يسترعي الانتباه في هذه الاقسام ان النصارى كانوا يحلفون بالاصنام والاوثان في الجاهلية وبمكة والمناسك بعد الاسلام اخذاً بعاداتهم القومية كما يقال باللاتينية حتى في عهدنا بحق هركل « Mehercle » او بالايطالية بحق بخوس «Per Bacco» (٣)

واقسمت هند بنت النعمان « بالصليب» لما رفضت المغيرة بن شعبة اذ جاءها خاطباً فقالت له «والصليب» لو علمتُ ان في خصلة جمال او شباب رغبتك في لأجبتك ولكن اردت ان تقول في المواسم ملكت مملكة النعمان ونكحت ابنته «فبحق معبودك» أهذا اردتَ ؟. قال اي والله قالت فلا سبيل اليه فقام المغيرة وانصرف (٤)

واقسم عدي بن مرينا قبل عهد هند بالصليب والمعمودية قال للاسود ابن المنذر قد غشك عدي بن زيد « والصليب والمعمودية » (٥) ونسمع حنين ابن بلوع يقول ان صوت ابن سريج ماصنع «والصليب والقربان» الا في منزلنا وفي سرداب لجدي (٦) وعلى ذكر الحلف بالقربان نقول ان العرب في الجاهلية سمت القربان الشبّر واقسم به عدي بن زيد (٧)

(١) ديوان الاخطل ١١٩　　(٢) الاغاني ٢٠ : ١٣٩　　(٣) شيخو : النصرانية وآدابها ص ٤٠٤　　(٤) الاغاني ٢ : ٣١　　(٥) كذلك ٢ : ٢٢　　(٦) كذلك ٢ : ١٢١　　(٧) شعراء النصرانية ٤٥٢

إذا اتاني نبأ من منعم	لم اخنه والذي اعطى الشبر

وحلف الاخطل هكذا « قدوس قدوس وحق الصليب »(١) وحلف في محل آخر « والمسيح » (٢) كما حلف قبله جد حنين الحيري «فوحق المسيح» (٣) وكان يحلف نصارى الحيرة بالله قال عدي بن زيد (٤):

إنني « والله » فاقبل حلفي	لأبيل(٥) كلما صلى جار

وحلف قصير بن سعد الزباء يوم قصدها وهو اجدع قائلا « ورب البشر » ما كان على ظهر الارض أنصح لخدمة جذيعة مني (٦)

وكانوا يقسمون بكتاب الله فهذا زيد بن عدي النصراني يقول(٧) :

ناشدتنا «بكتاب الله» حرمتنا	ولم تكن بكتاب الله ترتفع

***

ومن عادة الحيريين للتوثيق من قسمهم انهم يحلفونه في البيعة وقد قام بهذا كل من عدي بن زيد وعدي بن مرينا واليك رواية الاغاني (٨) ... وقام عدي بن زيد الى البيعة فحلف ان لا يهجو عدي بن مرينا ابداً ولا يبغيه غائلة ابداً فلما فرغ عدي ابن زيد قام عدي بن مرينا وحلف ...



(١) الاغاني ٨ : ٨١	(٢) كذلك ٨٢	(٣) كذلك ٢ : ١١٢
(٤) شعراء النصرانية ٤٥٣	(٥) الابيل حبر النصارى وهو ايضاً السيد المسيح	(٦) الاغاني ١٤ : ٧٢	(٧) شعراء النصرانية ٤٧٢
(٨) ٢ : ١٢٢

التنوخيون في العراق

لمّا حدث سيل العرم (١) تمزّقت عرب اليمن من مدينة مأرب الى العراق والشام ، فكانت تنوخ وهم حي من احياء الازد ممن تمزّق الى العراق . وذلك انه اتفق مجيء مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان الازدي من بني نصر من الازد في جمهور من الازد ، ومجيء مالك بن فهم بن تيم الله بن اسد بن وبرة بن قضاعة في جمهور من قضاعة لما افترقت قضاعة عن تهامة الى البحرين . وتحالف مالك بن فهم الازدي ومالك بن فهم بن تيم الله القضاعي على من ناوأهم ، فسمّي تنوخاً . وهذا الاسم مشتق من التنوخ بمعنى الاقامة (٢) . ويروي العرب ان الكاهنة الزرقاء بنت زهير المعت الى هذا الاسم في تكهنها للقوم عن ظعنهم الى الحيرة ، فتم تنبؤها وسارت تنوخ من البحرين حتى نزلوا الحيرة. فكان اول من اختطها منهم مالك بن زهير . واجتمع اليهم لما ابتنوا بها المنازل ناس كثير من سقاط القرى (٣)

وذكر حمزة الاصفهاني (٤) ان الازد ساروا بعد ذلك الى العراق مع مالك بن فهم الازدي ، وصارت قضاعة مع مالك بن فهم القضاعي الى الشام . فملك القضاعيون طائفة من الشام ومنها الى الضجاعمة . فبقي الملك فيهم الى ان غلب على الملك بنو جفنة او الغسانيون (٥) وملك على تنوخ العراق مالك بن فهم. وقام

(١) سيل العرم او بثق سد مأرب حدث في اواخر القرن الاول للميلاد او اوائل القرن الثاني على ما اثبته العلامة دي ساسي (٢) حمزة الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص٦٤ . (٥) الغسانيون . كانوا عمّال الروم في الشام ، كما كان المناذرة عمّال الفرس في الحيرة. وكانوا في الحروب التي تنشب بين الفرس والروم ينتصرون للروم ، كما كان المناذرة ينتصرون للفرس. ووقعت بين الغسانيين والمناذرة حروب ووقائع يأتي ذكرها في صلب الكتاب. وانتشرت

من هذه السلالة ثلاثة ملوك الى ان انتقل الملك الى آل نصر اللخميين او المناذرة وموضوع هذا الفصل البحث في تاريخ هؤلاء الملوك الثلاثة ، او التنوخيون في العراق .



مالك بن فهم

١٣٨—١٥٨م(١)

كانت دولة الاشغانيين (٢) منقسمة امارات وبلداناً مستقلة ، ولهذا سمى العرب اولئك الملوك والامراء ملوك الطوائف . وكان دبيب الانحلال قد دبّ في جسم هذه الدولة ، وفككت اوصالها لما حلّ مالك بن فهم برهطه ديار العراق فشجع وضع الدولة الواهن هؤلاء العرب على الاستيلاء على الشقة الواقعة بين الانبار والحيرة ، وسهل لهم سبيل السيطرة والسلطان . وجعل زعيمهم مالك بن فهم يستقل استقلالا تاجزاً لايدين لاحد من الملوك . ويظهر ان الحروب التي

النصرانية في تخوم ملوك آل جفنة الغسانيين وآل نصر المناذرة . ودان بها ملوك السلالتين .

(١) اختلف المؤرخون في بدء ملك مالك بن فهم ؛ فقد جاء في مجاني الادب ٣ : ٣٠٤ كان ذلك سنة ١٩٥ . وذكر فريق غير هذا . الا اننا آثرنا تاريخنا لاسباب عديدة لامحل لذكرها هنا . ومع هذا نعترف باننا لانتمكن من البت في هذه القضية .

(٢) أسس الدولة الاشغانية ارشك ، ويقال لها الدولة البرثية «Parths» ، واطلق على ملوكها ملوك الطوائف . ويتخذ العلماء بدأة تأسيسها سنة ٢٤٩ ق م في مهدها . ولم يستول البرثيون على بابل الا بين سنة ١٤٣ و ١٤٠ ق م ؛ لان السلوقيين كانوا يحكمون هذه الديار في ١٤٤ ق م ، وبقي البرثيون في بابل حتى انقراضهم في سنة ٢٢٦ ب م بنهوض اردشير رأس السلالة الساسانية

اثارها الروم على الاشغانيين في غضون القرن الثاني للميلاد ، وكان من نتائجها استيلاء الروم على بابل غير مرة ، ايدت « ملكا » في بسط سلطانه . ولا يبعد ان الروم عضدوه . ولنا في شهادة القرماني (١) مايثبت رأينا . فقد قال عنه : « كان ملكا على مشارف الشام الى الفرات من قبل الروم وكانت دياره بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الخانوقة وقرقيسيا وكان ملكه في ايام ملوك الطوائف وكانت مدة حكمه على الحيرة عشرين سنة »

ان كلام القرماني يسترعي الانتباه في هذا الموقف لانه يُظهر لنا مالك بن فهم ملكاً على المضيق من قبل الروم . وجاء في معجم البلدان (٢) ان المضيق موضع مدينة الزبّا بنت عمرو قاتلة جذيمة،وقالوا وهي بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا على الفرات .

لانعرف الا النزر اليسير عن تاريخ مالك بن فهم . فانه حكم على التنوخيين الذين كانوا يسكنون الخيام ويسمّون عرب الضاحية (٣).واتخذ منزله في الانبار وبنى له قصراً في الحيرة ، واقطع رجاله الاقطاع فيها (٤) . وبقي في دست الحكم الى ان رماه سليمة بن مالك رمية بالنبل ، وهو لايعرفه ، وكان قد افاض عليه احسانه فلما علم ان سليمة راميه قال :

جزاني لاجزاه الله خيراً	سليمة انه شراً جزاني
اعلّمه الرماية كل يوم	فلما اشتدّ ساعده رماني

فلما قال هذين البيتين فاضت روحه وهرب سليمة الى عمان (٥)

***

(١) اخبار الدول وآثار الاول طبعة بغداد الحجرية ص٢٣٩

(٢) مادة «المضيق»   (٣) الطبري ٢ :٢٨   (٤)معجم البلدان مادة«الحيرة»

(٥) حمزة الاصفهاني ص ٦٤

عمرو بن فهم

١٨٥—٢٠٨م

قال ابن الاثير (١) : ثم مات مالك فملك بعده اخوه عمرو بن فهم بن غانم ابن دوس الازدي (٢) . لايذكر التاريخ شيئاً عن الاحداث التي تمت في ايامه ، حتى ان بعض المؤرخين لايذكرون حكمه بل يجعلون جذيمة الابرش خليفة مالك بن فهم (٣) .



جذيمة الابرش او الوضاح (٤)

٢٠٨—٢٦٨م

جذيمة الابرش بن مالك (٥) بن فهم بن غانم بن دوس الازدي ، وقال ابن الكلبي : دوس بن عدنان بن عبدالله بن نصر بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد بن الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا (٦) . قيل له الابرش او الوضاح لبرص كان فيه ولم تشأ العرب ان

---

(١) الكامل ١ : ١٣٥ (٢) يذهب البعض ان اصل هذه السلالة من قضاعة ويذهب غيرهم انهم من الازد . ويقال ان فهم بن مالك زعيم قضاعة ذهب بقبيلته الى الشام وانضمّوا الى من هناك من قضاعة . وليس هنا محل الخوض في هذا الموضوع (٣) ان الطبري واباالفداء وابن الاثير والقرماني متفقون في اعتبار عمرو بن فهم خليفة ملك بن فهم (٤) اتخذ بعضهم بدء حكمه سنة ٢١٥ راجع مجاني الادب ٣ : ٣٠٤ (٥) وجاء في الاغاني (١٤ : ٦٨) جذيمة بن فهر بن غانم بن دوس عدنان الاسدي . وقال الطبري (٢: ٢٩) في نسبه انه من العاربة الاولى من بني وبار بن اميم بن لوذ بن سام بن نوح . وذكر حمزة الاصفهاني ص ٦٤ ان اسم جذيمة عمرو بن معاوية بن كندة

تنعته به إكباراً له (١)

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على الإطناب بصفاته وخصاله المحمودة حتى قالوا انه افضل ملوك العرب رأياً وابعدهم مغاراً واشدهم نكاية واظهرهم حزماً. وتناقل نص هذا المدح والإطراء من كتب عن جذيمة (٢) . كما انهم قالوا انه اول من استجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب وغزا بالجيوش (٣)

اتت الاحوال السياسية في العراق موالية لجذيمة في توسيع ملكه وتقوية سلطانه وجمع كلمة قومه العرب في هذه الديار ، وذلك للفتن الداخلية التي قامت بعد وفاة الملك البرثي بلاش الرابع سنة ٢٠٨ او ٢٠٩م وهي السنة عينها التي تولى بها الحكم جذيمة . وكان سبب هذه الفتن تنازع اردوان وبلاش ابني بلاش الرابع الحكم ، ولما تم الاتفاق بينهما او كاد جاءت صعوبات خارجية اثارها امبراطور الروم كراكلس «Caracallus» سنة ٢١٦ م ، فقتل غدراً جيش اردوان وكان يوقع باردوان نفسه لو لم يهرب من بين يديه . ثم نشبت حرب في سنة ٢١٧ بين اردوان والروم في عهد مكرينس «Macrinus» خليفة كراكلس انتهت بانتصار الفرس (٤)

وان كانت النصرة لاردوان في تلك الحرب الا ان الحال لم تستقر في بلاد الاشغانيين ، اذ ظهر اردشير ملك الفرس من اقيال الاشغانيين وشق عصا الطاعة عليهم ، فقتل اردوان في واقعة سهل هرمز على إضعة اميال من شرقي الاهواز وبموته انقرضت تلك السلالة وانتصر اردشير وأسس الدولة الساسانية سنة ٢٢٦ م

وكأني بعرب العراق قد شعروا في تلك المطاوي بضرورة التفافهم حوالي شخص لتوحيد كلمتهم وتوثيق اواصر عزهم . وكان المقدم بينهم جذيمة الابرش

---

(١) ابن الاثير ١ : ١٣٦ (٢) ذكر ذلك الطبري وابن الاثير وابو فرج الاصبهاني وغيرهم ، وعنهم اخذ الكتبة المحدثون (٣) الطبري ٢ : ٢٩

(٤) راجع الفصل المختص بوضع العراق في عهد ملوك الحيرة من كتابنا هذا

(٥) سايكس تاريخ فارس ١

وارث سلطان التنوخيين فتوجهت اليه انظارهم . ونظراً الى العوامل التي ذكرناها تمكن جذيمة من بسط سيطرته فيما بين الحيرة والانبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر واطراف البر الى الغمير والقطقطانة وخفية (١) وما والاه . فجبيت اليه الاموال ووفدت عليه الوفود (٢)

ويظهر ان طموحه الى الفتح حمله على الابتعاد عن مركز قوته فوسع نطاق حركاته العسكرية فتسيطر على معد وبعض اليمن وعلى البحرين او بعض اصقاعه كيبرين وغيرها . وفي ذلك قال الشاعر الجاهلي (٣):

أضحى جذيمة في يبرين منزله   قد حاز ماجمعت في عهدها عاد

وقال ابن دريد في مقصورته (٤) : ملك جذيمة شطي الفرات الى صراة جاماس (٥) والى الانبار وما وراء جاماس وماوراء ذلك الى السواد . ومن حملاته تلك التي غزا بها طسماً وجديساً في منازلهم من جو وما حولهم ، وهي اليمامة ، وبين اليمامة والبحرين عشرة ايام . ولم يكن محظوظاً في هذه الغزوة بل هرب رجاله امام حسان بن تبع اسعد ابي كرب ، واتت خيول تبع على سرية لجذيمة فاجتاحها ، وبلغ جذيمة خبرهم فقال متجبراً حتى في كسرته (٦) :

ربما أوفيت في علم   ترفعن بردي شمالات (٧)

في فتو أنا كالئهم   في بلايا غزوة باتوا(٨)

---

(١) تجد بحثاً مستفيضاً عن مواقع هذه البلاد في الفصل المختص بجغرافية مملكة الحيرة كما سيجيء .

(٢) الطبري ٢ : ٢٩   (٣) حمزة الاصفهاني ص ٦٤   (٤) المقصورة ص ١٥

(٥) هكذا ضبط طابع مقصورة ابن دريد « جاماس » ونعتقده غلطاً وصحيحه جاماسب : « وصراة جاماسب » قال عنها ياقوت تستمد من الفرات ، بنى عليها الحجاج بن يوسف مدينة النيل التي بارض بابل   (٦) الطبري ٢: ٢٩

(٧) يروى عجز هذا البيت : ترفعن ثوبي الخ ونسبه الزمخشري في مفصله ص ٣٣١ لعمرو بن هند ونسبه شارح الايضاح لجذيمة ونسبه ابن حزم لتأبط شراً   (٨) جاء هذا البيت في الاغاني ١٤ : ٧٤ : في شباب انا رابئهم هم لدى

ثم أبنــا غانمي نعــم وأناس بعــدنا ماتوا

نحن كنــا في تمرهم اذ مر القوم خوات

ليت شعري مــا اماتهــم نحن ادلجنا وهم باتوا (١)

وثنا كــانوا ونحن إذا قال منا قائــل صــاتو

ولنا البيــد البعــاد التي أهلها السودان أشتات

ثبوة الأخيار شــاهدة ذا كم قومي وأولات

قد شربت الخمر وسطهم ناعمــاً في غير أصــوات

فعلي ما كان من كرم فستبكيني بنيــات

أنا رب النــاس كلهم غير ربي الكافت الفات (٢)

ومن اخبار حروبه انه قصد بجموعه عمرو بن الظرب بن حيان بن اذينة ابن السميدع بن هوبر العاملي من عاملة العمالين (كذا واظنه العماليق) ويقال له العمليقي (٣) الذي كان ملكاً على مشارف الشام والمضيق بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا ، وهو والد الزبا (٤) . فاقبل عمرو بن ظرب بجموعه من بلاده ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً . فقتل عمرو بن ظرب ، وانفضت جموعه، وانصرف جذيمة بمن معه سالمين غانمين . فقال في ذلك الأعور بن هناء بن مالك بن فهم الأزدي :

كأن عمرو بن ثربا لم يعش ملكاً ولم تكن حوله الرايات تخفق

لاقى جذيمة في جأواء مشعلة فيها حراشف بالنيران ترتشق (٥)

لم يقض جذيمة في هذه المعركة الداميه على ملك عمرو بن ظرب ولم يضم

الموزةصات (١) صدر هذا البيت في رواية الاغاني : ليت شعري ما اطاف بهم

(٢) الكافت الذي يكفت نفوسهم والفات الذي يفتهم انفسهم ويقصد بذلك الله « وقد اوردنا هذه الابيات السابقة على علاتها ، وهي عديدة ، لانها كذا جاءت في الاصل ، ولا يخفى اصلاحها على البصير »

(٣) الطبري ٢ : ٣١ (٤) معجم البلدان المواد : المضيق والخانوقة وقرقيسيا

(٥) الطبري ٢ : ٣٢ .

ملكه اليه ، بل اكتفى بقتله . فاستولت الزبّاء على بلاد ابيها . وسنرى ان هذه الغلطة سببت قتل جذيمة بيد الزبّاء على رواية المؤرخين العرب .

لم تقف نزعة جذيمة عند الحكم والادارة والغزوات ، بل تاقت نفسه الى الزيادة في الشهرة والجمع بين السيطرة المدنية والسيادة الدينية ، على مثال ملوك بابل الذين كانوا يدعون باتسي « Patesj » فيجمعون بين الملك والدين . فقد ذكر الطبري (١) ان جذيمة تنبأ وتكهّن ، وكان له صنمان يقال لهما الضيزنان ، مكانهما معروف في الحيرة (٢)

ومن اغلاط جذيمة السياسية اذعانه لأردشير مؤسس الدولة الساسانية بشروط مجحفة باستقلال الحيرة، مزرية بإباء العرب وشممهم . فانه خضع لسيادة الملك الساساني كما خضع ملوك الطوائف . وعلى اثر هذا الاتفاق كره كثير من تنوخ مجاورة العراق على الصّغار . فخرج من كان منهم من قبائل قضاعة الذين كانوا اقبلوا مع مالك بن فهم ، فلحقوا بالشام وانضمّوا الى من هناك من قضاعة (٣)

ويظهر ان جذيمة كان نزّاعاً الى الحضارة ميّالاً الى الاخذ بمظاهر المدنيّة ، يشهد على ذلك ما جاء عنه انه حذا النعال وصنع له الشمع (٤) . واذا حلّلنا تفسيته مستندين الى رواية المؤرخين نستنتج ان الروح العالي الذي كان متغلغلاً بين

(١) الطبري ٢ : ٢٩ (٢) وذكر صاحب المخصص ١٣ : ١٠٤ كان الضيزنان في ايام المنذر الاكبر ، اتخذهما بباب الحيرة ليسجد لهما من دخل الحيرة امتحاناً للطاعة

(٣) ذكر كل من الطبري (٢ : ٣٧) وحمزة الاصفهاني (ص ٦٦) وابن الاثير (١ : ١٣٩) وعنهم وعن النويري اخذ الأب شيخو (مجاني الادب ٣ : ٣٠٦) ان هذا الاتفاق حدث في عهد عمرو بن عدي رأس سلالة اللخميين وخليفة جذيمة على عرش الحيرة . ولكن كيف نوفق بين قول الاصفهاني هذا وقوله طال عمر جذيمة الى ان لحق مُلك شابور بن أذلك الاشغاني (أي ابن اردشير) فلم يحكم عمرو بن عدي الا في عهد شابور ؟ ولهذا رأينا ان نتابع من نسب هذا الاتفاق مع اردشير الى جذيمة نفسه وليس الى وارثه عمرو بن عدي (٤) الاغاني ١٤ : ٧٠

جوانحه دفعه الى شيء من الغرور ، لا بل تجاوز هذا الحد وزجَّ به الى فضاء الخيال والوهم . فكان يخدمه ويحيط به أشراف العرب ، ومن بينهم قصير بن سعد ابن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم ، وكان بمثابة الوزير والمستشار لديه (١) . ومنهم عدي بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عم بن نمارة بن لخم (٢) ، وكان من ندمائه ولاّه كأسه والقيام بمجلسه ، او بكلمة اخرى كان رئيس التشريفات عنده ، وكان عدي يقيم في أخواله من إياد وله ظرف ولب ، فطلبه الملك جذيمة لهذه المهمّة (٣). ونرى بعد ذلك بين ندمائه أخوين وهما مالك وعقيل ابنا فارج القضاعي من الشام (٤) . وكان قبل ذلك يترفع عن الندماء، ويتوهمان الفرقدين نديماه وكان كلما شرب كأساً صب على الارض كأسين لهما (٥) ، والفرقدان كوكبان لا يفترقان في مذهب الجاهلية وقال عمرو بن معديكرب على رواية (٦) :

وكلُّ أخٍ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلاّ الفرقدين

وقد نسب اليه الرواة بعض الشعر لا بل قالوا كان شاعراً ومن شعره (٧):

والملك كان لنا برا ش حوله يزدي بجابر

بالسابغات وبالقنـا والبيض تبرق والمغافر

أزمان لا ملك يجير م ولا ذمام لمن يجاور

اودى بهم غير الزما ن فمنجد منهم وغائر

وهناك غير هذه الابيات المنسوبة اليه وقد مرَّ بنا قبيل هذا شيء منها ، ذكرنا ان جذيمة اقرّ عديّاً في القيام بمجلسه وولاّه كأسه . ويذكر المؤرخون والرواة انه مكث كذلك مدة طويلة . ثم اشرفت عليه يوماً رقاش اخت جذيمة فلم تزل تراسله حتى اتصل بينهما . ثم قالت يا عدي اذا سقيت القوم فامزج لهم وأسق الملك صرفاً ، فاذا اخذت منه الخمر فاخطبني اليه فانه يزوجك ، وأشهد

(١) الاغاني ١٤ : ٧١ (٢) الطبري ٢ : ٣٧ (٣) الاغاني ١٤ : ٧٠
(٤) ابن الاثير ١ : ١٣٦ (٥) علي الظريف : تاريخ ملوك الحيرة ص ١٣
(٦) المفصل للزمخشري ص ٧٠ (٧) الاغاني ١٤ : ٧٣ ـ ٧٤

القوم عليه ان هو فعل ، فخطبها وتزوجها في ذلك الليل . ولما كان الصباح ندم الملك على عمله وأراد قتل عدي . وتقلَّ جذيمة اخته اليه وحصنها في قصره واشتملت على حمل، فولدت غلاماً وسمّته عمراً وربّته . فلما ترعرع حلّته وعطّرته وألبسته كسوة مثله وطوقاً وأرته خاله ، فأعجب به وألقيت عليه منه محبة ومودة وتبناه ، وكان جذيمة لا يولد له ولد (١) . وكانت امرأته لميس بنت زهير زوّجه اياها أخوها مالك بن زهير يوم كانوا في البحرين (٢)

يروي لنا الرواة ان عمرو بن عدي خرج يوما وعليه ثياب وحلى. ففُقد زماناً ، فضرب في الآفاق فلم يوجد . وقالت العرب ان الجنّ استهوته ، وهذه من الخرافات التي تناقلتها الالسن . ثم وجده مالك وعقيل ابنا فارج وهما رجلان من بلقين كانا يتوجهان الى جذيمة بهدايا وتحف. فبينما هما نازلان في بعض أودية السماوة إنتهى اليهما عمرو بن عدي ، فاخذاه الى الملك . ففرح به ، واخذته امه وغسلته وألبسته ثيابه وطوقته طوقاً كان له من ذهب . فلما رآه جذيمه قال: «كبُر عمرو عن الطوق» فارسلها مثلاً (٣). وكافأ جذيمة الرجلين باتخاذهما نديمين له ، وبقيا اربعين سنة في رتبة المنادمة حتى فرّق الموت بينهم . ولذا كثر شعراء العرب من ذكرهما وقال ابن الكلبي يضرب المثل بهما للمتواخيين فيقال كندماني جذيمة (٤)

---

(١) ذكر حمزة الاصفهاني ان جذيمة لم يخلف الا ابنة اسمها زينب . ولكن الطبري (٢ : ٣٠) يذكر ان عمرو بن عدي خرج مع ولد جذيمة يجتنون الكمأة فكانوا اذا اصابوا كمأة جيدة اكلوها واذا اصابها عمرو خبأها في حجزته ، فانصرفوا الى جذيمة يتعادون ، وعمرو يقول : هذا جناي وخياره فيه ، اذ كل جان يده الى فيه . وجاء في الصفحة عينها ان عدياً بعد زواجه رقاش اخت جذيمة رجع الى اياد منهزماً ، فكان فيهم. فخرج ذات يوم مع فتية متصيدين فرمى به فتى منهم من لهب فيما بين جبلين فتنكس فمات

(٢) الطبري ٢ : ٢٧ (٣) مجمع الامثال للميداني ٢ : ٥٦ في شرح هذا المثل.

(٤) الاغاني ١٤ :٦٩، ٧١ وابن الاثير ١ : ١٣٦ ـ ١٣٧ والطبري ٢: ٣٠ ـ ٣١

لنبحث الآن في نهاية حياة جذيمة الابرش وزوال ملكه على ما يرويه لنا المؤرخون العرب . ولا نرى بداً من الالماع هنا الى ان الاساطير كثيراً ما تلتف حول سير الرجال العظام . فتختلق مخيلة الناس احاديث وروايات ينسجون منها وقائع ويؤلفون تاريخاً قد يكون فيه شيء من الحقيقة المشوبة بالاضاليل والاوهام والخرافات ايضاً . ونرى مثل هذه الاساطير والقصص المنمقة والاحاديث المزوقة الموضوعة في تاريخ كل الامم ، ولا سيما في نشأة تاريخها وبدء كيانها ، وما ملاحم الابطال مجهولة منا . ومن الغريب ان مثل هذه الاحاديث تلبست ليس بسير الرجال الذين سبقونا على هذه الارض الوفاً من السنين فقط ، بل اعتورت سير من تقدمونا القرن وبعض القرن . ومن امثال ذلك ما هو منتشر الآن بين الشعب الفرنسي من الروايات الموضوعة عن نابوليون بونابرت نفسه . ومن واجب المؤرخ ان يلتقط الجواهر والجمان من بحر الوقائع والمختلقات ويعزها عن الاصداف . وقد يعسر ذلك على المحقق البحاثة في كثير من الامور لتباعد عهدها وندرة الوثائق والمستندات لا بل فقدانها احياناً ، كما هو الحال في تاريخ التنوخيين في العراق .

رأينا في تضاعيف بحثنا في غزوات جذيمة انه قتل عمرو بن ظرب وان الزباء ورثت الملك من ابيها هذا . فجفلت في قلبها حب الثأر والانتقام من

(١) تسمى نائلة او الفارعة او هند او ميسون . سميت الزباء لكثرة شعرها قيل اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها . والازب في العربية كثرة الشعر . ويؤيد الباحثون ان اسم الزباء محرف من الارامية ومعناه « التاجر » . قيل هي بنت عمرو بن حسن بن أُذينة العمليقي . وقيل ان اباها كان الريان واسمه المليح بن بحرا احد امراء غسان وامها من الروم . وقيل انها كانت (اي الزباء) من اهل باجرمي تتكلم العربية ، وباجرمي هو صقع كركوك اليوم . ولم يعرف هذا الصقع ناشر كتاب مجمع الامثال للميداني طبعة المطبعة الخيرية لسنة ١٣١٠ هجرية، كما جاء في تعليقه في حاشية رقم ٣ على المثل القائل « خطب يسير في خطب كبير » . وقيل انها ملكت الحيرة وغزت ماورداً والابلق . وقصارى القول جاءت اخبارها مضطربة مشوشة في روايات المؤرخين العرب ،

جذيمة قاتل ابيها . فلما استجمع امرها وانتظم شمل ملكها احبّت ان تغزو جذيمة ، ثم اشارت عليها اختها ربيبة وقيل زبيبة بترك الحرب واعمال الحيلة . فكتبت الزبّا الى جذيمة تقول له انها رغبت في صلة بلدها ببلده وانها في ضعف من سلطانها وقلة ضبط لملكتها ولم تجد كفؤًا غيره تزوجه. فعقد جذيمة مجلسه مجلسه في بقّة (١) واستشارهم في الامر فوافق رجاله في ذهابه الى الزبّاء وخالفهم وزيره قصير بن سعد بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم فيما اشاروا به عليه . وقال : رأي فاتر وعدو حاضر . وقال لجذيمة : ان كانت الزبّاء صادقة فلتقبل هي اليك . واستشار جذيمة ابن اخته عمرو بن عدي ، فشجّعه على المسير وقال ان نمارة قومي (٢) مع الزبّاء ، ولو قدروا لصاروا معك . فاطاعه وعصى

كما اختلفت آراء المحدثين فيها . فقد ذهب فريق منهم انها زينب (Zenobia) امرأة أُذينة (Odenathus) . وكان اذينة هذا ملك تدمر وحارب سابور سنة ٢٦٣ م وحاصر طيسفون وعلا شأنه عند الرومان حتى ان مجلس الشيوخ الروماني اعطاه لقب « المحترم » (Augustus) . وارتقت زينب عرش الملك بعد موت زوجها وضبطت الملك لا بل وسّعته واضافت مصر الى مملكة تدمر وابهرت العقول والابصار بحسن سياستها بضع سنوات. الا انها لم تأخذ برأي اورليانس بل حاربت الرومان فاسرها اورليانس سنة ٢٧٢ م ونقلها الى رومة وبها كانت وفاتها . وقد كتب الاب رنزفال اليسوعي مقالاً نفيساً في مجلة المشرق ارتأى فيها ان الزباء هي زينب ملكة تدمر بعينها ، ولكن المستشرق الانكليزي ريدهوس يرتأي غير هذا في بحثه المعنون Were Zenobio et Zebba'u identi cal

(١) بقّة : اسم موضع قريب من الحيرة وقيل حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الابرش ، وقيل هي بين الانبار وهيت ، وقد اشار اليه قصير لمّا قال لجذيمة « ببقّة خلّفتَ الرأي » وقال نهشل بن حري

ومولى عصاني واستبدّ برأيه   كما لم يطع بالبقّتين قصير

وقال عدي بن زيد: دعا بالبقّة الامراء يوماً   جذيمة عام ينجوهم ثبينا

(٢) قوله « قومي » بمعنى خصوم او اعداء ولا يزال عرب العراق يستعملون هذا اللفظ الفصيح في كلامهم حتى اليوم فيقولون « جاء كوم » بقلب القاف كافاً فارسية ونحن والقبيلة الفلانية « كوم »

قصيراً . فغادر جذيمة بلادة مستخلفاً على حكمها ابن اخته عمراً وجعل عمرو بن عبدالجن الجرمي معه على خيوله . وسار مع وجوه قومه آخذاً من الجانب الغربي . فلما بلغ الفرضة دعا قصيراً وقال له : ما الرأي؟ قال : ببقة تركت الرأي وسارت مثلا . فاستقبلته بعد ذلك رسل الزباء بالهدايا والالطاف ، ثم احاطت به الخيول والكتائب فاوجس قصير شراً من الموقف ، وقدم الى جذيمة فرسه «العصا» . ولكن جذيمة شغل عنها ، فركبها قصير وهرب . وقبض رجال الزباء على جذيمة ، فنظر الى قصير وهو على فرسه «العصا» وقد حال السراب دونه ، فقال : « ماضل من تجري به العصا » ، فاخرجها مثلا . واُخذ جذيمة الى الزباء . وفي ذلك يقول ابن دريد في مقصورته (١) :

واخترم الوضاح من دون التي　　　أملها سيف الحمام المنتضى

فقالت له الزباء : اُنبئت ان دماء الملوك شفاء من الكلب ، وقيل من الخبل في رواية غيرها . ثم اجلسته على نطع وامرت براهشيه فقطعا وقدمت اليه الطست للاحتفاظ بدمه . وكانت الملوك لاتقتل بضرب الاعناق الا في قتال تكرمة للملك وفي ذلك قال الشاعر :

وقدمت الاديم لراهشيه　　　والفى قوله كذباً ومينا (٢)

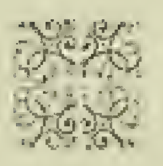
وكان قد قيل لها احتفظي بدمه ، فانه إذا اصابت الارض منه قطرة اخذ بثأره . فقطرت من دمه قطرة ، فقالت لاتضيعوا دم الملك . فقال جذيمة : «دعوا دماً ضيعه اهله» فارسلها مثلا (٣) ، ومات جذيمة ، واستنشفت الزباء دمه فجعلته في برس قطن في ربعة (٤) لها.

هكذا انهى المؤرخون العرب حياة هذا الملك بمأساة تكاد تكون اقرب الى الرواية منها الى الحقيقة . وبموته انتقل الملك الى المناذرة من آل نصر اللخميين لانه لم يخلف غير زينب الملقبة « ام مرتع(٥) »

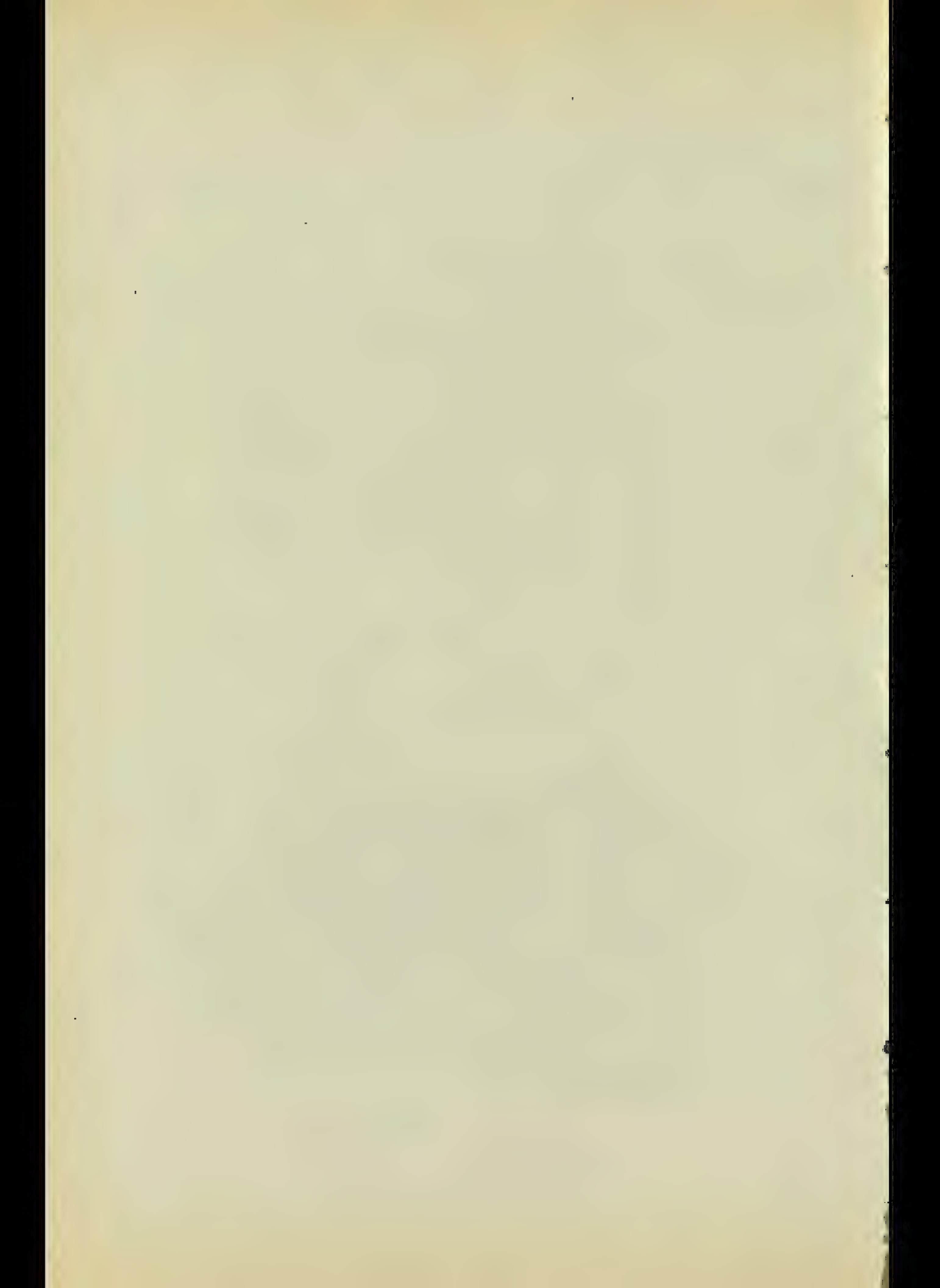
---

(١) مقصورة ابن دريد ص ١٥　(٢) كذلك ص١٦　(٣) «يروى» وما يحزنك من دم اضاعه اهله الاغاني ١٤ : ٧٢　(٤) الربعة : جونة العطار اي عابيته　(٥) حمزة الاصفهاني ص٦٤

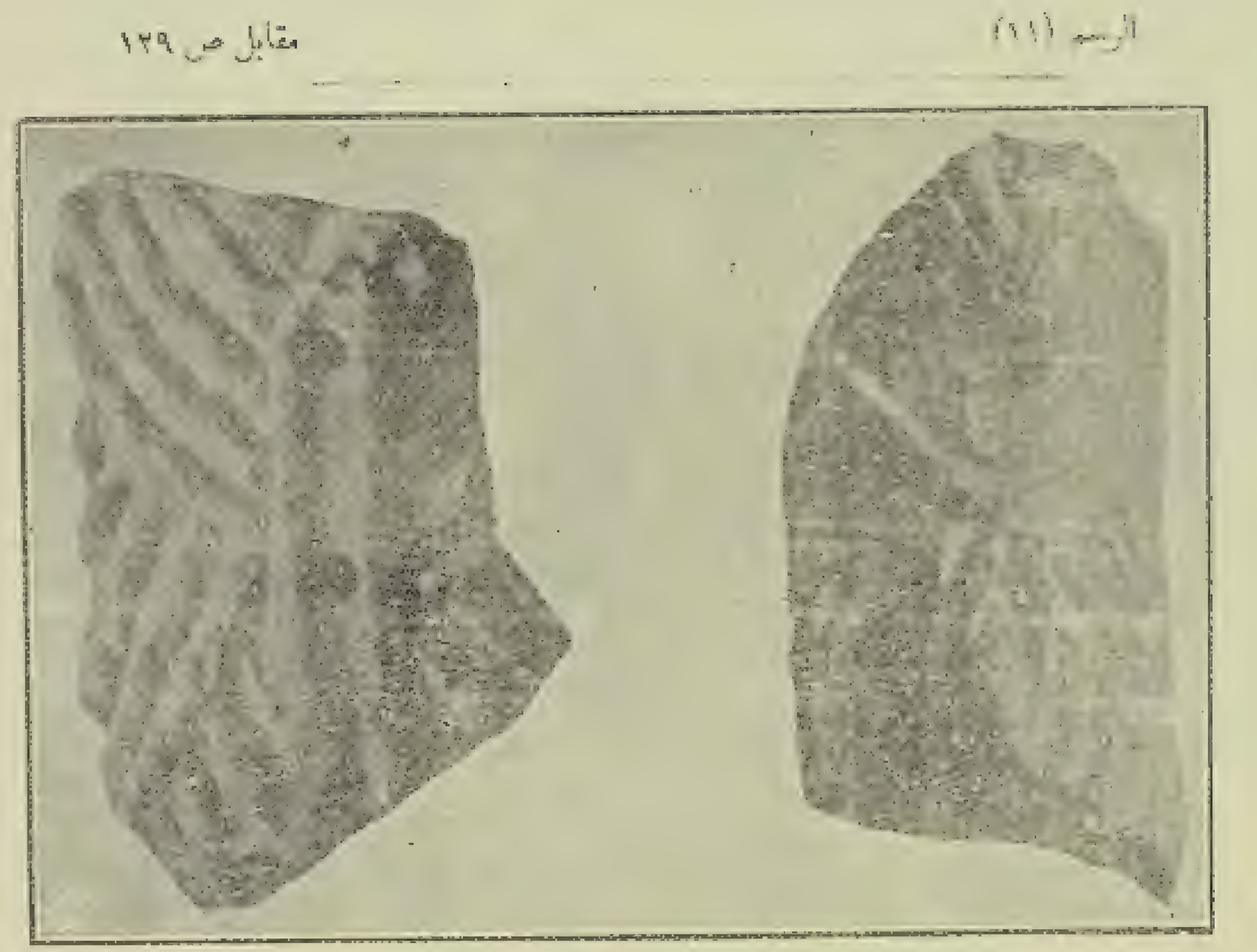
وقبل ان ننتقل الى سلالة اللخميين المناذرة لابدّ من القول هنا ان بعد موت جذيمة انقسمت آراء الناس . فكان فريق منهم يميل الى عمرو بن عبد الجن الجرمي ، وفريق منهم مع عمرو بن عدي بن رقاش اخت جذيمة . فاختلف بينهما قصير حتى اصطلحا ، وانقاد عمرو بن عبد الجن لعمرو بن عدي ومال اليه الناس (١) .



(١) راجع الاغاني ١٤ : ٧١ والطبري ٢ : ٣٢—٣٣ والميداني : مجمع الامثال في شرح المثل خطب يسير في خطب كبير وابن الاثير ١ : ١٣٧—١٣٨ وسايكس : تاريخ فارس ١ : ٤٣٤ ومجاني الادب ٥ : ٦٨ و ٧ : ٢١٧



الرسم (١١) مقابل ص ١٢٩



قطعتان من ستوق (Stucco) ربما كانتا بقايا تمثالين ارتفاعها ٣٥س

سلالة

آل لخم في الحيرة

ويقال لملوكهم

اللخميون ، آل نصر ، المناذرة

آل عمرو بن عدي ، آل المحرّق

* * *

حكموا

٣٤٥ سنة

٢٦٨–٦٣٢ ميلادية

اللخميون في الحيرة

١ : عمرو بن عدي

٢٦٨—٢٨٨م(١)

بعد وفاة جذيمة الابرش انتقل الملك إلى ابن اخته عمرو بن عدي بن نصر ابن ربيعة بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غنم بن غارة بن لخم (٢) رأس سلالة اللخميين في الحيرة ، ويقال لهم آل نصر والمناذرة ، وآل عمرو بن عدي وآل المحرّق ، وقال (هوارت) إن المحرّق اسم وليس لقباً على مايظهر ، وقد جاء في ديوان جرير « عبدالمحرّق » مما يحملنا على الظن انه اسم إله جاهلي لانعرف عنه شيئاً (٣).

قال كوسان دي برسفال : تقلد عمرو بن عدي منصبه من سابور بن اردشير (٤) ، ونرى ان هذه الرواية توافق الحقيقة التاريخية على مانظن ، خلافاً لما رواه حمزة الاصفهاني (٥) من ان عمراً بقي منفرداً بملكه مستبداً بأمره

---

(١) على رواية ايليا اسقف نصيبين : ملك عمرو سنه ١٢٤ : وعلى قول عبد يشوع الصوباوي سنة ١٠٧ . (راجع تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٠٨)

(٢) ابن الاثير ١ : ١٣٩ ، وقد وقع اختلاف في نسب آل المنذر ، فقد جاء في مقدمة ابن خلدون ص ١٦٤ — ١٤٥ : ان العرب الذين كانوا في معادن الخصب للمراعي والعيش من حمير وكهلان مثل لخم وجذام وغسان وطيء وقضاعة وإياد فاختلطت انسابهم وتداخلت شعوبهم ، ففي كل واحد من بيوتهم من الخلاف ماتعرف .

(٣) كليمان هوارت : تاريخ العرب ١ : ٦٣

(٤) كوسان دي برسفال : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٣٥

(٥) الاصفهاني : تاريخ سني ملوك الارض ٦٥

الى ان اتى اردشير وقمع ملوك الطوائف بعد ان كسر (بابا) ملك نبط الشام ، و (اردوان) ملك نبط العراق ؛ فالذي نراه ان جذيمة الابرش عاش في عهد اردشير المنتصر على ملوك الطوائف ، ولما انتهى ملك الحيرة الى عمرو بن عدي اضطر الى تقلد منصبه من سابور خليفة اردشير وفق الاتفاق المعقود بين اردشير وبين جذيمة (١)

امتازت ايام عمرو بن عدي بثأر خاله جذيمة الابرش من قاتلته الزبّاء على ماروه المؤرخون العرب ، وذلك بالتدابير الفعالة والحيل الناجعة التي اتخذها قصير بن سعد بن عمر ، وكان العامل الذي دفع قصيراً إلى الثأر من الزباء انه كان وزير جذيمة ، وامه كانت أمة جذيمة فنشأ على النصح والاخلاص له(٢).

كانت الزبّاء — بعد قتلها جذيمة — تحاذر بطش ابن اخته وخليفته عمرو ابن عدي ، وكان قد حاذرها رجال قومها من بطشه بها ، فاتخذت لها نفقاً من مجلسها الى حصن لها داخل مدينتها ، ودعت مصوراً فارسلته الى عمرو بن عدي متنكراً وقالت له : صوّره جالساً ، وقائماً ، ومنفصلا ، ومتنكراً ، ومتسلحاً بهيئته ولبسه ولونه ثم اقبل إليّ ؛ ففعل المصوّر ماوصته الزباء ، وعاد اليها ، وارادت بذلك ان تعرف عمرو بن عدي في مختلف احواله لتحذره (٣)

لم يجدها هذا الحذر نفعاً ، لان قصيراً دبّر حيلة اصطيادها بفخاخها ، فانه اتى إلى عمرو وقال له : اجدع أنفي واضرب ظهري ودعني واياها ، فرفض عمرو الاقدام على هذه الفعلة ، فقام آنئذ قصير بها بنفسه فجدع انفه ودقّ بظهره وهرب الى الزباء واخبرها : ان عمراً فعل بي هذا ، لانه زعم اني غدرت خاله وزيّنت له المسير اليك وغششته ، فاقبلتُ اليك وعرفت اني لا أكون مع احد هو أثقل عليه منك ؛ فلاطفته واكرمته ، ولما عرف انها وثقت به قال لها : إنّ لي بالعراق مالاً كثيراً ، وبها طرائف وثياب وعطر فابعثيني إلى العراق لاحمل مالي واحمل اليك من بزوزها وطرائف ثيابها وصنوف مايكون بها من الامتعة

(١) الطبري ٢ : ٥٩ (٢) ابن الاثير ١ : ١٣٧

(٣) الطبري ٢ : ٣٥

والطيب والتجارات ، فتصيبين بذلك ارباحاً عظاماً ، وبعض مالاغنى بالملوك عنه ، فانه لاطرائف كطرائف العراق ، فلم يزل يزيّن لها ذلك حتى سرّحته ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق فبع بها ماجهزناك به ، وابتع لنا من طرائف مايكون بها من الثياب وغيرها ، فسار قصير بما دفعت اليه حتى قدم العراق (١) فأتى بيت مال الحيرة ، فاخذ منه بأمر عمرو ماظن أنه يرضيها وانصرف اليها به ، فلما رأت ماجاء به فرحت وزادته ، ولم يزل كذلك حتى أنست به ، وبعد ان اطلع على موضع نفقها خرج في تجارته كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدي ، فركب عمرو في الفي دارع على الف بعير في الجوالق ، حتى اذا صاروا اليها تقدم قصير يسبق الابل ودخل على الزباء ، فقال لها: اصعدي في حائط مدينتك فانظري الى مالك وتقدمي إلى بوّابك ، فلا يعرض لشيء من اعكامنا ، فلما رأت الجمال تمشي دابها الثقال فقالت شعراً (٢):

ماللجمال مشيها وئيداً	أجندلاً يحملن ام حديدا
أم صَرَفاناً بارداً جديداً	أم الرجال جثّماً قعودا

فدخلت الابل المدينة حتى كان آخرها بعيراً مرّ على بوّاب المدينة، وهو نبطي بيده منخسة ، فنخس بها الغرائر التي تليه ، فاصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فقال البواب بالنبطية : (بشتابشتا) ، يعني بذلك « في الجوالق شر » فلما توسطت الابل المدينة انيخت ودل قصير عمراً على باب النفق قبل ذلك واراه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا باهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح وقام عمرو بن عدي على باب النفق واقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وابصرت عمراً قائماً فعرفته بالصورة التي كان صوّرها له المصوّر ، فمصّت خاتمها ، وكان فيه سم وقالت : « بيدي لابيدك ياعمرو » وذهبت مثلا (٣) وتلقاها عمرو

(١) ابن الاثير ١ : ١٣٩ (٢) الاغاني ١٤ : ٧٣

(٣) يلاحظ هنا ان كثيراً من الامثال في اللغة العربية نشأت في الحيرة ، او نسبت الى وقائع كان مبدها تلك الحاضرة ، وقد تكلمت عن ذلك في صفحة ٧٧—٧٨ من هذا الكتاب

ابن عدي ، فجللها بالسيف وأصاب ما اصابه من اهل المدينة ، وانكفأ راجعاً إلى العراق » (١) بعد ان خرّب المدينة ، وسبى الذراري وغنم كل شيء كان لها ولأبيها وأختها (٢)

وقد الهمت حكاية هذه الواقعة موضوعاً للشعراء نظموا في ذكرها اشعاراً ، ومنهم عدي بن زيد ، قال :

معظمها مذكور في مجمع الامثال للميداني وجمهرة الامثال لابي هلال حسن بن عبدالله العسكري ، ومابقي من الاغاني وكتب الادب والتاريخ ، ومن الامثال التي لها علاقة بثأر الزبّاء ماجاء عن لسان العرب ومما لم نذكره كقولهم : أثأر من قصير . اعز من الزبّاء . ثأر سائر . آخر البز على القلوص . جئت عاصاء وصمت . « بيدي لابيدك يا ابن عدي » . (١) الطبري ٢ : ٣٦

(٢) الاغاني ١٤ : ٧٣ هكذا انتهت حياة الزبّاء على ماروا‍ه العرب ، والذي عندنا ان هذه الرواية اسطورة من اساطير السالفين محكمة الوضع متقنة التلفيق يتجلى فيها تفنن الجاسوسية بأتم مظاهرها ، ولا تخلو من بعض فوائد تاريخية أتت عفواً بين مطاويها ، كوصف تجارة العراق وطرائفه وما تأتيه في ذلك العصر والالماع الى انتشار اللغة النبطية في ذلك العهد في العراق وما جاوره من الاصقاع ، اما نقل رجال الجيش في الغرائر او الاكياس خاصة — كما جاء في قصة قصير والزبّاء — فله مثال في الشاهنامة للفردوسي ، والنفق المبحوث عنه في حكاية الزبّاء كثيراً مايروى امثاله القصاصون العراقيون في اقاصيصهم العامية لا أتفرد في الرأي القائل باعتبار رواية المؤرخين العرب عن قتل الزبّاء اسطورة بل يساندني فيه غير واحد من المحدثين ، ولاسيما الافرنج منهم . يذهب كوسن دي برسفال في تاريخه « العرب قبل الاسلام » — معتمداً على ابن نباتة والقزويني — : إلى أن اباها كان الزبان واسمه المليح بن براء ، فمن المحتمل انه كان من بني العبيد الذين نشأ منهم ملوك حكموا إمارة الحضر بعد الجرامقة على مارواه ابن الكلبي ، ولكن لانتمكن من البت في هذا الامر إذ انا في رواية

أأُبْدُ المنازل ام عفينا تقادم عهدها ام قد بلينا(١)

وقال ربيعة بن عوف السعدي —الملكتى المخبل— قصيدته :

ياعمرو اني قد هويت جماعكم ولكن من يهوى الجماع فراق

وقال احدهم :

نحن قتلنا فقحلا وابن راعن ونحن خضينا بنت زبّاء عنجل

فلما اتنها العير قالت ابارد من التمر هذا ام حديد وجندل(٢)

وقال المتلمّس (٣) :

وفي طلب الاوتار ماحزّ انفه قصير ودام الموت بالسيف بيهس

وقال ابن دريد (٤) :

المسعودي وغيره من المؤرخين مايقيم في نفوسنا الريب بوجود سلالة عربية حكمت الحضر ؛ وعلى كل فان كوسن دي. برسفال يظن انه لاصحة لاسطورة الزباء ؛ ومن المحتمل انها تلمع الى نهاية حكم زنوبيا (زينب)ملكة تدمر ؛ تلك النهاية التي يوافق تاريخها عصر عمرو بن عدي ؛ فربما اصابه قسم من ملكها بعد انقراض مملكتها .

(١و٢) الطبري ٢ : ٣٦ (٣) الميداني ١ : ١٥٨ (٤) مقصورته ص ١٧

وعلى ذكر الحضر، نقول انها كانت إمارة موقعها إزاء تكريت في البرية بينها وبين الموصل والفرات ؛ ولا تزال آثار القلعة او القصر بادية اليوم ، وفيها من العظمة الصناعية مايحيّر الالباب ؛ وقد زارها غير واحد من السياح والأثريين ؛ وقد وصفها عدي بن زيد . اذ قال :

واخو الحضر إذ بناه وإذ دجلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمراً وجلله كلساً فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الـ ـملك عنه فبابه مهجور

وقال عنها صاحب معجم البلدان : مبنية بالحجارة المهندمة ، بيوتها وسقوفها وابوابها ، ويقال : كان فيها ستون برجاً كباراً ، وبين البرج والبرج تسعة ابراج صغار بازاء كل برج قصر والى جانبه حمام ، ويمر بها نهر الثرثار ،

وقد سما عمرو الى اوتاره   فاحتط منها كل عالي المستمى

فاستنزل الزباء قسراً وهي من   عقاب لوح الجو أعلى منتمى

واشتهر عمرو بن عدي باتخاذ الحيرة عاصمة لدولته ومقر سلطنته ، وكان الملوك التنوخيون قبله لا يستقرون بكرسيهم في مدينة ، بل يتنقلون بين الحيرة وبقة والانبار . وبدأت الحيرة من عهد هذا الملك بالعمارة ، ودخلت في عصر جديد من الخطورة والعظمة ، إذ اختارها منزلا له (١) .

ومما يستدعي الانتباه في اقوال المؤرخين ان عمراً اول ملك مجده الحيريون

وكان نهراً عظيما عليه قرى وجنان ومادته من الهرماس نهر نصيبين وتصب فيه اودية كثيرة . ويقال إن السفن كانت تجري فيه ، فاما في هذا الزمان فلم يبق من الحضر إلا رسم السور والآثار تدل على عظم وجلالة ، وكان الحضر إمارة اختلف المؤرخون في ملكها ، فذهب فريق إلى أنه كان من الجرامقة ويلقب الساطرون . والعرب تسميه الضيزن ، وسماه الفرثيون والفرس مانيزان ، وصحف هذا الاسم الاخير الكتبة اليونان واللاتين بالصور الآتية :

(Manisar. Mannesis. Mannus.) واطلقوه على عدة امراء شرقيين واسم احد الضياازن برشميا الذي عضده ينجر الروماني في محاربته سبتموس ساويرس سنة ١٩٤ م ، ومنهم من قال — كهشام بن الكلبي — : ان ضيزن الحضر عربي وهو الضيزن بن معاوية بن الاجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن الحاف ابن قضاعة ، وجاء في العمدة لابن رشيق ٢ : ١٨٧ أن نصراً جد عمرو بن عدي هو الساطرون صاحب الحضر . وحكاية سابور بن اردشير في فتحها معروفة مشهورة تمكن من ذلك بخيانة بنت الساطرون التي تزوجها ونكل بها بعد ذلك ، وقال في ذلك عدي بن زيد :

وارى الموت قد تدلى من الحضـ   ـر على رب ملكه الساطرون

كل هذا يدل على تنازع حكم الحضر ، كل من الجرامقة والعرب والروم والفرس .

(١) حمزة الاصفهاني ص ٦٥

في كتبهم من ملوك عرب العراق وملوك العراق اليه ينسبون . وكان في سلطانه منفرداً مستبداً بامره يغزو المغازي ويصيب الغنائم ، وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود دهره الاطول (١).

إن الذي نراه من العوامل الفعّالة في إعلاء شأن عمرو بن عدي والتفاف قبائل عرب العراق حوله ، هو ماوقع من الاحداث العرب في مدينة الحضر من القهر والتنكيل على يد سابور بن اردشير ، والفت في عضدهم على ماذكرناه في فصلنا « نزوح العرب الى العراق »(٢) وذلك حفظاً لكيانهم ودفعاً للطوارئ والاحداث ، ولا سيما انه كان موالياً لسابور قد تقلد الحكم منه ، وكان يعد من عماله على اكثر الروايات ، او ان سابوراً نفسه فوّض اليه الحكم على عرب العراق بعد ان نكّل بهم في الحضر ، فذهبت شهرته بين القبائل ، ولا نعرف غير ذلك عن هذا الملك .



(١) الطبري ٢ : ٣٧ (٢) ص٦-٩ من هذا الكتاب

٢ : امرؤ القيس الأول

٢٨٨ — ٣٢٨ م

امرؤ القيس البدأ ، وهو — الأول في كلامهم — وهو ابن عمرو بن عدي ، وامه مارية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدي (١) وكان يلقب ذا التاج (٢) ويذكر الطبري (٣) صريحاً انه من عمّال ملوك الفرس

والظاهر ان الاحوال السياسية اتت ملائمة لمد سلطانه وتوسيع ملكه ، فانه حكم على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ (٤) ومن اعماله انه اخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم ، وهزم مذحج ، وقاد الظفر الى اسوار نجران مدينة شمر واخضع معداً ؛ ونظراً الى هذه الغزوات والفتوحات دعي بحق ملك العرب كلهم ؛ ولما بلغ هذا الشأو العظيم من النصر والظفر دبر ادارته بحكمة وحزم ، واستعمل بنيه على القبائل وانابهم عنه لدى الفرس والروم (٥)

لاريب فيما ارتأيناه من ملاءمة الاحوال السياسية ؛ وانما هي التي روّجت امتداد سلطانه ؛ فنظرة واحدة في وضع الدولة الفارسية تحت لواء حكمه تُثبت قولنا ؛ فبعد وفاة بهرام الثالث تنازع العرش ابناه : نرسي وهرمز ، وانتهى النزاع بانتصار نرسي ؛ ثم اثار الحرب على دقلديانس ، فاشتبكت الفرس والروم في القتال ، وانجلت الحرب عن انكسار نرسي وظفر الروم سنة ٢٩٧م وكانت شروط الصلح ثقيلة الوطأة بترت من ملك الساسانيين كوراً كثيرة (٦) ، وكانت هذه الفتنة

---

(١) راجع حمزة الاصفهاني ص ٦٦ و٦٧ (٢) زيدان : العرب قبل الاسلام ص ١٩٧ (٣) الطبري ٢ : ٦٤ و٦٥ (٤) كذلك (٥) زيدان : تاريخ الآداب العربية ١ : ٢٨ والكتابة الضريحية التي نجدها بعد هذا (٦) سايكس تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٤١

وخيمة العقبى على نرسي انتزعت منه العرش والتاج سنة ٣٠١ او ٣٠٢ م وبعد ان تنازل نرسي عن العرش خلفه ابنه هرمز ، وكان حريصاً على انتعاش العدل في بلاده ، ولم يعرف شيء عن سياسته ، ولكنه لم يقم باي عمل لاسترجاع مافقده والده من بلاد وسيطرة ثمات سنة ٣٠٩(١) قبل ان يولد ابنه سابور ذو الاكتاف ولما ولد نودي به ملكاً وهو طفل في مهده ، وبقيت الدولة الساسانية ملازمة خطة الدفاع كل مدة حداثة سابور حتى بلغ السادسة عشرة من عمره سنة ٣٢٥ وقد طمع فيها جيرانها وغزاها عرب البحرين ، والحساء ، والقطيف ، والاياد المجاورة ، مما حدا بسابور ذي الاكتاف ان ينكل بالعرب بعد بلوغه سن الرشد تنكيله المعروف المشهور في التاريخ ، وقد عرف امرؤ القيس كيف يستغل موقف الساسانيين وبواليهم ، فعظم امره ، وقويت شوكته على العرب

ولم تكن الاحوال السياسية اقل ملائمة لامرىء القيس بن عمرو في بلاد الروم ، إذ قامت هناك الفتن الداخلية وانصدع حكم القياصرة ، وتنازع السلطان اكثر من امبراطور واحد ، فاعتلى العرش ستة قياصرة في آن واحد سنة ٣٠٦م ونشبت حروب القياصرة آنئذ فكانت خمس حروب في ١٦ سنة(٢) ، وتطورت حال النصرانية بصدور مرسوم ميلان سنة ٣١٣ م ، إذ اعتبر هذا المرسوم النصرانية مساوية الوثنية ، وزادت الاضطرابات في بلاد الروم بين النصارى بظهور بدعة أريوس ، حتى التأم مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥.(٣)

تلك كل هذه الاحوال في بلاد فارس ، وبلاد الروم تبسط امرىء القيس ابن عمرو في الحكم ، وامتداد سلطانه حتى وافاه داعي الحمام وهو في عمارة في بلاد الصفا ، وقد عثر الرحالة (رينة دوسو) على كتابة ضريحية هناك تدل على قبر هذا الملك في بلاد حوران ، وهي بالخط النبطي الجميل ، وهي اليوم في متحف (اللوفر) في باريس ، وهي بالعربية المشوبة ، وخطورتها التاريخية تنقلها الى

---

(١) الطبري ٢ : ٦٥

(٢) شارل سنيوس ، العادية الرومانية ٣٣٤

(٣) كذلك ص ٣٣٧

العربية الفصحى وهي (١):

(١) هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلّد التاج

(٢) واخضع قبيلتي أسد ونزار وملوكهم وهزم مُذحج إلى اليوم، وقاد

(٣) الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر واخضع معدا واستعمل بنيه

(٤) على القبائل وانابهم عنه لدى الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه،

(٥) الى اليوم. توفي سنة ٢٢٣ في يوم ٧ بكسلول، وفق بنوه السعادة.

إن تاريخ وفاته المذكور اعلاه في الفقرة الخامسة من القبرية، وهو سنة ٢٢٣ هو تاريخ تقويم بصرى عاصمة حوران، يقابله في التاريخ الميلادي سنة ٣٢٨ وهي سنة وفاة هذا الملك بحوران، اما ٧ بكسلول فيقابله — على رأي جرجي زيدان (١) — ٧ ايلول وعلى رأي شيخو (٢) ٧ ديسمبر (كانون الاول).

قبل ان نختم حياة امرىء القيس البدء، نقول انه اول من تنصر من ملوك آل نصر اللخميين بشهادة المؤرخين العرب، كالطبري، وابن خلدون (٣) كما بحثنا في ذلك في الفصل الذي عقدناه في «اديان اهل الحيرة» في هذا الكتاب (٤) ولكن لم نعثر على من ذكر خبر هذا التنصر من المؤرخين الارميين، واليونان واللاتين، ولكننا لا نشك في رواية العرب في هذا الباب، لما كان من انتشار النصرانية في هذه المطاوي بالعراق، وبين قبائل عرب اليمن، كما ان النصرانية في بلاد الروم دخلت في عهد جديد من الزهو والازدهار، وبتبوء قسطنطين عرش

---

(١) اليك هذه الكتابة الضريحية بالعربية المشوبة كما وجدت

ا — تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو سد التاج

ب — وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجء

ج — بزجور (؟) في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه

د — الشعوب ووكله الفرس وروم، فلم يبلغ ملك مبلغه.

ه — عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

(١) زيدان العرب قبل الاسلام: ص ١٩٧ (٢) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٤١١ (٣) الطبري ٢: ٦٥ العبر ٢: ٢٦٣ (٤) ص ٣١

القياصرة وميله الى النصرانية دين امه ودخوله فيها في آخر عمره (١) ، وقد قال احد المحدثين (٢) في تذكر امرىء القيس : انه خالط الرهبان والعباد في العراق والشام وتقدمهم فتمكنت فيه الديانة النصرانية فتنصر ، ونشر النصرانية في قومه ، وحمى دعاتها ونصرهم مدة حياته



٢ : عمرو الثاني

٣٢٨—٣٧٧ م

تولى مملكة الحيرة عمرو الثاني ابن امرىء القيس البدء بعد وفاة أبيه ، وكانت امه مارية البرية أخت ثعلبة بن عمرو من ملوك غسان على مارواه المسعودي (٣) وقيل : هند بنت كعب بن عمرو (٤) ونشأ هـذا الاختلاف في إسم امه من اختلاف روايات المؤرخين ، وقد اختلف الرواة ايضاً في مدة حكمه فالطبري (٥) وابن الاثير (٦) قالا انه حكم ٣٠ سنة ، اما المسعودي (٧) فقال ٢٥ سنة ، على رواية حمزة الاصفهاني (٨) ٦٠ سنة ، وجعل كوسن دي برسفال (٩) مدة حكمه ٣٥ سنة ، ونظراً الى الرواية التي اعتمدنا عليها (١٠) دام حكمه ٤٩ سنة .

---

(١) شارل سفبوس : المادية الرومانية ص ٣٣٢ وما بعدها (٢) الاعظمي : تاريخ ملوك الحيرة ص ٢٧ (٣) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ (٤) حمزة الاصفهاني ٦٧ (٥) تاريخه ٢ : ٧٠ (٦) الكامل ١ : ١٥٨ (٧) مروج الذهب ٣ : ١٩٩ (٨) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص ٦٧

(٩) كوسن دي برسفال : تاريخ العرب ٢ : ٥٣ (١٠) زيدان : العرب قبل الاسلام ١٩٨ .

ومما يؤسف له ان التاريخ لم يزودنا باخبار الحوادث التي تمت في مدة حكمه الطويل ، كما انها نادرة جداً عن ايام خليفتيه : اوس بن قلام العمليقي وامرىء القيس الثاني ، وهذه الحقبة تمتد من سنة ٣٢٨ الى ٤٠٣ ، اي نحو ثلاثة ارباع القرن .

فسكوت التاريخ عن عهد عمرو بن امرىء القيس يدلنا على ان الرجل كان حازماً محنكاً باحوال السياسة ، اذ لبث واجماً يدير شؤون بلاده بحكمة وسداد رأي في عهد الطاغية سابور ذي الاكتاف الذي نكّل بالعرب والمسيحيين على السواء .

٤ : اوس بن قلام

٣٧٧—٣٨٢ م

تبوأ عرش المناذرة اوس بن قلام بن بطينا بن جميهر بن لحيان العمليقي (١) في فترة من اللخميين ، ويقال ان السبب في توليته ملك الحيرة ، ان اولاد عمرو ابن امرىء القيس تنازعوا فيا بينهم ملك أبيهم بعد موته ، فقامت الفتن على ساق وقدم ، واضطرب حبل الامن في تلك الديار ، وكثر النهب والقتل ، فاقام سابور ذو الاكتاف اوساً ملكاً على الحيرة وعززه بالقوة والجيش ، فضرب على ايدي اولاد امرىء القيس واخرجهم من الحيرة واستتب الامن فيها .

---

(١) العمالقة : قبيلة من العرب العاربة البائدة ، وهم بنو عمليق ، ويقال عملاق ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، وهم امة عظيمة يضرب بهم المثل في الطول والجثمان ، قال الطبري وتفرقت منهم امم في البلاد ، فكان منهم اهل المشرق ، واهل عمان ، والبحرين ، والحجاز ، وكانت منهم ملوك العراق ، والجزيرة ، وجبابرة الشام ، وفراعنة مصر (عن القلقشندي : كتاب نهاية الارب ص ١٣٠)

فلم يرق هذا الامر اولاد عمرو بن امرىء القيس واصحابهم ، فتربصوا الفرصة للايقاع باوس واسترجاع الملك من هذا الدخيل ، فثاروا باوس بعد حكمه خمس سنوات ، وقتله جحجبا بن عتيك من بني فاران . وقال ابن الكلبي : وهو فاران بن عمرو بن عملاق ، وهم بطن بالحيرة ، يقال لهم بنو فاران وجحجبا منهم فرجع الملك الى آل بني نصر ، وملكهم امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس وذلك في عهد اردشير ملك الفرس (١) ، وقال الطبري (٢) قتل اوس جحجبا ابن عتيك بن لخم .

وذكر القرماني (٣) ان بعد عمرو بن امرىء القيس ملك اوس بن قلام العمليقي ، ثم ملك آخر من العماليق، ثم رجع الملك الى بني عمرو بن عدي بن نصر ابن ربيعة وملك منهم امرؤ القيس ، ولكن لم نقف على ذكر هذا العمليقي الثاني الذي يلمع اليه القرماني في المصادر العديدة التي بين ايدينا



(١) حمزة الاصفهاني ص ٦٧

(٢) ٢ : ٧٢ .

(٣) اخبار الدول وآثار الاول ص ٢٤٠

٥ : امرؤ القيس الثاني

٣٨٢—٤٠٣م(١)

ويعرف بالبدن والمحرق الاول

ملك امرؤ القيس بن عمرو بن امرىء القيس الكندي بعد قتل أوس بن قلام ، وقيل سمي بالمحرق الاول ، لانه اول من عاقب بالنار في هذه الدولة ، وكان ظالماً عاتياً في عقاب اعدائه ، ويذهب حمزة الاصبهاني (٢) الى ان الاسود ابن يعفر ذكر المحرق في شعره القائل :

ماذا أؤمّل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إياد
اهل الخورنق والسّدير وبارق والقصْرذي الشرفات من سنداد(٣)

حكم احدى وعشرين سنة وثلاثة اشهر (٤) ولم يرو لنا التاريخ عنه غير هذا .



(١) جعل كوسن دي برسفال حكمه من سنة ٣٦٨ الى سنة ٣٩٠ ، واعتمدنا نحن في هذا التاريخ على جرجي زيدان في كتابه (العرب قبل الاسلام) والسنوات التي اثبتناها تقارب مايقوله حمزة الاصفهاني : ان امرأ القيس حكم خمس سنوات في زمن سابور بن سابور ، « وكان بدء حكم سابور سنة ٣٨٢ ، او ٣٨٣ وانتهى سنة ٣٨٨ » ، واحدى عشرة سنة في زمن بهرام (٣٨٨ — ٣٩٩) وفي زمن يزدجرد بن سابور خمس سنين (٣٩٩) . وعليه ينتهي حكمه سنة ٤٠٣ م ، او حوالي ذلك .

(٢) ذكر سني ملوك الارض والانبياء ص٦٧

(٣) شعراء النصرانية ٤٨١

(٤) ذكر الطبري ان مدة حكمه ٢٥ سنة

٦: النعمان الاول

او الاكبر

٤٠٣—٤٣١ م (١)

السائح، والاعور، وابن الشقيقة(٢)

النعمان الاول ابن امرىء القيس الثاني، وامه شقيقة بنت ربيع بن ذهل ابن شيبان بن ثعلبة، على رواية اكثر المؤرخين، ولهذا يقال له ابن الشقيقة (٣) الا ان المسعودي (٤) يذكر اسم امه الهيجانة بنت مسلول من مراد ويقال من اياد.

نال النعمان بن امرىء القيس شهرة بعيدة، وحاز منزلة عظيمة في تاريخ ملوك الحيرة، لما كان عليه من حسن التدبير وضبط شؤون الملك ومن الحزم في ادارة مالية البلاد، وتنظيم الجيش، والبطش بالاعداء، والامعان في الغزو والفتوحات، والميل الى العمران والبناء، مما ستراه. قال عنه المؤرخون: كان من اشد ملوك العرب نكاية في الاعداء، وابعدهم مغاراً، وغزا الشام مراراً كثيرة، واكثر المصائب في اهلها وسبى وغنم (٥) وقال حمزة الاصفهاني (٦): وكان ملك فارس يعقد معه كتيبتين: الشهباء، واهلها الفرس، ودوسر، واهلها تنوخ، فكان يغزو بهما الشام ومن لا يدين له من العرب، وقد اشتهرت الدوسر

(١) يختلف المؤرخون في توقيت زمانه فيجعله برسفال ومن اعتمد عليه من سنة ٣٩٠ — ٤١٨

(٢) في كتاب النصرانية وآدابها في عهد الجاهلية، ص ٨٧، هو النعمان الثاني ابن المنذر الاول الذي سيأتي الكلام عنه في هذا المقال في البحث في تاريخ الاسود

(٣) حمزة الاصفهاني: ص ٦٨، والطبري ٢ : ٧٢، وابن الاثير ١ : ١٥٩

(٤) مروج الذهب ٣ : ١٩٩

(٥) الطبري ٢ : ٧٢

(٦) تاريخ سني الملوك والانبياء، ص ٦٨

بطشها حتى قال العرب في امثالهم « ابطش من دوسر » (١) وقال الشاعر :

ضربت دوسر فيه ضربة   اثبتت اوتاد ملك فاستقر !

وقد نسب اليه بعضهم خمس كتائب ، وهي الرهائن ، والصنائع ، والوضائع والاشاهب ، ودوسر (٢) الا ان الميداني (٣) نسبها الى النعمان بن المنذر وليس الى النعمان بن امرىء القيس . وسيأتي الكلام عنها في تاريخ ابن المنذر .

ومما يدل على حسن تدبيره اموال خزائنه ما جاء عنه من الاقوال في التاريخ انه كان ضابطاً لملكه ، واجتمع له من الاموال والخيول والرقيق ما لم يملكه احد من ملوك الحيرة (٤) . اما ميله الى العمران والبناء فقد خلد ذكره بتشييد الخورنق والسدير ، وقد اسهبنا الكلام عنهما في فصل قصور الحيرة من كتابنا هذا (٥) ، فضلا عن بنايات لم يذكرها المؤرخون نفترض قيامها نظراً الى نزعته الى الحضارة ولكن مما يؤاخذ عليه انه جازى معماره سنمار جزاء ظالماً عاتياً لا مبرر له . فان صحت رواية المؤرخين في هذه الحكاية فانها وصمة شنعاء في تاريخه . ومع هذا لم يخل الرجل من شعور شريف حمله في آخر عمره على الاصغاء لصوت ضميره الحي ، فزهد في الدنيا والعرش واعتكف نادماً على هذه الجريرة وغيرها التي يسهل ارتكابها استبداد الملوك .

ولا بد من السؤال هنا متى غزا النعمان الشام . وفي عهد اي ملك من ملوك الفرس والروم ؟ فالتاريخ ساكت عن هذا الموضوع ، الا اننا نعالجه من ناحية اخرى تلقي نوراً ضئيلا على البحث .

اذا دققنا النظر في زمان ملك النعمان نرى انه حكم ، على رواية ابن الكلبي تسعاً وعشرين سنة واربعة اشهر ، من ذلك في زمن يزدجرد خمس عشرة سنة ، وفي زمن بهرام جور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر . ولا يختلف هذا

---

(١) الميداني : مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير « ابطش من دوسر »

(٢) ص ٩٨ من هذا الكتاب   (٣) مجمع الامثال ١ : ٧٨

(٤) مجاني الادب ٣ : ٣٠٧

(٥) راجع ص ١٩ من هذا الكتاب

القول عن المدة التي اثبتناها في صدر هذا البحث الا الشيء النزر (١). فيبعد عن الظن ان النعمان غزا الشام في زمن يزدجرد الذي صافى الروم مدة ملكه ، لا بل ان امبراطور الشرق اركاديوس (٢) ترك عند وفاته ابنه ثئودسيوس بحماية يزدجرد ، وعندما تبوأ ثئودسيوس الثاني عرش ملكه ارسل بعثة برئاسة ماروثا اسقف ميافارقين يبلغ واليه يزدجرد خبر تملكه . ونال ماروثا حظوة عند يزدجرد ، وبوساطته اصدر الملك مرسوماً سنة ٤٠٩ اثبت فيه حقوقاً لنصارى فارس . ووالى يزدجرد النصارى لا بل مال الى التدين بدينهم ، غير انه رجع عن فكرته وعن سياسته الحسنى مع المسيحيين فاضطهدهم في السنوات الخمس الاخيرة من حياته اضطهاداً قاسياً ونكل بهم تنكيلاً فظاً ، ولكنه لم يحارب الروم . ولما تبوأ بهرام داوم اضطهاد المسيحيين حتى انهم هربوا جماعات جماعات ، والقوا بنفوسهم في حضن الدولة الرومية فطلب بهرام اعادتهم فرفض الروم طلبه فنشبت الحرب بين الفريقين في سنة ٤٢٠ ، ودامت سنتين دارت الدائرة فيها على الفرس . وعقد بهرام الصلح مع الروم سنة ٤٢٢ بشروط سمحة (٣) . فنظن ان غزوات النعمان الشام كانت في ابان هذه الحرب ، ان لم يكن تفرد النعمان بغزوات اخرى حمل بها على قبائل العرب في الشام .

ومن حروب النعمان تلك الوقعة المعروفة في تاريخ العرب بواقعة يوم رحرحان ، وكان سببها ان النعمان كان متزوجاً الى زهير بن قيس بن جذيمة بن رواحة ابن ربيعة بن مازن بن الحرث بن قطيعة بن عبس العبسي لشرفه وسؤدده . فارسل النعمان الى زهير يستزيره بعض اولاده . فارسل ابنه شاساً . فاكرمه وحباه . فلما انصرف الى ابيه كساه حللاً واعطاه مالاً طيباً ، فخرج شاس يريد قومه . فبلغ ماء من مياه غني بن اعصر ، فقتله رياح بن الاشل الغنوي ، واخذ ما كان معه ، وهو لا يعرفه . فخرج زهير الى ديار غني ، وهم حلفاء في بني عامر بن صعصعة ،

---

(١) الطبري ٢ : ٧٤

(٢) Sykes : His. of Persia, i, 464-468

(٣) الدكتور عزام : الشاهنامة : حواشي ٢ : ٩٢ ؛ وسايكس ٢ : ٤٦٤-٤٦٨

فاجتمعوا عنده فسألهم عن ابنه فحلفوا انهم يعلموا خبره . وانتهى الامر بقتال بين بني عبس وبني عامر . ثم ان زهيراً خرج في بيته الى عكاظ ، فالتقى هو وخالد ابن جعفر بن كلاب وتشاجرا وعند عودتهما الى اهلهما سبق خالد زهيراً واثار عليه هوازن . وتقاتل خالد وزهير وانجلى القتال عن قتل زهير . وكان زهير سيد غطفان ، فخاف خالد المغبة . فسار الى النعمان بن امرىء القيس بالحيرة فاستجاره فاجاره (١) وضرب له قبة . وكان قد اتى الى الحيرة في هذه المطاوي الحارث بن ظالم المري ارسلته غطفان الى النعمان بن امرىء القيس بمهمة . فلما جنّ الليل دخل الحارث الى خالد وقتله في قبته غيلة (٢) ، وهرب فلحق بتميم واستجار بضمرة ابن ضمرة الدارمي فاجاره على النعمان وهوازن . فلما علم النعمان ذلك جهّز جيشاً الى بني دارم (٣) عليهم ابن الخمس التغلبي . وجمع الاخوص بن جعفر اخي خالد بني عامر (٤) وسار بهم فاجتمعوا ثم وعسكر النعمان على بني دارم ، فعلم زرارة بن عدس ، سيد بني تميم ، باقبال بني عامر وعسكر النعمان فاعدّ قومه للنزال فتحارب الفريقان وانجلت المعركة عن قتل ابن الخمس التغلبي ، رئيس جيش النعمان واسرت بنو عامر معبد بن زرارة بن عدس . وانهزمت بعد ذلك بنو عامر وجيش النعمان وعادوا الى بلادهم ، وبقي زرارة اسيراً مع بني عامر حتى مات (٥)

وقد ذكر كل من الطبري (٦) وحمزة الاصفهاني (٧) ان النعمان بن امرىء

---

(١) ابن الاثير ١ : ٢٢٩ — ٢٣١

(٢) ذكر ابن الاثير (٢٣٣.١) ان القتيل كان شرحبيل بن الاسود بن المنذر وكان الاسود قد ترك ابنه شرحبيل عند سنان بن ابي حارثة المري ترضعه زوجته فاخذه الحارث بن ظالم بحيلة وقتله واستجار ببني تميم . وقيل غير ذلك ان النعمان طلب شيئاً يغيظ به الحارث بعد قتل خالد فاخذ إبلا من عياض بن ذهب التميمي ، وهو صديق الحارث ، ثم ان الحارث رأى غضبان بن النعمان فضرب رأسه بالسيف فقتله واستجار ببني تميم . (٣) بنو دارم بطن من بني حنظلة من تميم من العدنانية (٤) بنو عامر بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية (٥) ابن الاثير ١ : ٢٣١ (٦) الطبري ٢ : ٧٤ (٧) كتاب

القيس هو فارس حليمة ، مع ان ياقوت الحموي (١) وابن الاثير (٢) وغيرهما (٣) نسبوا يوم حليمة الى المنذر بن ماء السماء . واجتزأنا بالالماع الى ذلك هنا ويأتي الكلام عن يوم حليمة في تاريخ المنذر الرابع الملقب الاسود الثاني ابن المنذر الثالث .

وكان للنعمان الاكبر منزلة رفيعة في بلاد فارس وشأن عظيم في قصر الاكاسرة ، فدفع له يزدجرد الاثيم ابنه بهرام جور للرضاعة والتربية في ظهر الحيرة لانه لم يكن يعيش له ولد (٤) واعطاه رتبتين الواحدة «رام أبروذ يزدجرد» وتأويله زاد سرور يزدجرد والاخرى « بِهِشت » ومعناه اعظم الخول ، وامر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك بمنزلته (٥).

فقام النعمان الاول بتربية بهرام جور واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات اجسام صحيحة واذهان ذكية وآداب مرضية من بنات الاشراف ، منهن امرأتان من بنات العرب ، وامرأة من بنات الفرس فتداولن رضاعه ثلاث سنوات وفطم في السنة الرابعة . واذ اتت له خمس سنين احضر له مؤدّبين من فقهاء الفرس ،

سني الملوك ص ٦٨

(١) معجم البلدان مادة «حليمة» (٢) الكامل ١ : ٢٢٣

(٣) مجمع الامثال ١ : ٣٣١ في مثل « اعزّ من حليمة » و ٢ : ١٥٠ في مثل « مايوم حليمة بسرّ »

(٤) الطبري ٢ : ٧٢ (٥) لا بدّ لنا من الالماع هنا الى ان الطبري بعد ان ذكر ان النعمان الاول تعهّد بتربية بهرام جور ، وان النعمان هذا بنفسه حكم ١٤ سنة في عهد بهرام جور ، رجع الى قول العلماء من الفرس ان ابنه المنذر الاول ربّى بهرام جور وعاونه في استرجاع ملك آبائه الاكاسرة واليه عهد بهرام جور بالرتبتين المذكورتين وليس الى ابيه النعمان الاول (راجع تاريخ الطبري ٢ : ٧٤) فاقتضى التنبيه . وفي الشاهنامة (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) ان يزدجرد عهد بتربية ابنه الى المنذر فحمله وانصرف به الى بلاد اليمن (كذا) . وقال كليمان هوار في كتابه الفرنسي «تاريخ العرب» ان النعمان الاول نال لقب قائد «General»

ومعلمي الرمي والفروسية ، ومعلمي الكتابة ، وحكماء من حكماء فارس والروم ومحدثين من العرب (١)

ولما مات يزدجرد كان بهرام غائباً عن بلاده يقضي اوقاته في بلاد العرب بالتنعم والتلذذ . واراد الفرس ان يقيموا عليهم ملكاً رجلاً اسمه كسرى من عترة اردشير بن بابك ، زهداً في ولد يزدجرد ، ولان بهرام متأدب بأدب العرب فالتجأ بهرام الى النعمان (٢) يطلب نجدته فجهز النعمان عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ، ووجههم مع ابنه (٣) الى طيسبون (٤) وبهاردشير (٥) مدينتي الملك وزاد عدد هؤلاء الفرسان الى ثلاثين الفاً ، وتمكن بهرام جور بعون النعمان من استرداد ملك ابيه ، وحفظ هذه العارفة مدى حياته الى آل نصر .

من الفرس (١:٦٥) ومما قال هناك انه من المحتمل ان تتخذ سنة ٤١٨ م ختام ملك النعمان وقبل دي برسفال هذه السنة ختام حكم النعمان ايضاً . ولما كان جلوس بهرام سنة ٤٢٠ فلابي يكون النعمان حياً على هذا الحساب . اما الملك الذي عاون بهرام جور لاسترداد عرش الاكاسرة فلا يزال البت في اسمه موقوفاً على ايجاد نصوص جديدة

(١) الطبري ٢ : ٧٤ ، وفي الشاهنامة (الترجمة العربية ٢ : ٧٥) اختار له اربع نسوة ذوات اجسام صحيحة وانساب صريحة واذهان زكية وآداب مرضية اثنتان منهن من بنات اشراف العرب ، واثنتان من بنات اكابر العجم .

(٢) نذكر مرة اخرى ان الطبري يذكر في هذا الموقف المنذر بن النعمان الاول وكذلك الشاهنامة (٢ : ٧٩) تقول المنذر والنعمان ، وهذا النعمان هو ابن المنذر وليس اباه

(٣) يذكر الطبري مع ابنه النعمان كما بينا

(٤) طيسبون او طيسفون وهي مدينة كسرى التي فيها الايوان ، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم .

(٥) وهي مدينة بهاردشير وعرفها العرب « بهرسير » كانت في غربي دجلة تجاه الايوان

وروى ابو الفرج الاصفهاني (١) عن معاملة النعمان الاكبر سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس لما رأى فصاحته مما لم يحمد عليه النعمان فانه امر وصيفاً له فلطمه وانما اراد ان يتعدّى في القول فيقتله فقال له : ماجواب هـذه ؟ قال سعدُ : « سفيه مأمور » فقال النعمان للوصيف الطمه اخرى فلطمه . فقال : ماجواب هذه ؟ قال : « لو نهي عن الاولى لم يعد للاخرى » فقال النعمان للوصيف : الطمه اخرى ففعل . فقال له ماجواب هذه ؟ قال : « ملك يؤدّب عبده » . فقال الطمه اخرى ففعل . فقال ماجواب هـذه ؟ قال « ملكت فاسجح » . فقال له النعمان : اصبت فاقعد . فمكث عنده مامكث

ثم بدا للنعمان ان يبعث رائداً يرتاد له الكلأ فبعث عمرو بن مالك اخا سعد بن مالك فابطأ عليه فاغضبه ذلك . فاقسم ان جاء حامداً او ذاماً ليقتله . فلما قدم عمرو على النعمان دخل عليه والناس عنده ، وسعد قاعد لديه مع الناس ، وقد كان سعد عرف بما اقسم به النعمان من يمينه فقال سعد : أتأذن لي ايها الملك فاكلمه ؟ قال : ان كلمته قطعت لسانك . قال : فاشير اليه . قال : ان اشرت اليه قطعت يدك . قال : فاومي اليه ؟ قال : اذاً انزع حدقتك . قال : فاقرع له العصا ؟ قال : ومايوريه ماتقول العصا فاقرع له . ففعل سعد وافهم اخاه ان لايحمد ولا يذمّ الخصب فتكلم حينئذ عمرو وقال للنعمان : لم اذمم جدباً ولم احمد خصباً ، الارض مشكلة لاخصبها يعرف ولا جدبها يوصف ، رائدها واقف ومنكرها عارف وآمنها خائف . فقال له النعمان : اولى لك بذلك نجوت . فنجا ، وهو اول من قرعت له العصا (٢)

قد ذكرنا تنصّر النعمان في الفصل الذي عقدناه في كتابنا عن اديان اهل الحيرة (٣) ونطرق الآن موضوعاً آخر وهو معاملته المسيحيين قبل تنصره ، ذكر احد المحدثين (٤) ان فتنة حدثت في الحيرة بين الوثنيين والمسيحيين سنة

---

(١) الاغاني ٢١ : ١٣٣ و ١٣٤

(٢) الاغاني ٢١ : ١٢٣—١٤٤ (٣) ص ٢٩

(٤) علي ظريف : تاريخ ملوك الحيرة ، ٣٢

٤٢٠ فانتصر النعمان للمسيحيين وحمى النصارى ، وكان هو على الوثنية يومئذ . على اننا نجهل دواعي هذه الفتنة اذ لم يذكرها الراوي ، والراجح انه يريد الالماع الى الاضطهاد الفاجع الذي اثاره بهرام جور على المسيحيين في بلاد فارس في تلك السنة عينها ، فاضطروا الى الهجرة الى بلاد الروم كما مرّ بنا قبيل هذا ، او انه اراد بذلك ماذكره المؤرخ قزما الكاهن (١) وهو ان ملك الحيرة الذي دعاه النعمان (وهو النعمان الاول الذي يسميه العرب السائح والاعور (٢)امتعض من رحلة اهل الحيرة الى القديس سمعان العمودي ، فاعلن بامر ملكي انه ينهي تحت عقاب الموت الخروج الى زيارة السائح . فما انتشر هذا الخبر حتى استولى الخوف على رعاياه فرأوا ان الطاعة لهذا الحكم الظالم اولى من التعرّض للموت الاحمر . الا ان الملك لم يلبث ان ندم على مافعل لحلم رآه في الليل فجمع حاشيته والغى حكمه امامهم ، وحضّ شعبه ان يذهبوا الى القديس كيفما شاؤوا . واردف قزما المؤرخ قائلاً : وهذا الخبر رواه احد قوّاد النعمان المسمى انطيوخس بن سالم ، وكان قد سمعه من فم النعمان . ومذ ذلك الحين اطلقت الحرية لعرب الحيرة ان يدينوا بالنصرانية . ثم قال : والملك النعمان كان يريد بعد ذلك ان يتنصّر ويزهد بالدنيا ، ولكنه خاف من سطوة ملك الفرس . وذكر السمعاني (٣) ان النعمان هذا شفاه القديس سمعان من داء اصابه فتنصّر .

كيف انتهت حياة هذا الملك الحازم ؟ قالوا (٤) لما أتى على الملك النعمان ثلثون سنة علا مجلسه على الخورنق واشرف منه على النجف وما يليه من النخل والبساتين والجنان والانهار مما يلي المغرب ، وعلى الفرات مما يلي المشرق، فاعجبه

(١) النصرانية وآدابها ، ٨٢وقال كليمان هوار في «تاريخ العرب قبل الاسلام» (١: ٦٥)النعمان الاول هو الذي اجاز سمعان العمودي ان ينشر النصرانية في بلاده
(٢) راجع كوسن دي برسفال : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٥٤
(٣) السمعاني المكتبة الشرقية ١ : ٢٤٧
(٤) حمزة الاصفهاني ٦٨

ما رأى في البرّ من الخضرة والنور والانهار الجارية ، وفي الفرات من الملاحين والغوّاصين ، وفي الحيرة من الاموال والخول ، ومن يموج فيها من رعيته ففكر وقال في نفسه (١) : اي درك في هذا الذي ملكته اليوم ويملكه غداً غيري ، فبعث الى حجابه ونحاهم عن بابه . فلما جنّ عليه الليل التحف بكساء وساح في الارض فلم يره احد.

وجاء في كتاب النصرانية وآدابها ص ٨٢ : « روى المؤرخون ان النعمان الاعور بعد سنين من ملكه اجتمع باحد النسّاك الصالحين المدعوّين بالرابطة فزهّده بالفانية ودعاه الى ترك الدنيا وعبادة الله فلبى الملك دعوته ولبس معه المسوح وساحا في الارض زهداً (٢) . وليس هؤلاء الرابطة على رأينا سوى رهبان النصارى الذين يدلنا لك وفرة عددهم في جهات العراق وزهدهم في العالم » (انتهى كلام المؤلف).

والذي نلمع اليه ان مؤلف « النصرانية وآدابها » ارتأى ان الرابطة هم رهبان النصارى . مع ان ابا الفرج الاصبهاني (٣) يصرّح بان الحيريين اطلقوا اسم « الرابطة » على الوضائع التي كانت بالحيرة مع الملوك ، وايد هذا القول ابن رشيق (٤) في ذكره يوم شعب جبلة . اما الوضائع فهي كتيبة من كتائب ملوك الحيرة قال عنها الميداني (٥) كانوا الف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك في الحيرة نجدة لملك العرب وكانوا يقيمون سنة ثم يأتي بدلهم الف وينصرف

---

(١) وقيل نبهه احد وزرائه او احد حكمائه على زوال الدنيا (الطبري ٢ : ٧٢ ومجاني الادب ٣ : ١٦

(٢) احال الاب شيخو مؤلف كتاب النصرانية وآدابها الى المؤلفين العرب ومنهم الطبري طبعة ليدن ١ : ٨٥٤ ؛ في هذه الرواية

(٣) الاغاني ١٠ : ٣٣

(٤) العمدة ٢ : ١٦٩

(٥) مجمع الامثال ١ : ٧٨ في تفسير المثل « ابطش من دوسر »

اولئك وقال ابن الاثير (١) الوضائع كانوا شبه المسالح .

والى زهد النعمان هذا وتنسكه اشار ، بعد عهد طويل ، عدي بن زيد في شعر خاطب به النعمان ابن المنذر فقال (٢) :

وتفكرْ ربّ الخورنق ، إذ اشـ ـرف يوماً وللهدى تبصيرُ (٣)

سرّهُ حاله وكثرة ما يـ ـملكُ والبحر مُعرضاً والسديرُ

فارعوى قلبه فقال : وما غبـ ـطة حيّ الى الممات يصيرُ ؟

ثم بعد الفلاح والملك والامّـ ـة وارتهم هناك القبورُ

ثم اضحوا كأنهم ورق جـ ـفّ فالوتْ به الصبا والدبورُ !



المنذر الاول

ابن النعمان الاول

٤٣١—٤٧٣ م (٤)

كانت امهُ هند بنت زيد مناة بن زيد بن عمر الغساني (٥) وقد روي المؤرخ سقراط (٦) انه دخل بلاد الروم فنهب وسلب واحرق وسبي وكان يقصد السير الى القسطنطينية ليفتحها . لكنه لم يفلح ، واصيب جيشه بكسرة عظيمة

(١) الكامل ١ : ٢٦٨

(٢) الطبري ٢ : ٧٤ ، وابن الاثير ١ : ١٦

(٣) ويروى : تفكير

(٤) يرى دي برسفال ومن اخذ عنه ان زمن حكم المنذر كان من ٤١٨—٤٦٢

(٥) حمزة الاصفهاني ٦٩

(٦) تاريخه : ك ٧ ، ف ١٨

وقتل منهم مئة الف ويقول الكتبة الارمنيون قُتل منهم سبعون الفاً (١) . ولو دخل الفرس عاصمة النصرانية يومئذ لتغير وجه اوروبة ، كما تغيّر لما فتحها العثمانيون بعد ذلك بالف سنة ونيف . ولكن اوروبة نجت يومئذ باضطراب وقع في معسكر المنذر اضطره الى عقد الصلح .

ان رواية حمزة الاصفهاني (٢) التي تنص على ان آخر حكم النعمان السائح كان في زمن بهرامجور بن يزدجرد اربع عشرة سنة واربعة اشهر اي من سنة تبوء بهرام سنة ٤٢٠ الى بعد ١٤ سنة ، اي الى سنة ٤٣٤ على زعمه ، توقعنا في ارتباك تاريخي وتعسر علينا التوفيق بينها و بين رواية سقراط القائلة بغزو المنذر بلاد الروم لانه بعد عقد الصلح بين بهرامجور واركاديوس سنة ٤٢٢ كما ذكرنا ذلك في تاريخ النعمان الاكبر لم تشب نار الحرب بين الفرس والروم في عهد بهرامجور . ولا تُحل هذه المشكلة الا اذا فرضنا ان حملة المنذر على بلاد الروم لم تكن الا غزوة عربية قام بها المنذر مباشرة ولا دخل للفرس بها . او اذا جارينا كوسن دي برسفال ، وكليمان هوار ، والاب شيخو (٣) في تاريخ انتهاء حكم النعمان السائح سنة ٤١٨ اي قبل تبوء بهرامجور عرش الاكاسرة بسنتين، وابتدأ حكم المنذر الاول سنة ٤١٨ عينها . فحينئذ يحق لنا القول باشتراك المنذر الاول في حرب الفرس والروم معاونة للفرس (٤) وانه شهد سنة ٤٢١ اندحار الفرس وتكبّد جيشه العربي خسائر في هذه الموقعة (٥)

وفي هذه الحالة يجب علينا ان نضرب برواية حمزة الاصفهاني عرض الحائط . وعلى كل فلا نتمكن اليوم من البت في هذا التاريخ الذي يُعد منمزقة من المغامز الكثيرة في تاريخ آل نصر اللخميين .

* * *

---

(١) النصرانية وآدابها ٨٧ (٢) تاريخ سني الملوك ٦٦

(٣) برسفال : العرب قبل الاسلام ٢ : ٥٩ ; وهوار : تاريخ العرب ١ : ٦٦ وشيخو : مجاني الادب ٣ : ٣٠٨ (٤) هوار ١ : ٦٦ (٥) سايكس تاريخ بلاد فارس ١ : ٤٦٧

الاسود

٤٧٣—٤٩٣م(١)

قبل ان نتكلم عن حكم الاسود بن المنذر يجدر بنا ان نلمح الى اقوال بعض المؤرخين المحدثين الذين ذكروا ملكاً بين المنذر والاسود، وهو الذي سمّوه النعمان الثاني ابن المنذر الاول وجعلوا حكمه من سنة ٤٦٢—٤٧١(٢). قال كوسن دي برسفال (٣) عن النعمان الثاني ما يأتي : لم يذكر هذا الملك حمزة الاصفهاني ولا ابو الفداء في جدول ملوك الحيرة ، وبقي كذلك مجهولا من العلماء الاوربيين الذين اشتغلوا بهذا القسم من تاريخ العرب . واول من اقرّ منهم وجوب تدوين اسم النعمان بن المنذر الاول هو م . س . مارتن (٤) استناداً الى شهادة الطبري شهادة وضعية . واما المسعودي (٥) فانه يؤيد كل التأييد هذه الفكرة ويذكر بعد المنذر الاول توّاً ابنه النعمان وينسب اليه تأليف الكتيبتين الشهباء والدوسر اللتين ينسبهما غيره من مؤرخي العرب الى النعمان الاول ، وجعل حكمه ٣٥ سنة وقال : كانت امه هند بنت زيد بن مناة من آل غسان (٦). وقد ذكره الطبري(٧) في رأس جيش العرب الذين عضدوا بهرام جور لاسترداد ملك الاكاسرة في زمن ابيه المنذر الاول ابن النعمان. وجاء في رواية (٨) ان النعمان بن المنذر الذي اشترك بالعمل الذي قام به ابوه المنذر الاول لمعاضدة بهرام جور في استرجاع حقوقه بقي في بلاط الاكاسرة مدة حياة بهرام بين مصاف كبار الضباط مرتبطاً بهذا الملك

---

(١) يجعل برسفال حكمه من سنة ٤٧١—٤٩١ وجعل هوار حكمه ٤٦٢_٤٨٢

(٢) كوسن دي برسفال وشيخو وادي شير وغيرهم . الا ان هوار لا يعده من ملوك الحيرة .

(٣) كتابه العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٤

(٤) Histoire du Bas Empire de Lebau, V:487

(٥) مروج الذهب ٣: ١٩٩ (٦) مروج الذهب ٣ : ١٩٩

(٧) ٢ : ٧٢ (٨) ميرخوند ترجمة ساسي ٣٣٢

وجاء ايضاً (١) ان اولاد المنذر ، وهم النعمان والاسود والمنذر الثاني ، تعاقبوا بالتتابع على حكم الحيرة بعد وفاة ابيهم ، الاّ ان اخبارهم اتت مضطربة ولا تصلح ان تكون سنداً للتاريخ . وجاء في مجاني الادب (٢) وشعراء النصرانيـة وكان وزيره عدي بن زيد فتهتّره فتزهّد .

الى هنا ضاك القلم في تاريخ النعمان الثاني الذي ذكره بعضهم ولم ندخـله في جدولنا عن ملوك الحيرة ، لان زيادة البحث في هـذا الموضوع المعقّد يزيد تاريخ آل نصر في هذه الحقبة ارتباكاً وغموضاً .

لنرجع الآن الى الاسود الاول ونقول : روى حمزة الاصفهـاني (٣) . كانت امه هرّ بنت النعمان وهي من بني الهيجمانية من لخم . وذكر المسعودي (٤) اسمها هند بنت الهيجمانية من آل نصر . ويؤخذ من قول ابي الفداء انه حارب الغساسنة عرب الشام وانتصر عليهم واسر عدة من ملوكهم واراد ان يعفو عنهم ولكن ابن عمته الابنة اغراه بقتلهم انتقاماً منهم لانهم كانوا قد قتلوا له اخاً وانشد في ذلك قصيدته المشهورة :

ما كلّ يوم ينال المرء ما طلبا	ولا يسوّغه المقدار ما وهبا
واحزم الناس من ان فرصة عرضت	لم يجعل السبب الموصول منقضبا
وانصف الناس في كل المواطن من	سقى المعادين بالكاس الذي شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم	بحدّ سيف به من قبلهم ضربا
والعفو ، الاّ عن الاكفاء ، مكرمة	من قال غير الذي قد قلته كذبا
قتلت عمراً وتستبقي يزيد لقد	رأيت رأياً يجرّ الويل والحربا
لا تقطعن ذنب الافعى وترسلها	ان كنت شهماً فاتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيف فاجعلهم له جزراً	واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

(١) شيخو : النصرانية وآدابها ٨٧

(٢) ٣ : ٣٠٨   (٣) ص ٦٩

(٤) مروج الذهب ٣ : ١٩٩

واذكر عنجاهم مثوى ابي كرب … فيهم وحبس عدي عندهم حقبا (١)
وسيف جدك لما ان اضربهم … جاؤا به لك في اسلابهم سلبا
لا عفو عن مثلهم في مثل ما طلبوا … وان يكن ذاك كان الهلك والعطبا
ان تعف عنهم يقول الناس كلهم … لم يعفُ حلماً ولكن عفوه رهبا
واذا احسن من ذا العفو لو هزموا … لكن هم طلبوا من سيفك الهربا
هم اهلة غسان ومجدهم … عال فان حاولوا ملكا فلا عجبا
أيحلبون دماً منا ونحلبهم … رسلا ؟ لقد شرفونا في الورى حلبا
علامَ تقبل منهم فدية وهم … لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ؟
اسق الكلاب غداً من فتية دمها … عند البرية تستشفي به الكلبا (٢)
لو لم يسر جاز ان تعفو محاجزة … والليث لا يحسن النقبا اذا وثبا

وقال ابن الاثير خلاف ذلك ، ان الاسود قتلته غسان وانتصرت عليه (٣) وذكر غيرها غير ذلك . وجاء في بعض الروايات ان الفرس سجنت الاسود عشرين سنة (٤) ويقال انه كان له ابن اسمه شرحبيل كانت ترضعه سلمى بنت ظالم ، اخت الحارث بن ظالم ، وامرأة سنان بن ابي حارثة . فقتله الحارث بن ظالم ، وهرب . فغزا الاسود بني ذبيان اذ نقضوا العهد وبني اسد بشط اريك (٥) . فقتل فيهم قتلاً ذريعاً وسبى واستاق اموالهم . ووجد نعل ابنه شرحبيل عند اضاخ وهو من الشربة (٦) في بني محارب بن حفصة بن قيس عيلان فاحمى لهم الاسود الصفا

---

(١) لم يذكر ابو الفداء هذا البيت والبيتين اللذين عقباه، بل ذكرها الوطواط راجع شرح مجاني الادب (٧ : ٩٨٤)

(٢) لم يذكر ابو الفداء البيتين الاخيرين بل ذكرها الوطواط

(٣) ابو الفداء ١ : ٧١ : والترماني ص ٢٤٠

(٤) الطبري ٢ : ٨٦ ، وهوار ١ : ٦٦

(٥) جبل او واد في البادية الى جنب النقرة ، ورد ذكره في اشعارهم

(٦) اضاخ من قرى اليمامة ، وله ذكر في قصة امرىء القيس . والشربة بين السليلة والربذة وقيل بنجد .

التي بصحراء أُضاخ (١) وقال لهم اني احذيكم نعالا ، فامشاهم على الصفا المحمي فتساقط لحم اقدامهم . وقيل ان الحرث بن سفيان دفع الى الاسود دية ابنه الف بعير ، وهي دية الملوك (٢)

ويقال انه كان للاسود كتيبة شديدة البأس ألقت الرعب في قلوب العرب اسمها الملجأ (٣)

وقبل ان نختم هذا البحث لابد لنا من التنبيه مرة اخرى الى ان اقوال المؤرخين متضاربة في وقائع الحارث بن ظالم ، فمنهم من قال انها مع النعمان بن امرىء القيس ، ومنهم من قال انها مع حفيده الاسود بن المنذر او مع النعمان ابن المنذر اخي الاسود هذا ! (٤) ولا يبعد انهم جميعاً اشتركوا في حرب بني دارم من تميم قبل يوم رحرحان ، وفي يوم رحرحان ، وما بعده . وان العداء دام طويلا ووقعت كل هذه الامور متتابعاً لانتقام كل طرف من خصمه في دوره مثلما يقع للعرب حتى في يومنا هذا . ونظن ان هذا الرأي وحده يوفّق بين مختلف روايات المؤرخين في يوم رحرحان ، على مامرّ بنا اعلاه في تاريخ النعمان ابن امرىء القيس (٥) .

* * *

---

(١) مرّ ذكرها ، قال الاصمعي : ومن مياههم الرّسيس ثم الاراطة وبينها وبين اضاخ ليلة واضاخ سوق وهي معدن البرم

(٢) الاغاني ١٠ : ٢٢—٢٣

(٣) كذلك ص ٢١

(٤) ابن الاثير ١ : ٢٣٣ ، والاغاني ١٠ : ٢٨ (٥) ص ١٤٦ من هذا الكتاب

المنذر الثاني

ابن المنذر الاول

٤٩٣—٥٠٠م(١)

لانعرف الا الشيء النزر عن تاريخ هذا الملك . فقد روى الاصفهاني (٢) ان اسم امه هر ، وحكم سبع سنوات في عهد قباذ بن فيروز ، ولم نقف على غير ذلك مهما استقصينا البحث في المصادر التي بين ايدينا.



النعمان الثاني

ابن الاسود (٣)

٥٠٠—٥٠٤م

ملك النعمان بن الاسود بعد عمه المنذر . وقد اغفل ذكره ابو الفداء (٤) ولكن ذكره غيره من مؤرخي العرب كالطبري (٥) وحمزة الاصفهاني (٦) وابن

(١) يجعل بعض المؤرخين حكمه ٤٩١—٤٩٨ ومنهم كوسن دي برسفال

(٢) تاريخ ملوك الارض والانبياء ص ٩٩

(٣) يعتبر بعضهم النعمان بن الاسود هذا النعمان الثالث لانهم ادخلوا في جدول ملوك الحيرة النعمان ابن المنذر ، وجعلوا ايام حكمه بعد ابيه المنذر الاول وقبل اخيه الاسود ، كما مر بنا .

(٤) تاريخه ١ : ٧١ (٥) تاريخه ٢ : ٩٤ (٦) تاريخه ص ٩٩

الاثير (١) ولا نعلم كيف ساغ لكوسن دي برسفال (٢) ان يقول لم يذكر هذا الامير ابو الفداء ولا معظم المؤرخين العرب . ونسب العثور على اسمه للمؤرخ م. تيكسرون استناداً الى الاخبار التي نقلها الينا الكتبة اليونان والسريان ، ثم ايّدها حمزة الاصفهاني . مع اننا رأينا الطبري وابن الاثير ذكراه .

قال حمزة الاصفهاني : امه ام الملك بنت عمرو بن حجر ، أخت الحارث ابن عمرو بن حجر الكندي (٣) . جاء كتبة العرب باسم هذا الملك على ماورأينا نويق هذا ، ولكن لم يزوّدونا باخباره . فسدّ كتبة اليونان والسريان هذه الثلمة (٤) . حكم النعمان في زمن قباذ ملك الفرس فثارت الحرب بين الفرس والروم في تلك المطاوي ، وكان على الروم القيصر انستاس (٥) . فاستعان قباذ بالنعمان فلبّ الطلب وصال في سورية على الفرات واقلق كل القلق الروم وحلفاءهم العرب . فطارده اوجين حاكم مدينة بترابس ، وتسمى اليوم البئر على ضفاف الفرات ، وارجعه على اعقابه . ولكنه عاد فاشترك في الحرب سنة ٥٠٤ ، وعهد اليه قباذ ان يلقي بذور الاضطراب في حران حيث كسر كراسوس (Crassus) ولما كانت الحرب سجالا غلب على امره ، وانتصر عليه كراسوس ، فلم يفشل بهذه الكسرة ، بل استأنف الكرة عليهما وضربهما ضربة اليمة قرب تل موزان . وغزا من حران الى الرّها واسر الاسرى ، ويقال انه سبى من اهلها ١٨٥٠٠ نسمة (٦) وتوجه الى الخابور قرب قرقيسيا . ولكنه دحر هناك ومني بخسائر . ويقال انه جرح في رأسه في هذه الحرب ، ومات من جروحه (٧).

---

(١) الكامل ١ : ١٧٧ (٢) كتابه الفرنسي في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٧ (٣) ص ٦٩

(٤) زيدان : العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٦

(٥) سايكس : تاريخ فارس بالانكليزية ١ : ٤٧٩

(٦) ادّي شير : كلدو وآثور ٢ : ٢٠٩

(٧) برسفال ٢ : ٦٧—٦٨ وكليمان هوار ١ :٦٦،ولا بدّ من التنبيه هنا الى ان

ويظن الاب شيخو (١) ان مؤرخي الروم ارادوا النعمان بن الاسود ، لما قالوا ان ملك العرب طلب من قباذ عند فتح الفرس مدينة آمد ان لا يصيب بأذى من التجأ الى كنيسة الاربعين شهيداً واخبر يوشع العمودي (٢) المؤرخ السرياني ان النعمان مشى اخيراً الى محاربة الرُّها مع قباذ ، ولما نهاها عن ذلك احد ضباط جيشه وذكر له قصة ابجر ملك الرُّها والسيد المسيح غضب عليه النعمان وشتم دينه . وكان ذلك داعياً الى موته اذ انتقض جرحه السابق فمات .

وفي تضاعيف حكم النعمان تعدّى بكر وتغلب على حدود العراق فجرّد عليهم جيشاً بقيادة ابنه امرىء القيس . ولم يحضر المعركة لانه كان مع قباذ في محاصرة الرُّها ، فهجم الاعداء على الحيرة لاتفاقهم والروم على المناذرة (٣) .

فصارى القول ان النعمان بن الاسود قضى مدة حكمه القصيرة ، وهو خارج الحيرة يحارب الروم في سورية والجزيرة ، وابلى بلاء حسناً (٤) . وعند وفاته عين قباذ خليفة له رجلاً دخيلاً ليس من آل نصر .



برسفال وهوار يجعلان حكم النعمان هذا ٤٩٨ — ٥٠٣ واول حروبه في البشر سنة ٤٩٨ والثانية ٥٠٣ عوضاً عن سنة ٥٠٤ المذكورة في المتن اعلاه .

(١) النصرانية وآدابها ص ٨٨

(٢) Josué le Stylite, Edition Martin, 429 والمكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٢٧٦ والعرب قبل الاسلام لزيدان ١ : ٢٠٩ ، وشيخو : النصرانية وآدابها ٨٨ .

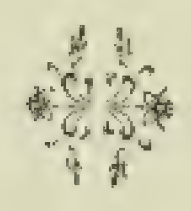
(٣) كليمان هوار : تاريخ العرب ١ : ٢٦٦

(٤) زيدان : العرب قبل الاسلام ص ٢٠٩

ابو يعفر علقمة

٥٠٤—٥٠٧

بعد وفاة النعمان بن الاسود اقام قباذ رجلاً دخيلاً على حكم الحيرة ؛ وهو ابو يعفر علقمة ، وهو ابن مالك بن عدي بن الذميل بن ثور بن اسس بن ربي بن نمارة بن لخم (١) لم يكن هذا الرجل من آل عمر ، السلالة الحاكمة في الحيرة ، بل كان من ذميل وذميل بطن من لخم فهو من اشراف الحيرة فقط. وقد دعاه المؤرخ يوشع العمودي اباالفداء (٢) . فتولية الحكم رجلاً دخيلاً بوجود ولد للنعمان بن الاسود يعد غرابة ، ولا سيما وان النعمان خدم قباذ والدولة الفارسية في الحروب والقتال ، الاّ اذا فرضنا ان علقمة لم يكن ملكاً بل عينه قباذ لتدبير شؤون الحيرة موقتاً ، ربما كان ذلك لغياب امرىء القيس بن النعمان عن الحيرة وانشغاله في ساحة الحرب نصرة للفرس على الروم(٣)



---

(١) الطبري ٢ : ٩٤

(٢) شيخو : النصرانية وآدابها ص ٨٨

(٣) بوسقال : تاريخ العرب قبل الاسلام ٢ : ٧٣ . يذكر لابور في كتابه النصرانية في مملكة فارس (ص ١٥٩) عقد الصلح بين قباذ ويوستنياس الاول سنة ٥٠٦

٢ : امرؤ القيس الثالث

٥٠٧—٥١٤ م

تولّى عرش المناذرة بعد ابي يعفر علقمة الدخيل . قال بعضهم ان امرء القيس الثالث هو ابن النعمان الاعور (١) ، وقال بعضهم ان ذلك خطأ فهو ابن النعمان الثاني ابن الاسود بن المنذر بن النعمان الاعور (٢) ، ولم يذكره بين ملوك الحيرة الطبري (٣) ولا ابن الاثير (٤) ولا المسعودي (٥) ، ولكن ذكره غيرهم وهم حمزة الاصفهاني (٦) وابو الفداء (٧) وابو الوليد محمد بن الشحنة (٨) والقرماني (٩) ، وقيل لما ولي الحكم كان متقدماً في السن (١٠)

روى حمزة الاصفهاني (١١) ان امرء القيس هذا هو الذي غزا بكراً يوم اوارة . والارجح عندنا ان عمرو بن هند غزا بكراً وتميماً يوم اوارة ولكن لاندري هل حارب بكراً في ايامه انتقاماً منهم لاجتياحهم الحيرة ايام ابيه كما مرّ بنا ، وانتصر عليهم في غير يوم اوارة ، فالتبس الامر على الاصفهاني واتخذ هذه الوقعة بطل اوارة وهماً . وهذا الفرض وحده يوفّق بين رواية الاصفهاني وروايات المؤرخين الآخرين في يوم اوارة .

---

(١) حمزة الاصفهاني ٦٩ ، وابو الفداء ١ : ٧١ ، ومجاني الادب ٧ : ٥٠٨

(٢) الفاريقي : تاريخ ملوك الحيرة ٤٧

(٣) تاريخه ٢ : ٩٤ (٤) الكامل ١ : ١٧٧

(٥) مروج الذهب ٣ : ٢٠٠ (٦) تاريخه ص ٦٩

(٧) تاريخه ١ : ٧١

(٨) روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر ، على هامش الكامل لابن الاثير ٧ : ٥٦

(٩) تاريخه ٢٤٠ (١٠) شرح مجاني الادب ٧ : ٥٠٨ (١١) ٦٩

وجاء عن امرىء القيس (١) انه حارب ربيعة بن نزار في البحرين ونجد واختطف منهم ماء السماء التي تزوجها . وفي غزوة ثانية اسّرته قبيلة شيبان . ولم ينل حريته الا بفدية كبيرة . وكان كل ذلك قبل تملكه الحيرة . وكان الخصام بين بني بكر واللخميين بلغ اشدّه ، ولم ينتهِ الا بعد ان زوّج امرؤ القيس ابنه المنذر بهند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي .

وينسب اليه بناء القصرين الشهيرين (٢) في الحيرة ، وهما الصنّبر والعذيب وقد ذكرناهما في الفصل الذي عقدناه بعنوان قصور الحيرة (٣).

قبل ان نختم هذا الفصل لا بدّ من القول ان مذهب نسطور كان قد انتشر في هذه الحقبة في بلاد فارس . سعى في بثّه برصوما النصيبيني بكل حماسة وتوسّل بالوسائل المختلفة لتوطيد أسسه . وأغرى السلطة الفارسية لتعزيز شأنه لاقامة حواجز وفواصل بين نصارى فارس ونصارى مملكة الروم . روى ابن العبري (٤) ان برصوما قال للملك هرمز الثالث فيروز : ان لم نعلن في الشرق عقيدة تختلف عن عقيدة انبراطور الروم لا تخلص لك تبعتك النصارى ابداً . اعطني جيوشاً فاجعل جميع نصارى مملكتك نساطرة . حتى انهم يكرهون الروم والروم يبغضونهم . ووشى برصوما بطريرك المدائن بابوي فصلبه كسرى فيروز (٤٨١) واخذ المؤمنون جسده ودفنوه بالحيرة (٥) ، لان شمعون اسقف الحيرة كان ضدّ برصوما ، واصدر برصوما رسالة حرم بها بعض الاساقفة ، ومنهم اسقف الحيرة (٦) ، ولكن البطريرك بابوي كان قد استدعى بعض الاساقفة ومنهم شمعون اسقف الحيرة وحرموا برصوما واشياعه (٧) . وبعد ان انتصر المذهب

---

(١) كوسن دي برسفال : العرب قبل الاسلام ٢ : ٧٣—٧٥

(٢) مجاني الادب ٣ : ٣٠٨ (٣) ص٢٥

(٤) لابور : النصرانية في فارس ص ١٣٥

(٥) عمرو بن متى : المجدل ٣١

(٦) لابور ١٤٢ (٧) شابو : السنهدوسات الشرقية ص ٥٣١

النسطوري في بلاد فارس نرى نصارى الحيرة شديدي التمسك به وقاوموا مذهب الطبيعة الواحد المنوفستية بعد نضال عظيم وكان رسوله الحجيم شمعون اسقف بيت ارشم ، بدأ يبث المذهب المنوفستي في الحيرة حيث تعذ له الاشراف وبنى البيع ثم ذهب الى المدائن (١) وكان داعية شمعون الارشامي الحجاج بن قيس الحيري ، احد اصحاب ملك الحيرة (٢) فجادلهم البطريرك شيلا (٥٠٥_٥٢٣ م) وسعى النساطرة بالبعاقبة عند السلطة الفارسية مدعين انهم متحزبون للروم . وبعد نضال عظيم انتصرت النساطرة على المنوفستية في الحيرة (٣) وقد اسهبنا البحث في هذا الموضوع في الفصل الذي عقدناه عن اديان اهل الحيرة (٤).



المنذر بن ماء السماء

٥١٤ــ٥٦٣م

هو المنذر الثالث ابن امرىء القيس سمي ابن ماء السماء بلقب امه ماء السماء ذلك اللقب الذي غلب على اسمها لجمالها وحسنها (٥) او لكرمها ورقة طبعها (٦) وقيل سميت به نسبة الى السماوة وكانت تدعى بماء فسمتها العرب ماء السماء (٧) وقيل كان اسمها ماوية او مارية بنت عوف بن جشم بن هلال بن

(١) دوفال : الآداب السريانية ١٤٨ــ١٥٢ و ١٩٢ــ٣٦٠

(٢) ادي شير : كلدو وآثور ٢ : ١١٤

(٣) كذلك ونصري : ذخيرة الاذهان ١ : ١٦٨ (٤) راجع ص٣٦

(٥) حمزة الاصفهاني ٧٠

(٦) شيخو : النصرانية وآدابها ٨٨

(٧) معجم البلدان مادة سماوة ، قال ياقوت ان ماء السماء هي ام النعمان . اما

ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط(١) ويقال بل هي رُبيعة اخت كليب والمهلهل التغلبيين (٢) وروى بعضهم ان المنذر لقب ماء السماء لجوده وسخائه كما يملأ قطر الغيث الارض . وعرف المنذر بذي القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره (٣).

لحكم هذا الملك عهدان تتخللهما فترة فالعهد الاول في زمن قباذ وهو بدء ملكه في الحيرة تولى عرشها بعد وفاة أبيه سنة ٥١٤ وهي السنة السادسة والعشرون من حكم قباذ وعلى ذكر قباذ نقول انه تزيّن بتاج الاكاسرة سنة ٤٨٨ وفي سنة ٤٩٦ طرده جاماسب وحكم دولة الساسانيين . وعاد قباذ ثانية الى الحكم سنة ٤٩٨ وما كان لقباذ من استيلاء جاماسب على دولته حدث للمنذر الثالث . فان الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي استولى على الحيرة بمعاونة قباذ وطرد المنذر الثالث في سنة ٥٢٩ وبقي عليها حتى سنة ٥٣١ وفي هذه السنة طرد كسرى انوشروان الحارث بن عمرو الكندي واعاد المنذر الى حكم الحيرة وبقي عليها حتى وفاته سنة ٥٦٣ وهذا هو عهد حكمه الثاني (٤)

قبل ان نأتي على تاريخ الحيرة في عهد المنذر بن ماء السماء لنقل كلمة في خلق هذا الملك :

كان المنذر قوي الشكيمة لايستميله الوعد ولا يلويه الوعيد يخوض غمارات الموت غير هيّاب ولا وجل وينزل معامع القتال ثابت الجأش كالاسد الضرغام فيلقي الرعب في قلوب اعدائه وتنهزم فلول جيوشهم مولّية الادبار هلعة لان

السماوة فهي بادية بين الكوفة والشام قفرى . وقال البكري السماوة ماءة لكلب

(١) الطبري ٢ : ٩٢ وحمزة الاصفهاني ٧٠ ذكر الطبري اسمها مارية والاصفهاني ماوية (٢) النصرانية وآدابها ٨٨

(٣) الطبري ٢ : ٩٢

(٤) ابو الفداء ١ : ٧٤ ويجعل كوسن دي برسفال بدء حكم ابن ماء السماء سنة ٥١٣ ونهايته سنة ٥٦٢

الرجل كان ظالماً عاتياً فتاكاً يسفك الدماء مدراراً لاشباع اطماعه ونفسه الوثابة وارضاءً لواهمته الجامدة الخيال وكان يظهر بين الفينة والفينة جواداً كريماً تعف نفسه الشر شأن الرجال الذين يقضون ايامهم في اضطراب وقلق . فيتجلى في اخلاقهم مظهران متشاكسان مظاهر القسوة ومظاهر العطف على البشرية المتألمة .

* *
*

في بدء مُلك المنذر كان قباذ ملك الفرس قد عقد الصلح مع الهياطلة بعد حروب دامت بين الفرس والهياطلة عشر سنوات (٥٠٣—٥١٣) فاتيح له آنئذ ان يوجّه انظاره الى علاقاته بالروم لان الروم كانوا قد استفادوا من انهماك الفرس بحرب الهياطلة فتقدّموا من التخوم الفارسية وعزّزوا حصونهم في مدينة دارا ولم يصغ الانبراطور انسطاس الى الاعتراضات التي بعث بها اليه قباذ على لسان وفد اوفده اليه، وتابع يوسطنوس الاول Justin I (٥١٨—٥٢٧) سياسة سلفه العدائية تجاه الفرس . وقصارى القول توتّرت العلاقات بين الدولتين واشتعلت نار الحرب بينهما في ارمينية الفارسية (١)

وكان الانبراطور يوسنوس الاول يخطب ودّ المنذر بن ماءالسماء ويحاول ان يعقد معاهدة صلح وولاء . فارسل اليه وفداً في هذه المطاوي للمفاوضة يخبرنا احد كتبة السريان شمعون اسقف ارشم انه في ٢٠ كانون الثاني (يناير) سنة ٥٢٤ غادر مدينة الحيرة مع القس ابراهام الذي كان قد اوفده الانبراطور يوسطنوس الاول الى المنذر ملك العرب ليفاوضهُ في عقد معاهدة صلح فالتقى الوفد بالمنذر في رملة Ramla (٢)

نجهل الدواعي التي حدت بالانبراطور الى ارسال هذا الوفد في ذلك التاريخ ولم تكن غزوات المنذر بلاد الروم إلا بعد ذلك التاريخ على ما نحدس وحل هذا المشكل نوتي اذ يوسطنوس اراد ان يتحالف مع ملك الحيرة حدود برية الشام في زمن كانت علاقاته بالفرس غير مرضية والحرب على قاب قوسين اواندلعت

(١) Sykes : His. of Persia:I:480 - 481

(٢) Duval : Litt. Syriaque 148 - 151

نيرانها في ارمينية الفارسية

ومما يذكره انا شمعون الارشمي في رسالته هذه انهم (اي هو والقس ابراهام وجرجس او سرجيس اسقف الرصافة) (١) علموا آنئذ ان المنذر اخذ رسالة من ذي نؤاس الحميري ملك اليمن اليهودي يحثه فيها على اضطهاد النصارى وقتلهم في الحيرة كما فعل هو بنصارى نجران (٢) فاثر كلام ملك اليمن في المنذر وأراد ان يمتحن ايمان المتنصرين من جيشه ندعا قوماً منهم وعرض عليهم جحود ايمانهم فقام احد ضباطه فقال له : « ان تنصرنا قد سبق جلوسك على عرش المناذرة فهيهات ان تقنعنا بالعدول عن ديننا وعلى كل ان كان رفقائي لايثبتون في مذهبهم فاني لااجحده مطلقاً ولست اخاف العذاب ولا الموت كما تحققت ذلك لما رأيتني في وقائع الحروب اذا لم يك سيفي اقصر من سيف سواي » فلما سمع المنذر كلامه عرف انه لايستفيد شيئاً فعدل عن قصده وترك كلاً من جنوده يتبع دينه (٣) . وفي سنة ٥٢٨ كانت الحرب سجالاً بين الروم والفرس وكان جيش الروم بقيادة بلساريوس Belisarius فني بخسائر فرأى الملك يوستنيانوس Justinian (٥٢٧—٥٦٧) خليفة يوسطنوس الاول تقوية جيشه فقواه . وكان الجيش الفارسي بقيادة فروز مهران يتقدم الى دارا (٤) ونرى في هذه التضاعيف المنذر بن ماء السماء يغزو الحارث بن ابي شمر ملك غسان وينتصر عليه ويغنم الغنائم الكثيرة والمال الوافر ويمعن في اجتياح سورية ويتقدم الى انطاكية ويستولي عليها ويقدم الى الآلهة العزّى ضحايا بشرية اربعمائة راهبة كما ذكره الكتبة السريان وسلب ونهب وقتل والقى الرعب في القلوب (٥)

---

(١) السمعاني : المكتبة الشرقية ١ : ٣٦٤ وقد طبعت رسالة شمعون الارشمي بالسريانية وترجمت الى اليونانية والبرتغالية

(٢) راجع عن هذا الاضطهاد الطبري ٢ : ١٠٥ وابن الاثير ١ : ١٧١

(٣) شيخو : النصرانية وآدابها ٨٩

(٤) sykes : His. of Pers ia I : 481

(٥) تاريخ ميخائيل الكبير طبعة شابو ٢ : ١٧٨ وتاريخ زكريا الخطيب طبعة لندن ٣ : ٢٤٤

لم يطل الامد على المنذر في حكمه بعد هذه الموقعة بل قام عليه الحارث ابن حجر آكل المرار الكندي (١) وطرده من الحيرة واستولى عليها بمؤازرة كسرى قباذ لانه شايعه في المزدكية مذهب مزدك بن بامداذان الزنديق الذي ظهر في ايام قباذ المذكور فوالاه قباذ ودان بالمزدكية الآمرة الناس بالتساوي في الاموال والاشتراك بالنساء اي مذهب الشيوعية (٢) وكان المنذر قد رفض المزدكية فاغتاظ منه قباذ ونقم عليه (٣) وقال حمزة الاصفهاني (٤) في هذا الموضوع . فضعف ملك العرب لان مادة قوة ملوك العرب كانت من جهة ملوك الفرس فعندها ملكت بكر بن وائل عليها الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار فهرب المنذر من دار مملكته الحيرة ومضى حتى نزل الى الجرساء الكلبي واقام عنده وكانت هذه الحوادث نحو سنة ٥٢٩ . ثم ان امرأ القيس الثالث (٥) « والد المنذر بن ماء السماء » كان يغزو قبائل ربيعة فينكي بهم ومنهم اصاب ماء السماء وكانت امرأة ابي حوط الحظائر ثم انه ترك الحزم في غزوة من غزواته

---

(١) قال القلقشندي : في كتابه نهاية الادب في معرفة انساب العرب ص٣٣١ كندة قبيلة من كهلان وكندة هذا ابوهم واسمه ثور وانما سمي كندة لانه كند اباه اي كفر نعمته وكندة هذا هو ابن اخي جذام ولخم وعامله ، وبلاد كندة باليمن وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن ومنهم امرؤ القيس الشاعر المشهور اه . وكانت كندة قبل ان يملك حجر عليهم بغير ملك يأكل القوي الضعيف ، فسدد امورهم وساسهم احسن سياسة وانتزع من اللخميين ارضهم (٥٠٣ م) ثم ملك بعده ابنه عمرو المقصور ثم استخلفه الحارث وعظم شأنه حتى ولاه قباذ على العراق زمناً .

(٢) ابو الفداء ١ : ٧١

(٣) ابن الاثير ١ : ١٧٥

(٤) كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ٧١

(٥) جاء عن الاصفهاني ان اسمه امرؤ القيس البدء ونظنه غلطاً والاصح الثالث

فثارت به بكر بن وائل فهزموا رجاله واسروه فبقيت تلك العداوة في نفوس بكر ابن وائل الى ان وهى امر الملك قباذ فعندها ارسلت بكر الى الحارث بن عمرو الكندي فملكوه وحشدوا له ونهضوا معه حتى اخذ الملك ودانت له العرب(١).

بقي الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ملكاً على الحيرة حتى مات قباذ وتولّى تاج الاكاسرة كسرى انوشروان العادل سنة ٥٣١ وانقض على مزدك فقتله وقتل اشياعه شر قتلة وطهّر البلاد من الزندقة وبلغه ان الحارث آكل المرار دان بالزندقة وحامى الزنادقة يعني ان المزدكيين الذين طاردهم كسرى وخشوا قصاصه هربوا ملتجئين الى الحارث في الحيرة فبعث كسرى الى المنذر ابن ماء السماء من اشخصه اليه فقواه برجال من الاساورة وردّه الى الحيرة ملكاً (٢) وكان الحارث يومئذ في الانبار فبلغه الامر فخرج هاربا في صحابته وولده فمرّ بالثوية وتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء فلحق بارض كلب ونجا وانتهبوا ماله وهجائنه واخذت بنو تغلب ثمانية واربعين نفساً من بني آكل المرار فقدموا بهم الى المنذر (٣) فامر المنذر بقتلهم بجفر الاملاك في ديار بني مرينا العباديين بين دير هند الكبرى والكوفة فقتلوا . ورثاهم امرؤ القيس الشاعر الذائع الصيت وهو حفيد الحارث آكل المرار وكان مع هؤلاء الذين قبضت عليهم تغلب من بني قومه وهو أفلت واليك مرثيته (٤) :

ألا ياعين بكّي لي شنينا   وبكّي لي الملوك الذاهبينا

---

(١) يفهم من رواية الاصفهاني ان احتلال الحارث الكندي الحيرة كان بالرغم من قباذ ويؤيد هذه الرواية ماجاء في تاريخ الطبري ٢ : ٨٦ ان الحارث ابن عمرو بن حجر الكندي ملك الحيرة بمؤازرة خاله تبّع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبّع الاقرن

(٢) حمزة الاصفهاني ٧١

(٣) ابن الاثير ١ : ١٧٥

(٤) الاغاني ٨ : ٦٢ وشعراء النصرانية ٧

ملوكاً من بني حجر بن عمرو ... يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة اصيبوا ... ولكن في ديار بني مرينا
ولم تغسل جماجمهم بغسل ... ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا(١)

وفي هذه الموقعة يقول عمرو بن كلثوم في معلقته(٢)

فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

كان الحارث آكل المرار قد فرّق ولده في قبائل العرب فملّك ابنه حجراً على بني اسد وغطفان وملّك ابنه شرحبيل (قتيل يوم الكلاب) على بكر بن وائل باسرها وبني حنظلة وطوائف من بني دارم بن تميم والرباب وملّك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلة والصنائع وهم بنو رقية وملّك ابنه عبدالله على عبد القيس وملّك ابنه سلمة على قيس (٣) فكان المنذر بن ماء السماء يتحيّن الفرص للانتقام من اعقاب الحارث فوقع خلاف بين ابني الحارث شرحبيل وسلمة آلت الى حرب وقتال وبعد وقائع

(١) وجاء في معجم البلدان في مادة (دير بني مرينا) وفي شعراء النصرانية ص ٥٧ ان امرء القيس قال هذا الشعر في وقعة يختلف وصفها عما جاء في الاغاني كما اثبتناه في النص اعلاه وهو ان قيس بن سلمة حفيد الحارث آكل المرار اغار على المنذر فهزمه حتى ادخله الخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو ولم يكن ولد له يومئذ المنذر بن المنذر فمكث المنذر ذو القرنين وهو ابن ماء السماء حولاً ثم اغار عليهم بذات الشقوق فاصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر بن عمرو كانوا يتصيدون وكان معهم امرؤ القيس الشاعر ولكنه افلت وقدم المنذر في الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الابيض شهرين ثم ارسل اليهم ان يؤتى بهم فخشى ان لا يؤتى بهم حتى يؤخذا من رسله فارسلوا اليهم ان اضربوا اعناقهم حتى ما اتاكم الرسول فاتاهم الرسول وهم عند الجفر فضربوا اعناقهم به .

(٢) الاغاني ٨ : ٦٢

دامية في يوم الكلاب التجأ احدهم (سلمة) ببني تغلب فأخرجت تغلب سلمة من بينهم فلجأ الى بكر بن وائل فلما صار عند بكر اذعنت له وحشدت عليه وقالوا لايملكنا غيرك فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته فابوا ذلك فحلف المنذر ليسيرن اليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل اوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار اليهم بجموعهم فالتقوا باوارة فاقتتلوا اقتتالاً شديداً وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر واسر يزيد بن شرحبيل الكندي فامر المنذر بقتله . وقتل في المعركة بشر كثير واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فامر بهم فذبحوا على جبل اوارة فجعل الدم يجمد فقيل له ابيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الارض لم يبلغ دماؤهم الحضيض ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم الى الحضيض وأمر بالنساء ان يحرقن بالنار فتشفع رجل من قيس فاطلقهن المنذر واشتهرت هذه الموقعة عند العرب بيوم اوارة الاول (١)

لا نعلم متى حدثت موقعة يوم اوارة . هل بعد عودة المنذر الى حكم الحيرة ثوا أو بعد غزوته سورية للمرة الثانية في عهد كسرى انوشروان كما سيجيء ذكرها . وبعد زوال ملك الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار قال امرؤ القيس يرثي ملك جده ويصف تباريح الزمان :

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق الى عمان
مجاورة بني شمجى بن جرم هواناً ماأتيح من الهوان
ويمنعها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان (٢)

وبقي المنذر بن ماء السماء يطارد آل آكل المرار ويبطش بهم وهم يهابونه ومنهم امرؤ القيس الشاعر الطائر الشهرة . فلبثوا عهداً عند الحرث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مائة من رجاله يوعده بالحرب ان لم يسلم اليه بني آكل المرار فاسلمهم ونجا امرؤ القيس . فخرج على وجهه واقبل على فرسه الشقراء لاجئاً الى ابن عمته عمرو بن المنذر بن ماء السماء . لان ام عمرو هند هي بنت عمرو بن حجر بن

(١) ابن الاثير ١ : ٢٢٨
(٢) شعراء النصرانية ٦٧

آكل المرار وذلك بعد قتل ابيه واعمامه وتفرق اهل بيته وكان عمرو يومئذ خليفة لابيه المنذر ببقة وهي بين الانبار وهيت فمدحه وذكر صهره ورحمه وانه قد تعلق بحباله ولجأ اليه فاجاره عمرو ومكث عنده زماناً ثم بلغ المنذر مكانه عنده فطلبه وانذره عمرو . فهرب الى هانىء بن مسعود بن عامر احد رؤساء بني شيبان فلم يجره وقال له انا في دين الملك فاتى سعد بن ضباب الايادي سيد قومه فاجاره (١)

وذكر مؤرخو الروم مثل ننوز وبروكوب وغيرهما ان امرء القيس وهم يسمونه قيساً قبل وروده على القيصر يوستنيانوس اوفد اليه وفداً يطلب منه النجدة على بني اسد وعلى المنذر ملك العراق (٢)

ذكر سايكس (٣) ان في سنة ٥٣١ اتخذت التدابير في بلاد فارس لاجتياح سورية بمحالفة العرب بامرة المنذر بعد ان اخفقت مفاوضة الصلح مع الروم الا ان القائد الماهر بلساريوس وقف على هذا الخبر وسيّر عساكره سيراً حثيثاً وجعله حائلا بين الغزاة وانطاكية . ولما فشل الجيش الفارسي في تحقيق جل مقصدهم انجلوا عن البلاد الرومية وكان في نية القائد الرومي ان يفسح لهم المجال في جلائهم هذا الا ان عسكره ضج صاخباً واراد ان يطارد الفرس فوافقهم رغماً ولكنهم خسروا وتحرج موقفهم ولم يتمكن قائدهم من الخلاص من هذه الورطة الا بمهارة عسكرية . وكانت هذه آخر موقعة من الحروب وجاء خبر موت قباذ آنئذ فكف الجيش الفارسي وانجلى .

يفهم من رواية سايكس ان في اخريات ايام قباذ كان المنذر في رأس العرب الذين نصروا الفرس في هذه الحرب مع ان مؤرخي العرب ذكروا ان المنذر كان على غير وئام مع قباذ وان الحارث آكل المرار كان قد اغتصب ملك الحيرة بمؤازرة قباذ نفسه كما مرّ بنا قبيل هذا . فان صحت رواية سايكس هذه

(١) الاغاني ٨ : ٦٧

(٢) شعراء النصرانية ٣٥

(٣) Sykes : His. of Persia 1 : 482

فلا نجد لذلك سبيلا الا ان العلائق بين المنذر وقباذ كانت قد بدأت بالتحسن وكان ملك الفرس محتاجاً الى المنذر وكان المنذر يرجو خيراً من التقرب من خسرو قباذ وربما كان يطمع في الغزو . ومع هذا فان بعض المؤرخين يرون ان زحف المنذر على سورية في هذه السنة عينها ٥٣١ كان نجدة لكسرى انوشروان وليس لقباذ والواقع ان في هذه السنة مات قباذ وملك انوشروان وعقد يوسطنيانوس معاهدة صلح مع الفرس لانه كان يرمي الى ايجاد صلات سلم في الشرق ليتسع له مجال الحرب والفتح في ايطالية وافريقية ولم يدخل اسم المنذر في هذه المعاهدة.

لم يدم الصلح طويلا بين انوشروان ويوسطنيانوس اذ ساء انوشروان اخبار النصر الذي ناله الروم في افريقية وايطالية فاوعز الى عامله المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ان يغزو سورية وكان اشتد الخلاف بينه وبين الحارث بن جبلة الغساني في ملكية طريق الماشية في جنوبي تدمر يدعي المنذر انها من مملكته وينازعه في ذلك ملك غسان فاهتبل المنذر هذه الفرصة وحارب الحارث وانتصر انوشروان للمنذر وانتصر الروم للحارث فثارت الحرب بين الدولتين وغزا انوشروان سورية وآسية الصغرى .

لم يرو لنا المؤرخون العرب شيئاً عن اشتراك المنذر بن ماء السماء في الحرب الشعواء التي اثارها على الروم سنة ٥٤٠ م اذ عبر الفرات قرب قرقيسيا وهبط على انطاكية وغزاها ودمرها ونقل سكانها الى العراق الا ان كلاً من الطبري وابن الاثير(١) ينقل الينا خبراً نظن له علاقة بهذه الحرب وعلوك الحيرة اللخميين وان احتاج الى تمحيص ونقد من وجوه عديدة واليك خلاصته : كان بين كسرى انوشروان وغطيانوس Justinian ملك الروم هدنة فوقعت فتنة بين رجل من العرب كان غطيانوس ملكه على عرب الشام يقال له خالد بن جبلة وبين رجل من لخم كان ملكه كسرى على عمان والبحرين واليمامة والطائف وسائر الحجاز يقال له المنذر بن النعمان . فاغار خالد على المنذر بن النعمان فقتل من اصحابه مقتلة عظيمة وغنم امواله فكتب كسرى الى غطيانوس يذكره ما بينهما من العهد والصلح

(١) الطبري ٢ . ١٢١ والكامل ٢ : ١٢١

ويعلمه مالقي المنذر من خالد وطلب ان ينصف المنذر ويأمر خالداً ان يعيد اليه ماانتهبه منه فلم يحفل به (١) . فغزى كسرى بلاد الروم في سبعين الفاً وكان طريقه على الجزيرة فاخذ مدينة دارا والرّها وعبر الى الشام فملك منبج وحلب وانطاكية وفامية وحمص ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدن وسبى اهل انطاكية ونقلهم الى ارض السواد وامر فبنيت لهم مدينة الى جانب مدينة طيسفون وافتدى غطيانوس المدن الرومية من كسرى . ويقول الطبري ان رومية المدائن كانت تشبه كل الشبه انطاكية حتى ان الاسرى الانطاكيين دخلوا رومية المدائن ووجد كل واحد بيته بدون صعوبة كأنهم في انطاكية ولم يخرجوا منها

ان هذه الرواية توافق الاحوال التاريخية كلها الا ان امراً واحداً يتطلب الحل . لاغريب في امر تولية المناذرة الحكم في عمان والبحرين واليمامة والطائف بعد زوال ملك كندة من آل آكل المرار . قال المستشرق السر تشارلس ليل (٢) ولما انقضى امر كندة وسّع ملوك الحيرة نطاق مملكتهم فشملت النصف الشمالي من جزيرة العرب والجانب الشرقي منها مما يلي خليج فارس ويكثر ذكر المنذر الثالث وابنه عمرو بن هند في اشعار ذلك العصر ». ونعلم ايضاً ان المنافسة بين الغساسنة والمناذرة على عرب الشمال كانت متأصلة في النفوس منذ حكم الكنديين وكان كل من الغسانيين والمناذرة ينازعون الكنديين هذا الحكم (٣) ولكن المشكل الوحيد الذي يقوم امامنا في رواية الطبري وابن الاثير قولهما المنذر بن النعمان ونحن نعلم ان ملك الحيرة كان المنذر بن امرىء القيس الثالث وهو المعروف بالمنذر بن ماء السماء وليس المنذر بن النعمان . فيحل هذا المشكل رأيان اولهما ان المؤرخين الطبري وابن الاثير ذكرا سهواً المنذر بن النعمان بدل المنذر بن امرىء

---

(١) وجاء ذكر هذه الوقعة في الشاهنامة للفردوسي في الترجمة العربية ٢ : ١٢٦ — ١٢٩

(٢) في خطبة القاها في مؤتمر الدروس التاريخية بعنوان تاريخ العرب من شعرهم القديم ونشرها المقتطف في عدد فبراير ١٩١٤ ص ١٦٣ — ١٦٩

(٣) زيدان : العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٧

القيس وقد اشار الى هذا السهو كليمان هوارت اذ قال يسميه بعضهم غلطاً ابن امرىء القيس البدء وبعضهم ابن النعمان (١) والرأي الثاني ان عميل كسرى في عمان والبحرين واليمامة والطائف كان احد اللخميين المسمى المنذر بن النعمان على ماروأه المؤرخون العرب .

ومن حوادث المنذر بن ماء السماء المشهورة عند العرب انه كان له نديمان من بني اسد وهما خالد بن فضلة وقيل ابن المضلل وعمرو بن مسعود فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فامر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين فلما اصبح استدعاهما فاخبر بالذي امضاه فيهما فغمّه ذلك وقصد حفرتهما وامر ببناء طربالين عليهما وهما صومعتان وقال ماانا بملك ان خالف الناس امري (٢) وسنّ الا يمرّ بهما احد الاّ سجد لهما وكان اذا سنّ الملك منهم سنّة توارثوها وأحيوا ذكرها وجعلوها عليهم حكماً (٣) وجعل لهافي السنة يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويغري بدمه الطربالين ولبث بذلك برهة من دهره وسمّى احد اليومين يوم البؤس وهو اليوم الذي يقتل فيه ماظهر له من انسان وغيره وسمّى الآخر يوم النعيم يحسن فيه الى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويخلع عليهم فخرج يوماً من ايام بؤسه فطلع عليه عبيد بن الابرص الشاعر الاسدي وقد جاء متمدحاً فلما نظر اليه قال هلاّ كان الذبح لغيرك ياعبيد فقال عبيد اتتك بحائن رجلاه (٤) وبعد كلام طويل بين المنذر وعبيد

---

(١) Huart : His. des Arabes I : 67 . ويدعوه الطبري ٢ : ٨٦ المنذر بن النعمان الاكبر وامه ماء السماء وفي ٢ : ٩٤ قال نقلاعن ابن هشام وملك بعد ابي يعفر بن علقمة المنذر بن امرىء القيس البدء وهو ذو القرنين وامه ماء السماء .

(٢) معجم البلدان مادة « غري »

(٣) المسعودي مروج الذهب ٦ : ٢٥٢ تدل على هذه الرواية على ان اوامر الملوك عندهم شرائع واجبة الطاعة

(٤) راجع مجمع الامثال للميداني ١ : ١٠٧

جعل الرواة في اثنائها نشأة امثال على لسان عبيد(١) وبعد ان انشد عبيد بعض الاشعار قال له المنذر ياعبيد لابدّ من الموت وقد علمت ان النعمان (٢) ابي لو عرض لي يوم بؤسي لم اجد بدّاً من ان اذبحه فاما ان كانت لك وكنت لها فاختر احدى ثلاث خلال ان شئت فصدتك من الاكحل وان شئت من الابجل وان شئت من الوريد فقال عبيد ابيت اللعن (٣) ثلاث خلال كساحيات واردها شر وارد وحاديها شر حاد ومعاديها شر معاد فلاخير فيها لمرتاد ان كنت لامحالة قاتلي فاسقني الخمر حتى اذا ماتت لها مفاصلي وذهلت منها ذواهلي فشأنك وما تريد من مقاتلي فاستدعى له المنذر الخمر فشرب فلما اخذت منه وطابت نفسه وقدمه المنذر انشأ يقول :

وخيّرني ذو البؤس في يوم بؤسه	خلالاً ارى في كلها الموت قد برق
كما خيرت عاد من الدهر مرة	سحائب مافيها لذي خيرة انق
سحائب ريح لم توكل ببلدة	فتتركها الاّ كما ليلة الطلق

ثم امر به المنذر ففصد حتى نزف دمه فلما مات غرّى بدمه الغريّين

وبقي المنذر (٤) على تلك السنّة حتى مرّ به في بعض ايام البؤس حنظلة بن ابي عفر فاستمهله في قتله سنة بكفالة شريك بن عمرو فامهله المنذر . ورجع حنظلة بعد سنة آخر نهار الاجل المضروب لينقذ كفيله شريكاً من القتل فراع المنذر هذا الوفاء وسأل حنظلة عن سببه فاجابه حنظلة ابرّ بوعده لانه كان على دين النصرانية الذي يأمر بالوفاء فاثّر هذا الكلام في المنذر واكبر هذه الخلة الشريفة فتنصّر هو واهل الحيرة وابطل هذه السنّة العاتية

وعلى ذكر تنصّر المنذر نقول ان امه كانت على النصرانية وهي مارية

---

(١) راجع ص ٧٧ من هذا الكتاب . (٢) ان صح هذا القول كان للمنذر بن ماء السماء ابن اسمه النعمان (٣) تحية الملوك ومعناها الاتأت بعمل يستوجب اللوم واللعن

(٤) يسند بعض المؤرّخين هذه الرواية الى النعمان الاول ويرويه غيرهم عن النعمان ابي قابوس ولكن الراي الراجح انه المنذر بن ماء السماء

الملقّبة ماء السماء على اشهر الاقوال (١) الان تقلّب في اعتقاده بين وثنية عرب الجاهلية والمجوسية وقد ذهب بعضهم الى انه دان بالمزدكية (٢) وكانت زوجته هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي مسيحية وتسمى هند الكبرى وهي صاحبة الدير الذي باسمها وكانت قد كتبت عليه (٣)

« بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت»
«الاملاك وام الملك عمرو بن المنذر أمة المسيح وأم عبده وبنت عبيده في ملك»
«ملك الاملاك خسرو انوشروان في زمن مار افريم الاسقف. فالاله الذي بنت له»
«هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحّم عليها وعلى ولدها ويقبل بها ويقوّمها الى امانة»
«الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »

وتزوج المنذر بن ماء السماء بأخت زوجته هند ايضاً واسمها امامة، وولدت له كل منهما اولاداً . وكان له من هند ولد اسمه عمرو بن هند خلفه في الملك ومن امامة ولد عرف بعمرو بن امامة (٤)

ومن حروب المنذر بن ماء السماء حرب « يوم عين اباغ » (٥) وكان سببها ان المنذر سار من الحيرة في معد كلها وحدث ان نزل بعين اباغ بذات الخيار وارسل الى الحرث الاعرج بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو مزيقيا بن عامر

---

(١) النصرانية وآدابها ٨٨

(٢) كذلك . ولكن هذا القول يخالف ما ذكره بعض المؤرخين من ان سبب نكبته كان امتناعه عن قبول المزكية

(٣) معجم البلدان مادة دير هند الكبرى

(٤) معجم البلدان في المادتين (قضيب) و «مرجح»

(٥) الكامل لابن الاثير ١ : ٢٢٢ وعين اباغ ليست بعين ماء وانما هو واد وراء الانبار على الفرات الى الشام .قال ياقوت في معجمه وكان عندها في الجاهلية يوم مهم بين غسّان ملوك الشام وملوك لخم ملوك الحيرة قتل فيها المنذر بن المنذر بن امرىء القيس اللخمي . قلنا والمشهور ان القتيل فيها المنذر بن امرىء القيس .

الغسّاني ملك العرب بالشام (١) اما ان تعطيني الهذبة فانصرف عنك بجنودي واما ان تأذن بحرب فارسل اليه الحرث انتظرنا ننظر في امرنا فجمع عساكره وسار نحو المنذر وارسل اليه يقول له انا شيخان فلا تهلك جنودي وجنودك ولكن يخرج رجل من ولدي ويخرج رجل من ولدك فمن قتل خرج عوضه آخر واذا فني اولادنا خرجت انا اليك فمن قتل صاحبه ذهب بالملك فتعاهدا على ذلك فعمد المنذر الى رجل من شجعان اصحابه فامره ان يخرج فيقف بين الصفّين ويظهر انه ابن المنذر فلما خرج اخرج اليه الحرث ابنه ابا كرب فلما رآه رجع الى ابيه وقال ان هذا ليس بابن المنذر انما هو عبده او بعض شجعان اصحابه فقال يا بني اجزعت من الموت ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه وقاتله فقتله الفارس والقى رأسه بين يدي المنذر وعاد فامر الحرث ابناً له آخر بقتاله والطلب بثأر اخيه فخرج اليه فلما واقفه رجع الى ابيه وقال يا ابتِ هذا عبد المنذر فقال يا بنيّ ما كان الشيخ ليغدر فعاد اليه فشدّ عليه فقتله فلما رأى ذلك شمر بن عمرو الحنفي وكانت امه غسّانية وهو مع المنذر قال ايها الملك ان الغدر ليس من شيم الملوك ولا الكرام وقد غدرت بابن عمك دفعتين فغضب المنذر وامر باخراجه فلحق بعسكر الحرث فاخبره فقال له سل حاجتك فقال له حلتك وخلتك فلما كان الغد عبر الحرث اصحابه وحرضهم وكان في اربعين الفاً واصطفوا للقتال فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل المنذر وهزمت جيوشه .

وفي رواية ان شمر بن عمرو الحنفي احد بني سحيم قتل المنذر غيلة وذلك ان الحرث بن جبلة الغسّاني بعث الى المنذر بمئة غلام تحت لواء شمّر هذا يسأله الامان على ان يخرج له من ملكه ويكون من قبله فركن المنذر الى ذلك وأقام الغلمان معه فاغتاله شمر بن عمرو فقتله (٢) وجاء ان غسّاناً اسرت امرىء القيس ابن المنذر يوم قتلت اباه فاغارت بكر بن وائل على بعض بوادي الشام فقتلوا ملكاً

---

(١) وقيل ابو شمر عمرو بن جبلة بن النعمان بن الحرث الايهم ابن مارية الغسّاني وقيل هو ازدي تغلب على غسّان

(٢) الاغاني ٩ : ١٧٢

من ملوك غسّان واستنقذوا امرىء القيس بن المنذر واخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها ميسون (١)

وقال ابن الاثير (٢) بعد قتل المنذر أسر الحرث بابنيه القتيلين فحملا على بعير بمنزلة العدلين وجعل المنذر فوقهما فرداً وقال «يا العلاوة دون العدلين» فذهبت مثلاً وسار الى الحيرة فانهبها واحرقها ودفن ابنيه بها وبنى الغريين عليهما في قول بعضهم الا ان بعض المؤرخين يستبعدون ذهاب الحارث الغساني الى الحيرة ويستبعدون اكثر منه دفن ابنيه وبناءه الغريين عليهما.

وفي يوم اباغ يقول ابن الرعلاء:

كم تركنا بالعين عين اباغ	من ملوك وسوقة اكفاء
امطرتهم سحائب الموت تترى	ان في الموت راحة الاشقياء
ليس من مات فاستراح بميت	انما الميت ميت الاحياء

ويظهر من مقارنة الحوادث ان موقعة يوم اباغ كانت سنة ٥٦٣ ميلادية.

ومما يذكر عن المنذر بن ماء السماء انه اوفد وفداً على ابرهة بعد ان فتح الاحباش بلاد اليمن (٣) وينسب الى المنذر هذا بناء قصر الزوراء في رواية (٤) ويقال انه كان يجير جاره شديد الشهامة عليه ومن ذلك ان ابادؤاد رجلاً بالحيرة من بهراء (٥) يقال له رقبة بن عامر فاخرج ابو دؤاد بنين له ثلاثة في تجارة الى الشام فبعث رقبة الى قومه فقتلوهم فحبس المنذر ابا دؤاد وبعث كتيبتيه الدوسر والشهباء لمعاقبة المجرمين (٦)

---

(١) الاغاني ٩: ٧٣

(٢) الكامل ١ : ٢٢٣

(٣) زيدان: العرب قبل الاسلام ١ : ١٥٩ و ٢٠٧

(٤) زيدان ص ١٥٩ و ص٢٦ من كتابنا هذا

(٥) بهراء بطن من قضاعة من القحطانية وهم بنو بهراء بن عمرو بن الحافي ابن قضاعة .

(٦) الميداني مجمع الامثال ١ : ٣١ في تفسير المثل (انا النذير العريان)

ومن حديث الادباء ان الوفود اجتمعت عند المنذر بن ماء السماء بن امرىء القيس فاخرج المنذر بردين يوماً يبلو الوفود وقال ليقم اعز العرب قبيلة فليأخذها فقام عامر بن احيمر بن بهدلة فاخذها واتزر باحدها وارتدى بالآخر فقال له المنذر أأنت اعز العرب قبيلة قال العزّ والعدد في معد (١) ثم في نزار (٢) ثم في مضر (٣) ثم في خندف (٤) ثم في تميم (٥) ثم في سعد (٦) ثم في كعب (٧) ثم في عوف (٨) ثم في بهدلة (٩) فمن انكر هذا فلينافرني فسكت الناس (١٠) ومما يذكر عن المنذر انه كانت له ابنة اسمها فاطمة كان يهواها المرقش الاصغر الشاعر وقال فيها الغزل (١١)

وقد نسب العرب بعض الاقوال المأثورة الى المنذر بن ماء السماء ومنها :

---

(١) معد بطن من عدنان وقيل هو بطن متسع ومنهم تناسل جميع بني عدنان

(٢) بنو نزار بطن من عدنان وهم بنو نزار بن معد بن عدنان

(٣) مضر قبيلة من العدنانية وهم بنو مضر بن معد بن عدنان

(٤) بنو خندف بطن من مضر من العدنانية وهم بنو الياس من مضر، وخندف أسم امرأة الياس عرف بنوها بها

(٥) بنو تميم من طابخة وهو من عدنان وهم بنو تميم بن مرد بن اد بن طابخة وكانت منازلهم بارض نجد . ونزلوا من هنالك على البصرة واليمامة وامتدت الى القرى من ارض الكوفة ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر

(٦) بنو سعد بطن من تميم

(٧) كعب بطن من تميم من العدنانية وهم بنو سعد بن زيد مناة

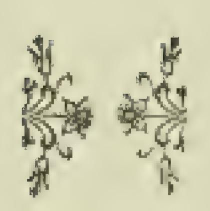
(٨) عوف بطن من تميم من العدنانية وهم بنو عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة كان له من الولد عطارد وبهدلة وغيرها

(٩) بطن من تميم وهم بنو بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة من تميم

(١٠) شعراء النصرانية ١٣٣

(١١) الاغاني ٥ : ١٧٩ و ص ٦٠ و ١٠٧ من كتابنا هذا

العز تحت ظلال السيوف ، وحصون العرب الخيل والسلاح ، والحرب سجال عثراتها لاتقال (١) ونسب اليه الميداني (٢) المثل القائل « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » وذلك في حكاية طويلة يلخصها ان بني ضمرة بن جابر وقعوا في يد لقيط بن زرارة فاساء ولايتهم واهانهم فوسط بنو نهشل المنذر بن ماء السماء لاسترجاعهم من لقيط فاسترجعهم ودعاهم امامه وكان يعجبه مايسمعه من خلال شقة بن ضمرة ولم يكن منظره يرضيه فقال له « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه» فاجابه شقة أبيت اللعن واسعدك الهك ان القوم ليسوا بجزر يعني الشاء «يعيش الرجل باصغريه لسانه وقلبه » (٣) . وجاء ذكر المنذر في كثير من اشعار عرب الجاهلية الذين عاصروه (٤) وقصارى القول ان المنذر بن ماء السماء من اشهر ملوك الحيرة .



---

(١) الامام ابو منصور الثعالبي النيسابوري : الايجاز والاعجاز ص ١٥

(٢) مجمع الامثال ١ : ٨٧

(٣) كذلك ٢ : ٢٥٣

(٤) تشارلس ليل : المقتطف فبروري ١٩١٤

عمرو بن هند

٥٦٣—٥٧٨ م

مضرم الحجارة او مضرط الحجارة

هو عمرو الثالث ابن المنذر الثـالث وعرف بمضرم الحجـارة او المحرق الثاني واشتهر باسم امه هند بنت عمة امرىءالقيس الشاعر الطائر الشهرة وهي بنت عمرو بن حجر الـكندي آكل المرار وعرفت عندالمؤرخين بهند الـكبرى (١).

كان عمرو بن هند شديد السلطان جبّاراً عظيم الشأن واشتهر كابيه المنذر ابن ماء السماء بعدة وقائع مع الروم وعرب غسّان وعرب اليمامـة (٢) وقصـده الشعراء من مختلف القبائل واضحت الحيرة في ايامه منتدى علم وادب واقبلت عليه الوفود وحكّمه العرب في امورهم وحسم النزاع بينهم.

دعا عمرو بن هند بعد قتل ابيه المنذر بني تغلب (٣) الى الطلب بثـأره من غسان فامتنعوا وقالوا لانطيع احداً من المنذر ابداً . أيظن ابن هنـد انا له رعاء فغضب عمرو بن هند وجمع جموعاً كـثيرة من العرب فلما اجتمعت آلى ان لايغزو قبل تغلب احداً فغزاهم فقتل منهم قوماً ثم استعطف من معه لهم واستوهبوه جريرتهم فامسك عن بقيتهم (٤)

كان يوسطنيانوس يساعد عرب دولته وعرب دولة الفرس بالمال ولـكنه عندما عقد الصلح مع كسرى سنة ٥٦٢ وتعهد ان يدفع اليه ثلاثين الف قطعـة من الذهب رفض ان يدفع الى عمرو بن هند الف قطعة ذهباً كان يدفعهـا الى

---

(١) معجم البلدان مادة دير هند الـكبرى

(٢) شيخو : النصرانية وآدابها ٩١

(٣) بنو تغلب حي من وائل من ربيعة من العدنانية كانت بلادهم بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين وتعرف ديارهم هذه بديار بني ربيعـة وكانت النصرانية غالبة عليهم لجـاورتهم الروم ومن بني تغلب هؤلاء عمرو بن كلثوم (عن القلقشندي)

(٤) الاغاني ٩ : ١٧٣

سلفه المنذر الثالث .

فالحَّ كسرى مرتين مطالباً بحق عمرو فاجابه سفير الروم انه لم يكن هناك جراية معينة ولكنها كانت هدايا تقدم بالمقابلة . وليس من وعد يلزمنا بتأديتها في المستقبل .

والسبب في ذلك الرفض ان الروم اعتقدوا انهم لايحتاجون الى عرب الفرس بعد عقد الصلح مع الفرس انفسهم . ولكن اجابهم كسرى : بما ان العادة كانت جارية بينكم فافضل ان تتمسكوا بها وتتبادلوا الرسل والهدايا » رفض يوسطنيانوس هذا الطلب ورفضه اوجد حجة لعرب الفرس ان يغزو الروم وبلاد الروم .

ولما تولى الملك يوسطينوس الثاني (٥٦٥—٥٧٥) خليفة يوسطنيانوس امتنع عن دفع الجزية الى الفرس ارسل اليه كسرى سفيراً يطلبها منه ومع السفير ممثل عربي يصحبه اربعون رجلاً . فطلب سفير الفرس من يوسطينوس ان يقبل وفود العرب بحضرته فلم يقبل الانبراطور الا الممثل العربي وحده من غير حاشيته وكان يعتقد ان الممثل العربي يرفض هذا الاقتراح اذ كانت الوفود تقبل باجمعها قبل هذا . فساءه ذلك . ثم تذرع بطريقة اخرى فانه اغلظ الكلام مع العربي وقال له : انك اتيت الى هنا كتاجر بقصد المتاجرة ولم تتطلب المقابلة الا بغرض النفع ولكن لايصيبك الا الشر ، لان من السخرية ان يدفع الروم جزية الى العرب الذين هم اكثر اعدائهم ظلماً واكثرهم نكراناً للجميل . ولم يكن العرب للروم على هذا فقط بل للشعوب الاخرى الذين يعيشون مبثوثين هنا وهناك

لما عاد العرب الى بلادهم واخبروا ملكهم بما قاله يوسطينوس آمر عمرو ابن هند اخاه قابوساً ان يجتاح بلاد المنذر بن حارث الغساني(١)

يبدا في حياة المنذر بن ماء السماء انه تزوّج هند بنت آكل المرار فولدت له اولاداً منهم عمرو بن هند ثم تزوّج اختها أمامة فولدت ابناً سماه عمراً . وتزيد الآن وتقول فلما مات المنذر وملك بعده ابنه عمرو بن هند قسم لبني امه

Page:66 - F . Nau : Les Arabes Chrétiens deMesopo ete(١)

مملكته ولم يعط اخاه ابن امامة شيئاً ، فقصد هذا ملكاً من ملوك حمير ليأخذ له بحقه فارسل معه مراداً فلما كانوا ببعض الطريق تآمروا وقالوا مالنا نذهب ونلقي انفسنا للهلكة وكان مقدم مراد المكشوح ونزلوا بواد يقال له قضيب من ارض قيس عيلان فثار المكشوح ومن معه بعمرو بن أمامة وهو لايشعر فقالت له زوجته ياعمرو اتيت اتيت سال قضيب بماء او حديد فذهبت مثلا وكان عمرو في تلك الليلة قد اعرس بجارية من مراد فقال عمرو غيري نفّري اي انك قلت ماقلت لتنفريني به فذهبت مثلا وخرج اليهم فقاتلهم فقتلوه وانصرفوا عنه فقال طرفة يرثيه ويحرض عمراً على الاخذ بثأره

اعمرو بن هند ماترى رأي معشر	اماتوا ابا حسان جاراً مجاورا
فان مراداً قد اصابوا حريمه	جهاراً واضحى جمعهم لك واترا
الا ان خير الناس حياً وهالكاً	ببطن قضيب عارفا ومناكرا
تقسم فيهم ماله وقطينه	قياماً عليهم بالمآلي حواسرا
ولا يمنعنك بعدهم ان تنالهم	وخلف معداً بعدهم والاباعرا
ولا تشربنّ الخمر ان لم تزرهم	جماهير خيل يتبعن جماهرا (١)

وجاء في سبب قتل عمرو بن امامة انه تجبر على مراد عندما ذهب اليهم مراغماً لاخيه عمرو بن هند (٢)

ومن مواقعه انه كان قد عاقد حياً من طيء (٣) على ان لاينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا وانه كان قد غزا اليمامة فرجع منفضاً فمر بطيء فقال زرارة ابن عدس بن عبدالله بن دارم الحنظلي : « أبيت اللعن اصب من هذا الحي شيئاً » قال له ويلك ان لهم عقداً

---

(١) راجع معجم البلدان المادة « قضيب »

(٢) راجع معجم البلدان المادة « مَرْجح »

(٣) قبيلة من كهلان من القحطانية وكانت منازلهم باليمن فخرجوا منه وافترقوا وهم اصحاب رئاسة بالعراق والشام ومصر .

فاجابه زرارة وان كان ، فلم يزل يلح به حتى اصاب نسوة وأذواداً فقال في ذلك احد الاحايين قيس بن جروة :

الا حيّ قبل البين من أنت عاشقه	ومن أنت مشتاق اليه وشائقه
ومن لاتواتي داره غير فينة	ومن انت تبكي كل يوم تفارقه
وتعدو بصحراء الثوية ناقتي	كعدو النحوص قد انحت نواهقه
الى الملك الخير ابن هند تزوره	وليس من الفوت الذي هو سابقه
وان نساء من ماقال قائل	غنيمة سوء بينهن مهارقه
ولو نيل في عهد لنا لحم ارنب	رددنا وهذا العهد أنت معالقه
فهبك ابن هند لم تعقك امانة	ولا المرء الا عقده ومواثقه
وكنا اناساً خافضين بنعمة	يسيل بنا تلع الملا وأبارقه
فاقسمت لااحتل الا بصهوة	حرام علي رمله وشقائقه
واقسم جهداً بالمنازل من منى	وما خب في بطحائهن درادقه
لئن لم تغير بعض ماقد فعلتم	لانتحين العظم ذو انت عارقه(١)

فاغتاظ عمرو بن هند من شاعر طيء هذا وغزا طيئاً فأسر امرى منهم وهم : رهط حاتم بن عبدالله الطائي وفيهم رجل من الاحيين يقال له قيس بن جحدر وهو جد الطرماح بن حكيم وابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم الى عمرو ابن هند فسأله اياهم فوهبهم له الاقيس بن جحدر لانه كان من الاحيين من رهط الشاعر قيس بن جروة الذي هجاه فقال حاتم :

فككت عدياً كلها من اسارها	فانعم وشفعني بقيس بن جحدر
ابوه ابي والامهات امهاتنا	فانعم فدتك اليوم نفسي ومعشري

فاطلقه له ، وبعد هذه الموقعة قام عمرو بن هند بحرب بني تميم وعرفت تلك الحرب « بيوم اوارة الثاني » وكان سببها على رواية المؤرخين العرب ان المنذر بن ماء السماء ابا عمرو بن هند وضع ابناً له صغيراً ويقال بل كان أخاً له

---

(١) الاغاني ١٩ : ١٢٧ — ١٢٨

صغيراً يقال له مالك عند زرارة بن عدس وانه خرج ذات يوم للصيد فاخفق ولم يصب شيئاً فرجع ومرَّ بابل لرجل من بني عبدالله بن دارم يقال له سويد بن ربيعة بن زيد بن عبدالله بن دارم وكانت امرأة سويد ابنة زرارة بن عدس فامر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شدَّ على مالك بعصا فضربه بها فأمه ومات الغلام وخرج سويد هارباً حتى لحق بمكة وعلم انه لايأمن فحالف بني نوفل (١) بن عبد مناف وكانت طيء قد حقدت على زرارة لاغرائه المنذر على قتالهم قبل هذا وتطلب عثرات زرارة وبني ابيه حتى بلغهم ماصنعوا باخي الملك فانشأ عمرو بن ثعلبة من ملقط الطائي يقول :

من مبلغ عمراً بان ... المرء لم يخلق صباره
وحوادث الايام لا ... تبقى لها الا الحجاره
ان ابن عجزة أمه ... بالسفح اسفل من اواره
تسفي الرياح خلاله ... سحباً وقدسلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا ارى ... في القوم افضل من زراره(٢)

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن هند بكى حتى فاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وحلف عمرو بن هند ليقتلنَّ باخيه مائة من بني تميم فاغار عليهم في بلادهم يوم القصيبة (٣) ويوم اوارة فظفر منهم بتسعة وتسعين رجلا فاوقد لهم ناراً والقاهم فيها ومر رجل من البراجم (٤) فشم رائحة حريق القتلى فظنَّه قتار الشواء فمال اليه فلما رآه عمرو بن هند قال ممن انت ؟ قال : رجل من البراجم قال « ان الشقي وافد البراجم » فارسلها مثلا (٥) وامر به فالقي في النار وبرَّ بيمينه فسمّت

(١) بنو نوفل بطن من بني عبد مناف من قريش من العدنانية
(٢) اختلفت رواية هذا الشعر في الاقتضاب للبطليوسي ص ٢٧ ومعجم البلدان مادة اوارة ونسب ايضاً الى الاعشى
(٣) الاقتضاب للبطليوسي ص ٤٧
(٤) البراجم بطن من حنظلة
(٥) راجع مجمع الامثال للميداني

العرب عمرو بن هند محرقاً لهذا السبب (١) وفي رواية (٢) ظفر عمرو بن هند بثمانية وتسعين رجلا فاحرقهم ثم احرق البراجمي ثم قام عمرو لايرى احداً ليبر بيمينه الى ان استحل امرأة من بني حنظلة فاحرقها

وفي القاموس انه حرق مائة من بني تميم قال شارحه يوم اوارة تسعة وتسعين من بني دارم وواحد من البراجم كما في الصحاح وكذلك في مجمع الامثال والى يوم اوارة هذا المع ابن دريد في مقصورته اذا قال (٣)

ثمّ ابن هند باشرت نيرانه يوم اوارات تميماً بالصلا

وقال جرير يعير الفرزدق في هذه الموقعة(٤)

اين الذين بنار عمرو احرقوا ام اين اسعد فيكم المسترضع

وقال ايضاً :

واخزاكم عمرو كما قد خزيتمُ وادرك عمار شقي البراجم

وقال احد الشعراء :

ودارم قد قذفنا منهم مئة في جاحم النار اذ ينزون بالجدد
ينزون بالمشتوى ويوقدها عمرو ولولا شحوم القوم لم تقد

ومما يذكر ان قوماً من شيبان (٥) جاءوا مع قيس بن معديكرب ومعه جمع عظيم من اهل اليمن يغيرون على ابل لعمرو بن هند فردتهم بنو يشكر (٦)

---

(١) الاغاني ١٩ : ١٢٩ والكامل ١ : ٢٢٨ والميداني ١ : ٧ ومعجم البلدان مادة اوارة . وقيل سمي المحرق لانه حرق نخل ملهم ، وقيل سمي محرقاً لشدة ملكه وعتوه كما سمي مضرم الحجارة ويقال للذي يكثر الشر والفساد اضرم الارض ناراً (الاقتضاب ص ٣٥٩)

(٢) الاغاني ٢١ : ١٢١ حاشية

(٣) ص ٢١ — ٢٢ الطبعة الثانية للعالي

(٤) الاقتضاب للبطليوسي ٤٧

(٥) شيبان بطن من بكر بن وائل

(٦) يشكر بطن من لخم

وقتلوا فيهم ولم يوصلوا الى شيء من الابل وتعرف هذه الموقعة « بيوم الشقيقة » وفيها يقول الشاعر :

آية شارق الشقيقة اذ جا عوا جميعاً لكل حي لواء(١)

ومن الشعراء الذين قصدوه المتلمس وطرفة العبد وعبد عمرو بن بشر وعمرو بن مرثد فوشى عبد عمرو بن بشر بالمتلمس وطرفة فاغتاظ الملك منهما واراد قتلهما فكتب لكل منهما صحيفة الى عامله في البحرين واوهمها بجائزة وكان قد كتب هلاكهما فيها فاستراب المتلمس ودفع صحيفته الى من قرأها له ولما عرف مضمونها القاها في النهر . ومن ذلك الحين امر عمرو بن هند بالكتب فختمت (٢) اما طرفة فاخذ صحيفته الى عامل ملك الحيرة في البحرين فلاقي حتفه ولطرفة الشاعر المذكور اخت وهي الخرنق رثت اخاها بعد ان قتل في البحرين وهجت بشعرها عبد عمرو بن بشر الذي وشى بأخيها فقالت :

الا ثكلتك امك عبد عمرو	ابا الخزيات آخيت الملوكا

وقالت في رثاء اخيها طرفة

وعددنا له خمساً وعشرين حجة	فلما توفاها استوى سيداً ضخماً
فجعنا به لما انتظرنا إيابه	على خير حين لا وليداً ولا قحما

وطرد عمرو بن هند ملك الحيرة عمرو بن مرثد الشاعر فقالت الخرنق في ذلك :

الا من مبلغ عمرو بن هند	وقد لاتعدم الحسناء ذاما
كما اخرجتنا من ارض صدق	ترى فيها لمغتبط مقاما
كما قالت فتاة الحي لما	احس جنانها جيشاً لهاما(٣)

وقد هجا المتلمس عمرو بن هند بقصيدة مطلعها:

---

(١) الاغاني ٩ : ١٧٣ و ص٦١ من كتابنا هذا

(٢) الانتضاب للبطليوسي ١٠٤

(٣) شعراء النصرانية ٣٢١ — ٣٢٣

ان الحية ذكرها لم ينفد　　او كيف يغني عنها طول تودد
ان العراق واهله كانوا الهوى　　فاذا نأى بي ودهم فليبعد

ومنها :

ان الخيانة والمغالة والخنا　　والغدر اتركه ببلدة مفسد

وهذا بيت رمى به الشاعر عمرو بن هند بالمجوسية ونكاح الامهات وقيل بل اراد به تأسفاً (١) والرأي الاخير اقرب الى الحقيقة

وللمثقف العبدي قصائد رنانة في مدح عمرو بن هند (٢) والتجأ الى هذا الملك الشاعر عمرو بن قمئة يوم فر هارباً من اهله يوم اراد عمه قتله واتى الى الحيرة فكان عند اللخميين وقال لعمرو بن هند ان القوم اطردوني فقال له: مافعلوا الا وقد اجرمت وانا افحص عن امرك فان كنت مجرماً رددتك الى قومك فغضب الشاعر وهمّ بهجائه وهجاء عمه ثم اعرض عن ذلك واعتذر(٣)

ومدح المسيب بن علس عمرو بن هند ولقي عنده المتلمّس وطرفة (٤)
وروي عن حاتم الطائي انه عمرو المحرق وهو عمرو بن هند بعينه فقال له المحرق بايعني فقال له ان لي اخوين ورأي فان يأذنا لي ابايعك والا فلا قال فاذهب اليهما فان اطاعاك فأتني بهما وان أبيا فأذن بحرب فلما خرج حاتم قال :

اتاني من الديان امس رسالة　　وغدو يحي مايقول مواسل
هما سألاني مافعلت وانني　　كذلك عما احدثا انا سائل
فقلت الا كيف الزمان عليكما　　فقالا بخير كل ارضك سائل

وكان المحرق يريد حربه ولكن قال له احد الرجال انك ان تقدم القرية تهلك فانصرف ولم يقدم (٥)

---

(١) الاغاني ٢١ : ١٣١
(٢) شعراء النصرانية ٤٠٣
(٣) الاغاني ١٦ : ١٥٨ و ص ٦٠ من كتابنا هذا
(٤) شعراء النصرانية ٣٥٠
(٥) الاغاني ١٦ : ١٠٥

وامام المحرق (١) انشد كل من الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم معلقته وذلك لما احتكم امامه كل من بكر وتغلب ابني وائل . والخبر في ذلك ان المحرق اصلح في حرب البسوس بين هذين الحيين واخذ منهما رهناً من كل حي مائة غلام ليكف بعضهم عن بعض فكان اولئك الرهن يكونون معه في مسيره ويغزون فأصابتهم سموم في بعض مسيرهم فهلك عامة التغلبيين وسلم البكريون فقالت تغلب لبكر اعطونا ديات ابنائنا فان ذلك لكم لازم فأبت بكر بن وائل فاجتمعت تغلب الى عمرو بن كلثوم واخبروه بالقصة فقال عمرو ارى والله الامر سينجلي عن احمر اصلع اصم من بني يشكر فجاءت بكر بالنعمان بن هرم وجاءت تغلب بعمرو بن كلثوم ولما عجز النعمان بن هرم عن الدفاع عن منتدبيه وكاد الملك يقضي لتغلب قام الحرث بن حلزة وارتجل معلقته فحكم عمرو لبكر . واكبر كل الاكبار معلقة الحرث بن حلزة . ورفع الاستار التي تحجب بينه وبين الشاعر لان وضحاً كان في ابن حلزة . وفي هذا الموقف امتعض عمرو بن هند من النعمان بن هرم وتلاسنا وتنابذا مما اوجب غضب عمرو بن هند فطلب من الحرث ابن حلزة ان يهجو النعمان بن هرم بشعره

ومن الشعراء الذين ذكروا عمرو بن هند في شعرهم النابغة الذبياني وغيره مما لا يسعنا التوسع في ذكرهم (٢) .

* *
*

في عهد ولاية عمرو بن هند على الحيرة اشتعلت نيران الحرب بين الروم والفرس وهي الحرب الثالثة بين الدولتين في زمن حكم كسرى انوشروان ودامت من سنة ٥٧٢ الى سنة ٥٧٩ اثارها يوسطينوس Justin ملك الروم لانه خشي ان تقوى دولة الفرس معتقداً ان شيخوخة كسرى انوشروان تقعد به عن الدفاع عن بلاده فخاب ظنه اذ ان الاسد الفارسي ترك عرينه وقاد بنفسه جيشه فاضطر عسكر الروم ان يتخلى عن نصيبين ويخلد الى دارا . فغزا قسم من الجيش

(١) الاغاني ٩ : ١٧١ وص ٦٩ـ٧٣ من كتابنا هذا (٢) ص ٩٥ من كتابنا هذا

الفارسي سوريا وحرق احياء انطاكية ودمر افامية وبعد هذه الغزوة التحق بانوشروان قبل مدينة دارا . فاضطرت هذه المدينة قبل سنه ٥٧٣ الى ان تخضع لقوات الفرس . واعتزل الانبراطور يوسطينيوس الملك وخلفه طيباريوس ونال الانبراطور الجديد هدنة سنة بفدية كبيرة وجدد الهدنة ثلاث سنوات اخرى (١) واننا نرى ان عمرو بن هند اشترك في هذه الحرب انتصاراً لانوشروان وان لم تذكر ذلك المصادر التاريخية التي عثرنا عليها

وكان لعمرو بن هند على كسرى كل سنة وفادة في وقت معين وكان ملك الحيرة يذهب الى حاضرة الاكاسرة في المدائن ليفاوض ملك الملوك في امور مملكته او ليعرض عليه احترامه ويعرب عن تعلقه بالعرش الفارسي .

وجاء في احدى السنين ابو مرة الفياض ذو يزن من اشراف اليمن الى عمرو ابن هند يسأله ان يكتب الى كسرى كتاباً يعلمه فيه قدره وشرفه ونزوعه اليه .

وكانت الغاية من هذا النزوع الى كسرى استنجاده على الحبشة الذين كانوا قد احتلوا اليمن في عام الفيل وفسدوا فيها فاستمهل عمرو بن هند ذا يزن حتى يأتي وقت الوفادة على كسرى فاخذه معه الى مدينة الايوان واستأذن له من كسرى فأذن له والطفه (٢)

وقد بلغ عمرو بن هند منتهى العجب بعظمته وجبروته على العرب فاهانت امه بايعاز منه ام الشاعر عمرو بن كلثوم في مأدبة اقامها في ظهر الحيرة للشاعر وامه ورهطه (٣) فاستشاط الشاعر غضباً وقتل عمرو بن هند في عقر داره في الحيرة ونقل جثمانه الى عاصمة ملكه (٤) ودفن في دير هند الكبرى امه لانه كان نصرانياً وقد تكلمنا عن نصرانيته في موضع اديان اهل الحيرة من كتابنا هذا (٥)

---

(١) Sykes . His of Persia 1 : 494

(٢) الطبري ٢ : ١١٧

(٣) الاغاني ٩ : ١٧٥

(٤) معجم البلدان مادة دير هند الكبرى وص ٦٩ وما بعدها من كتابنا هذا

(٥) ص ٣٤

وقد نسب اليه بعضهم اقوالا مأثورة وهي : السلاح ثم الكفاح والمحاجزة قبل المناجزة . وكان يقول الامراء يشتمون بالافعال لابالاقوال ويتسعون بالايدي لا بالالسن (١)

وملك عمرو بن هند ست عشرة سنة. ولثماني سنين وثمانية اشهر من ملكه وهي السنة الثانية والاربعون من ملك كسرى انوشروان ولد رسول الله (صلعم) (٢)



قابوس بن المنذر

فتنة العروس

٥٧٨—٥٨١(٣)

تولى قابوس الحكم بعد وفاة اخيه عمرو في أخريات ايام كسرى انوشروان او قل مات انوشروان بعد بضعة اشهر من تنصيب قابوس على الحيرة . ويسميه بعضهم النعمان (٤) وعليه قال كوسن دي پرسفال في خليفة عمرو بن هند هو النعمان الرابع وقابوس . قال الرابع لانه افترض وجود نعمان ثالث حكم بين زمن المنذر الاول والاسود بن المنذر (٥) فاذا كان قابوس بن المنذر هذا اسمه النعمان او ان حكم معه رجل آخر اسمه النعمان على رواية پرسفال سهل علينا حل مشكل في رواية ذكرها صاحب الاغاني يوافق زمنها عهد قابوس على رأينا . امارواية

(١) الايجاز والاعجاز للثعالبي النيسابوري ص ١٥ (٢) الطبري ٢ : ٩٤

(٣) يجعل كوسن دي پرسفال ملكه من سنة سنة ٥٧٤—٥٧٩

(٤) فهرست مجاني الادب ص ١٢٥ قال عنه قابوس النعمان الثالث

(٥) كتابه الفرنسي العرب قبل الاسلام ٢ : ٦٨

الاغاني فهي (١) كان حماد بن ايوب كاتباً للملك النعمان الاكبر « كذا » ولما مات اوصى بابنه زيد الى دهقان من المرازبة فعلّمه الفارسية ووضعه على البريد عند كسرى وبقي زماناً يتولى ذلك ثم ان النعمان اللخمي الخمي مات واختلف اهل الحيرة فيمن يخلفونه عليهم فنصبه كسرى على الحيرة وكان عليها الى ان ملك المنذر بن ماء السماء « كذا » وولد لزيد ولد سماه عدياً وكبر عدي وارسله كسرى الى ملك الروم وفي غيابه فسد امر الحيرة وعدي بدمشق وانتقضوا على المنذر وارادوا قتله لانه لايعدل فيهم وكان يأخذ من اموالهم مايعجبه واجمعوا على قتله فبعث الى زيد بن حماد وكان قبله على الحيرة فقال له زيد انت خليفة ابي وقد ابلغني ماجمع عليه اهل الحيرة فلا حاجة لي في ملككم دونكموه ملكوه من شئتم فقال له زيد ان الامر ليس الي ولكن اسيره لك . وفي الصباح حيا الناس زيداً تحية الملك الا انه توسط اليهم في المنذر وشفع به عندهم فترتب ان يبقى اسم الملك فقط للمنذر في الغزو والقتال ويعهد امر الحيرة فيما عدا ذلك الى غيره وبلغ الملك بذلك فسر به . (انتهى)

لنقف قليلا عند هذه الرواية ونضعها على محك الانتقاد . فلا نرى وجها لقبول ماجاء فيها ان زيداً بقي على الحيرة من وفاة النعمان الاكبر الى ان تولى المنذر ابن ماء السماء اي من سنة ٤٣١ الى سنة ٥١٤ وذلك للاسباب الآتية :

١ً — ان المدة بين التاريخين ٨٣ سنة وفوق ذلك ان زيداً كان لما مات النعمان زمناً طويلاً في خدمة بريد كسرى ولم يمت الا بعد عهد اي بعد ان انقلب الشعب على المنذر وفي غياب ابنه عدي في دمشق وعلى هذا الحساب يكون قد عاش زمناً يتراوح بين ١٣٠ سنة و ١٥٠ سنة وهذا العمر ليس من الاعمار الاعتيادية للبشر .

٢ً — بين وفاة النعمان الاكبر وحكم المنذر بن ماء السماء قام بضعة ملوك على عرش الحيرة منهم المنذر الاول والاسود والمنذر الثاني والنعمان الثاني وابو

---

(١) الاغاني ٢ : ١٩

يعفر علقمة وامرؤ القيس الثالث وبعد امرىء القيس هذا حكم المنذر بن ماء السماء

٣ — لم يرو لنا التاريخ ان المنذر بن ماء السماء كان ظالماً فانتقض عليه الحيريون لظلمه .

٤ — ان عدي بن زيد قتله النعمان ابو قابوس (٥٨٥—٦١٣) فاذا قبلنا وفاة عدي بن زيد سنة ٥٨٧ او ٥٩٧ على رأي بعضهم فيكون بين ولادة زيد وموت ابنه عدي مدة تربو عن القرن وثلاثة ارباع القرن واننا نعلم ان البشر يتوالدون ثلاثة اجيال (ثلاثة بطون او ثلاثة اظهر) في القرن الواحد . فنظراً الى هذه الاعتبارات وبناء على مارواه صاحب كتاب شعراء النصرانية (١) بان عدياً بعث الى الشام وفداً في عهد الامبراطور طباريوس وفي غيابه انتقض اهل الحيرة على المنذر نتمكن من ان نرتئي بان أباه زيداً تولى ادارة شؤون الحيرة في هذه المطاوي أي في عهد قابوس الذي هو موضوع بحثنا اوكما يسميه دي برسفال النعمان قابوساً . ويزيد رأينا هذا قوة ماذكره حمزة الاصفهاني (٢) عن قابوس مايأتي :

لم يملك قابوس وانما سموه ملكاً لان اباه واخاه كانا ملكين وكان فيه لين وسموه فتنة العروس ويقال انه كان ضعيفاً مهيناً فقتله رجل من يشكر وسلبه ثم ملك فيشهرت الفارسي وقال ابن الاثير (٣) ولي بعد قابوس السهراب وسماه الطبري (٤) سهرب وفي رواية زيد (٥) . ولا عجب ان رأينا الملك يخرج من اللخميين ويستولي على حكم الحيرة رجل من غير هذه السلالة لان الضعف كان قد تغلغل في البيت الحاكم وذهبت هيبتهم بقتل المنذر بن ماء السماء وبضعف ابي قابوس وقتله .

لانعرف الشيء الكثير عن قابوس الا ماجاء عن فتنة حدثت في صدر حكمه بينه وبين المنذر ملك غسّان وانتصار غسّان عليه .

---

(١) ص ٤٤٤ (٢) كتاب سني ملوك الارض والانبياء ص ٧٣

(٣) الكامل ١ : ٢٠٠ (٤) تاريخه ٢ : ١٥٦ (٥) زيدان : العرب قبل الاسلام ١ : ٢٠٩

السهرب او السهراب (١)

٥٨١—٥٨٢

نظراً الى ضعف قابوس وموته قتيلا بيد رجل من يشكر كما رأينا فويق هذا يظهر ان الحيريين اختلفوا في من يملكونه عليهم فانتدب رجل دخيل اختلف المؤرخون في اسمه قالوا فيه سهرب او السهراب او فيشهرت او زيد . ولا يبعد ان يكون زيد بن عدي تلى حدثنا وكان معه احد الفرس المسمى سهرب بمثابة معتمد سام من قبل الدولة الفارسية . مهما كان الامر فان جنوح الحكومة المركزية الفارسية الى تولية السهراب على الحيرة لم يكن بادرة مطمئنة وعلى كل لم يتلقاها العرب بشيء من الارتياح وفتحت باب الخلاف والارتياب بين عنصرين متخالفين .



المنذر الرابع

ابن المنذر الثالث

٥٨٢—٥٨٥م(٢)

ان اولاد المنذر بن ماء السماء الثلاثة تتابعوا على الحكم في الحيرة بعد قتل أبيهم ويظهر ان ضغينة قتله كنوّها حفيظة في قلوبهم وحاولوا الانتقام من

(١) حمزة الاصفهاني ٧٣

(٢) جعل كوسن دي برسفال حكمه ٥٨٠ — ٥٨٣

غسّان في كل فرصة سانحة ليثأروا لابيهم وهذا نرى ثالث الاخوة المنذر الرابع الملقب الاسود الثاني يحمل حملة شعواء على الحارث بن ابي شمر الغسّاني في رأس جيش لهام فنزلوا في مرج حليمة (١) فتركه من به من غسّان للمنذر الاسود ثم ان الحارث الغسّاني سار فنزل بالمرج (٢) ايضاً فامر اهل القرى التي في المرج ان يصنعوا الطعام لعسكره ففعلوا ذلك وحملوه في الجفان وتركوه في العسكر ودام القتال بين اللخميين والغسانيين اياماً وكانت الحرب سجالاً فلما رأى الحارث ذلك قعد في قصره ودعا ابنته هنداً (٣) او حليمة على ما سماها بعض المؤرخين فامرها فاتخذت طيباً كثيراً في الجفان وطيبت به اصحابه ثم نادى يافتيان غسّان من قتل ملك الحيرة زوّجته ابنتي فقال لبيد بن عمرو الغسّاني لابيه ياابت انا قاتل ملك الحيرة او مقتول دونه لامحالة ولا ارضى فرسي فاعطني فرسك الزيتية فاعطاه فرسه فلما زحف الناس واقتتلوا ساعة شدّ لبيد على الاسود فضربه ضربة فالقاه عن فرسه وانهزم اصحابه في كل وجه فاحتز رأسه واقبل به الى الحارث وهو على قصره ينظر اليهم فالقى الرأس بين يديه فقال له الحارث : شأنك بابنة عمك فقد زوجتكها فقال بل انصرف فاواسي اصحابي بنفسي فاذا انصرف الناس انصرفت فرجع فصادف اخا الاسود قد رجع الناس اليه وهو يقاتل وقد اشتدت نكايته فتقدم فقاتل وقتل ولم يقتل في هذه الحرب بعد تلك الهزيمة غيره وانهزمت لخم هزيمة ثانية وقتلوا في كل وجه ، وانصرفت غسّان باحسن ظفر ، وذكر ان الغبار في هذا اليوم اشتدّ وكثر حتى ستر الشمس وظهرت الكواكب المتباعدة عن مطالع الشمس لكثرة العساكر لان الاسود سار بعرب العراق اجمع وسار

---

(١) جاء في معجم البلدان قال العمراني موضع كانت فيه وقعة ومنه المثل « مايوم حليمة بسرّ » وهذا غلط انما حليمة اسم امرأة بنت الحارث الغسّاني نائب قيصر بدمشق وسمي حليمة بحليمة الغسّانية هذه (٢) سمى بعضهم منزل جيش المنذر المرج الصغير او الصفر ومنزل الغساسنة المرج الكبير (٣) سماها ابن الاثير هنداً وسماها غيره حليمة

الحرث بعرب الشام اجمع (١) وعرفت هذه الموقعة عند العرب بيوم حليمة ومن ذلك المثل « مايوم حليمة بسر »

وقيل غير هذا في سبب قتل المنذر وهو ان الحرث بن ابي شمّر جبلة بن الحرث الاعرج الغسّاني خطب الى المنذر بن المنذر اللخمي ابنته وقصد انقطاع الحروب بين لخم وغسّان فزوّجه المنذر ابنته هنداً وكانت لا تريد الرجال فصنعت بجلدها شبيهاً بالبرص وقالت لابيها اذا على هذه الحالة وتهديني لملك غسّان فندم على تزويجها فامسكها . ثم ان الحرث ارسل يطلبها فمنعها ابوها واعتل عليه ثم ان المنذر خرج غازياً فبعث الحرث بن ابي شمر جيشاً الى الحيرة فانتهبها واحرقها فانصرف المنذر من غزاته لما بلغه الخبر فسار بهم يريد غسّان وبلغ الخبر الحرث فجمع اصحابه وقومه فسار بهم فتوافقوا في عين اباغ وبعد حرب شعواء انجلت عن قتل ابن الحارث وقتل من عسكر لخم فروة بن مسعود الشيباني ثم عن قتل المنذر نفسه وغيرهم وأسر خلق كثير منهم من بني تميم ومن حنظلة مائة اسير وبينهم شاس بن عبدة فوفد اخوه علقمة بن عبدة الشاعر على الحارث يطلب اليه ان يطلق اخاه ومدحه بقصيدته المشهورة التي مطلعها : (٢)

طحابك قلب في الحسان طروب	بعيد الشباب عصر حان مشيب

ومنها :

فان تسألوني بالنساء فانني	بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب رأس المرء او قل ماله	فليس له من ودّهن نصيب
يُردن ثراء المال حيث علمنه	وشرخ الشباب عندهن عجيب
فدعها وسل الهم عنك بجسرة	كهمك فيها بالرادف خبيب

فاطلقه الحارث واطلق معه اسرى قومه كلهم

وهنا لابد من التنبيه الى ان روايات المؤرّخين اختلفت كثيراً في يوم حليمة وفي يوم عين اباغ فيجعل بعضهم قتل المنذر بن ماء السماء ابي المنذر بن المنذر الذي هو موضوع بحثنا في يوم حليمة ويقولون ان المنذر بن المنذر قتل

---

(١) ابن الاثير ١ : ٢٢٣—٢٢٤ (٢) شعراء النصرانية ٥٠٢

في يوم عين اباغ وفريق من يقول ضد ذلك ونحن تابعنا هذا الفريق في بحثنا هذا ويذهب فريق آخر الى ان اليومين واحد لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما وليس لدينا من الحجج ماتثبت به قولا وتنفي آخر الا ماقاله ابن الاثير ان المقتول هو المنذر بن ماء السماء لاشك فيه اما ابنه ففيه خلاف كثير والاصح انه لم يقتل ومن اثبت قتله اختلفوا في سببه (١)

سبق لنا في سياق البحث في تاريخ الملك قابوس (٢) الكلام عن رواية أبي الفرج الاصبهاني فاذا صح ظننا كان المنذر بن المنذر هذا ظالماً استبد بالحيريين وابتز اموالهم فانتقضوا عليه وارادوا خلعه الا ان زيدا بن حماد اقنعهم بان يبقي للمنذر اسم الملك فقط في الغزو والقتال ويتولى هو امر الحيرة ويظهر ان المنية وافت زيداً بعد قليل وكانت قد سكنت ثأرة اهل الحيرة فلم يقلقوا المنذر مرة ثانية في زمن ملكه القصير .

كانت امرأة المنذر الرابع سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من اهل فدك (٣) وروي ان امّ سلمى هذه كانت ابنة الرائعة قينة عمرو بن ثعلبة الكلبي اخي عدي بن جناب الكلبي فاثار عليهم ضرار بن عمرو الضبي فسبي يومئذ سلمى بنت وائل بن عطيه الصائغ فناشده ابن ثعلبة الكلبي وكان صديقه ان يرد مانهب فجعل يرد شيئاً فشيئاً حتى بقيت سلمى وكانت قد اعجبت ضراراً فقال عمرو ياضرار اتبع الفرس لجامها (٤) فذهب قوله مثلا وكان للمنذر امرأة اخرى اسمها مارية

---

(١) راجع عن يوم حليمة حمزة الاصفهاني ص ٧٠ والميداني مجمع الامثال ١ : ٢٣١ في مثل اعزّ من حليمة و ٢ : ١٥٠ في مثل مايوم حليمة بسر و ٢ : ٢٢٩ يوم حليمة و ٢٧٠ يوم اباغ ومعجم البلدان المادتين « حليمة واباغ وابن الاثير ١ : ٢٢٤ — ٢٢٥ » (٢) ص ١٩٣ ومابعدها (٣) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ايام .

(٤) الميداني ١ : ٨٩ وفي المثل « اتبع الفرس لجامها والناقة زمامها »

بنت الحرث بن جلهم من تيم الرباب وهي ام الاسود ابنه(١)

وكان للمنذر بن المنذر عشرة اولاد وقيل ثلاثة عشر ولداً يسمون الاشاهب لجمالهم ومنهم النعمان والاسود وهما اكبر اولاده . وكان قد دفع ابنه النعمان المذكور الى عدي بن زيد بن حماد او حماد بن ايوب المدنائي وكان زيد مترجماً في ايوان كسرى وذلك ليربيه من الرضاعة فما فوقها فرباه وعلمه الكتابة والعلم والادب ودفع ابنه الاسود الى عدي بن مرينا من اشراف الحيرة اللخميين وكان ايضاً من المقدمين عند كسرى (٢)

ولما احتضر المنذر وخلف اولاده اوصى بهم الى اياس بن قبيصة الطائي وملكه على الحيرة الى ان يرى كسرى وهو هرمز الرابع ابن انو شروان العادل رأيه فمكث مملكاً عليها اشهراً (٣) . مما يدل دلالة والى ان نفوذ المناذرة كان قد تقلص وساد التضاغن والانقسام بين اعضاء البيت المالك . وان الاكاسرة تسيطروا على ملك الحيرة سيطرة فعلية وتدخلوا في صميم شؤون البيت المالك وشددوا الخناق عليهم . وضعضعوا نفوذهم مما سنرى اثره بعد هذا .



(١) الاغاني ٢ : ٢١

(٢) الاغاني ٢ : ٢١

(٣) كذلك

النعمان بن المنذر

وهو النعمان الثالث ابو قابوس (١)

٥٨٥—٦١٣ م

يستنتج من رواية ابي الفرج الاصبهاني (٢) ان اياس بن قبيصة تولّى شؤون الحيرة بضعة اشهر بعد موت المنذر الرابع وكان يطلب كسرى هرمزد الرابع في هذه المطاوي رجلا يملكه عليهم فلم يجد احداً يرضاه فضجر وقال: لأبعثنّ الى الحيرة اثنى عشر الفاً من الاساورة ولأملكنّ عليهم رجلاً من الفرس ولآمرنهم ان ينزلوا على العرب في دورهم ويملكوا عليهم اموالهم ونساءهم وكان عدي بن زيد واقفاً بين يديه فاقبل عليه وقال ويحك ياعدي من بقي من آل المنذر وهل فيهم احد فيه خير (٣) فقال نعم ايها الملك السعيد انّ في ولد المنذر بقية وفيهم كلهم خير فقال ابعث اليهم واحضرهم فقدموا على كسرى ونزلوا على عدي بن زيد . وسعى عدي ان يرشح للملك ربيبه النعمان واجتهد ابن مرينا ان يكون الاسود ملكاً .

فقال عدي بن زيد للنعمان لست املك غيرك فلا يوحشنّك ماافضّل به اخوتك عليك من الكرامة . فاني اغالطهم بذلك ، ثم كان يفضل اخوته جميعاً عليه في النزل والاكرام والملازمة ويريهم تنقصاً للنعمان وانه غير طامع في اتمام امر على يده وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول اذا ادخلتكم على الملك فالبسوا افخر ثيابكم واجملها واذا دعاكم بالطعام لتأكلوا فتباطوءا في الاكل واصغروا اللقم ونزروا ماتأكلون ، فاذا قال لكم اتكفونني العرب فقولوا نعم فاذا قال لكم ان شذّ احدكم عن الطاعة وافسد اتكفونيه فقولوا لا ، ان بعضنا لايقدر على بعض ليهابكم ولا يطمع في تفرقكم ويعلم ان للعرب منعة وبأساً فقبلوا منه ،

(١) سماه كوسن دي برسفال النعمان الخامس وسماه الاب شيخو ومن نقل عنه النعمان الرابع (٢) الاغاني ٢ : ٢١ (٣) في هذه الرواية مسحة الوضع والا كيف لايعرف كسرى اولاد الملوك المناذرة والحيرة على قاب قوسين من المدائن

وخلا بالنعمان فقال له البس ثياب السفر وادخل متقلداً بسيفك واذا جلست للاكل فعظم اللقم واسرع المضغ والبلع وزد في الاكل وتجوّع قبل ذلك . فان كسرى يعجبه كثرة الاكل من العرب خاصة ويرى انه لا خير في العربي اذا لا يكون اكولاً واذا سألك هل تكفيني العرب فقل نعم . فاذا قال لك فمن باخوتك فقل له ان عجزت عنهم فاني عن غيرهم لاعجز .

وخلا ابن مرينا بالاسود فسأله عما اوصاه به عدي فاخبره فقال غشك والصليب والمعمودية وما نصحك. ولئن اطعتني لتخالفن كل ما امرك به ولكن الاسود لم يوال ابن مرينا . ولما يئس ابن مرينا من قبوله منه قال سنعلم .

لما دخل اولاد المنذر على كسرى هرمز وخاطبهم استحظّ النعمان ورغب في اجوبته فملّكه وخلع عليه والبسه تاجاً قيمته ستون الف درهم فيه اللؤلؤ والذهب (١)

شعر عدي بن زيد بامتعاض ابن مرينا لاخفاق الاسود في الملك فاعدّ طعاماً في بيعة وارسل الى ابن مرينا ان ائتني بمن احببت فان لي حاجة فاتى في ناس فتغدوا في البيعة . فقال عدي بن زيد لعدي بن مرينا : ياعدي ان احق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك واني عرفت ان صاحبك الاسود بن المنذر كان احب اليك ان يملك ، من صاحبي النعمان فلا تلمني على شيء كنت مثله . ثم حلف عدي بن زيد في البيعة ان يصافي ابن مرينا وان لا يهجوه ولا يؤذيه . وحلف ابن مرينا ان لا يزال يهجوه ابداً ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمان حتى نزل منازله الحيرة .

وقال عدي بن مرينا للاسود اذا لم تظفر فلا تعجز ان تطلب مثارك من هذا المعدي الذي عمل بك ما عمل فقد كنت اخبرك ان معداً لا ينام مكرها وامرتك ان تعصيه فخالفتني . قال : فما تريد . قال : اريد ان لا تاتيك فائدة من مالك وارضك الا عرضتها علي ففعل . وكان ابن مرينا كثير المال والضيعة ولم يك في الارض يوم ياتي الا على باب النعمان هدية من ابن مرينا . فصار من اكرم

---

(١) الطبري ٢ : ١٤٦—١٤٧

الناس عليه وكان لايقضي في ملكه شيئاً الا بامر ابن مرينا . وكان اذا ذكر عدي بن زيد عنده احسن الثناء عليه وذكر فضله وقال انه لايصلح المعدي الا ان يكون فيه مكر وخديعة

فلما رأى من يطيق بالنعمان ء منزلةابن مرينا عنده لزموه وتبعوه وهكذا اخذ عهد الطريق لنكبة زيد بن عدي كما نرى (١)

وكان عدي بن زيد يتقدم هو ايضاً من النعمان لا بل خطب اليه ابنته هنداً وامها مارية الكندية فزوّجه اياها . وكان قد رآها عدي في البيعة تتقرب في خميس الفصح (٢) وهو بعد السعانين بثلاثة ايام (٣) وكانت من اجمل نساء اهلها وزمانها فاحبها (٤) وفي رواية كانت معه حتى قتله النعمان وقال ابن الكلبي انها ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت(٥)

لندع الآن المنافسة بين ابن مرينا وبين ابن عدي حتى نعود اليها بعد هذا ونتكلم عن حروب النعمان وغزواته . فقد كان للنعمان خمس كتائب وهي الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب والدوسر وهذه كانت اخشن كتائبه(٦) وقام النعمان بن المنذر بحروب وغزوات نذكر ماوصلنا من اخبارها : ومنها موقعة (يوم السلان) ولم يشترك فيها النعمان بنفسه بل كانت بين بني ضبة (٧) وبني عامر بن صعصعة . وسببها ان النعمان كان يجهز كل عام لطيمة وهي التجارة لتباع

(١) الاغاني ٢٠ : ٢٢ (٢) علّق الشيخ الشنقيطي على هذا القول في طبعة الاغاني «بان عيد الفصح هو للنصارى اسبوع بعد السعانين نقلا عن القاموس» وهم الشنقيطي فان رواية الاغاني صحيحة فخميس الفصح المتقرب يقع بعد احد السعانين مباشرة اي بعد ثلاثة ايام . (٣) ذكر ماري في تاريخه ص ٤٦ طبعة رومة ان اول مرة احتفل بعيد السعانين في المدائن ونصيبين في ايام البطريرك باباي المتوفي سنة ٥٠٣ (٤) الاغاني ٢ : ٣٠

(٥) راجع ص ٣٤و٤٧ و ص ٩٨ من كتابنا هذا

(٦) مجمع الامثال ٧٨١ ويقول المثل العربي « ابطش من دوسر »

(٧) بنو ضبة بن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر وكانت ديارهم

بعكاظ كما مرّ بنا (١) فعرضت بنو عامر لبعض ماجهز فاخذوه فغضب النعمان وبعث الى اخيه لامه وهو وبرة بن رومانوس الكلبي وبعث الى صنائعه ووضائعه والصنائع من كان يصطنعه من العرب ليغز به . والوضائع هم الذين كانوا شبه المشايخ وارسل الى بني ضبّة بن اد وغيرهم من الرباب وتميم فجمعهم فاجابوه

فاتاه ضرار بن عمرو الضبي في تسعة من بنيه كلهم فوارس ومعه حبيش بن دلف . فاجتمعوا في جيش عظيم فجهز النعمان معهم عيراً وامرهم بتسييرها فخرجوا وكتموا امرهم وقالوا اخرجنا لئلا يعرض احد للطيمة الملك . فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم واخبروا بني عامر فحذروا وتهيئوا للحرب وعاد عامر بن مالك ملاعب الاسنة واقبل الجيش فالتقوا بالسلان فاقتتلوا اقتتالا شديداً اسر فيه وبرة بن رومانوس اخو النعمان واسر ايضاً حبيش بن دلف وانهزم جيش النعمان وافتدي حبيش بار بعمائة بعير وافتدي وبرة بالف بعير وفرس (٢)

وما اشبه هذه الموقعة وحكايتها واسبابها « بيوم الفجار الآخر » (٣) وكان هذا اليوم بين قريش وكنانة كلها وهوازن . وسببها ان البرّاض خليع من بني كنانة قتل عروة الرحال سيد هوازن وذلك ان النعمان بن المنذر عهد بخفارة عير اللطيمة التي كان يرسلها الى عكاظ كل سنة الى عروة ورفض خفارة البرّاض . فتبع البرّاض عروة وقتله واستاق اللطيمة الى خيبر واتبعه المساور بن مالك الغطفاني واسد بن خيثم الغنوي حتى دخلا اهل خيبر . فاحتال عليهما البرّاض وقتلهما الواحد تلو الآخر . ثم علمت قريش خبر البرّاض بسوق العكاظ ووقعت بعد ذلك مواقع كانت الغلبة فيها لقريش على كنانة (٤)

بجوار بني غنم بالنواحي الشمالية التهامية من نجد ثم انتقلوا في الاسلام الى العراق بالجزيرة الفراتية وبها قتلوا المتنبي الشاعر .

(١) في صحيفة ٩٢ من كتاب الحيرة هذا (٢) الكامل لابن الاثير ٢٦٨—٢٦٩ ومعجم البلدان مادة « سلان »

(٣) العقد الفريد لابن عبدربه ٣ : ٣٦٩ (٤) الاغاني ١٩ : ٧٥ وما بعدها

ومن ايام العرب التي للنعمان بن المنذر ذكر فيها « يوم اقرن » وهو لبني عبس على بني تميم وبخاصة بني مالك بن حنظلة وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو ابن عدي وابنه شريح واخوه ربعي وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان ابن المنذر فسبى سبياً من عبس وغنم مالاً وابتنى بجارية من السبي فادركته عبس فكان من امره ما كان (١)

ومن الايام التي نسبها بعضهم الى النعمان بن المنذر « يوم الطخفة » (٢) وهو لبني يربوع على عساكر النعمان . وكان سبب هذه الحرب ان الردافة (٣) كانت لبني يربوع من تميم يتوارثونها كابراً عن كابر . فلما كان ايام النعمان وقيل ايام ابنه المنذر سأل حاجب بن زرارة الدارمي التميمي النعمان ان يجعلها للحرث ابن بيبة بن قرط بن سفيان بن مجاشع الدارمي التميمي فقال النعمان لبني يربوع في هذا وطلب منهم ان يجيبوا الى ذلك فامتنعوا وكان منزلهم اسفل الطخفة فحيث اقنعوا من ذلك بعث اليهم النعمان قابوس ابنه وحساناً اخاه . فكان قابوس على الناس وكان حسان على المقدمة وبعث معهم الصنائع والوضائع فالتقوا بطخفة فانهزم قابوس ومن معه وضرب طارق بن عميرة فرس قابوس فعقره واخذه ليجز ناصيته . فقال قابوس ان الملوك لاتجز نواصيها فجزّه وارسله الى ابيه . واما حسان بن المنذر فاسَره بشر بن عمرو الرياحي ثم منّ عليه وارسله فعاد المنهزمون

---

(١) العمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٣ (٢) نسبه الى النعمان كل من ابن الاثير وابي الفرج الاصبهاني وابن عبد ربه ونسبه الى قابوس بن المنذر بن ماء السماء ياقوت والحموي والميداني ونسبه ابن رشيق الى المنذر بن ماء السماء نفسه

(٣) الردافة « هي بمنزلة الوزارة في الاسلام وكان الرديف اذا ركب الملك ركب وراءه واذا جلس جلس عن يمينه واذا غزا كان المرباع واذا شرب سقي بكاسه وبعده اذا غاب خلفه وقال لبيد من قصيدة :

وشهدت انجية الافاقة عالياً كعبي وارداف الملوك شهودي

راجع الاغاني ١٢ : ١١ وثمار القلوب ١٤٤

الى النعمان ولما وقف على الخبر ارجع الرفادة لبني يربوع (١)

وكان للنعمان فرس تسمى اليحموم واخرى تسمى الزفوف وكان له فحول ابل اشتهرت بين العرب ومنها عصفور وداغر وشاعر وذو الكابتين (٢) وابله العصافيرية كانت مطمع الغزاة والغواة

قال ابو زبيد الطائي (٣) لقد اتيت النعمان بن المنذر وجالسته فقد كان ابرش قصيراً . وقد رأيت ملوك حمير في ملكها ورأيت ملوك غسّان في ملكها فما رأيت احداً قط كان اشدّ عزّاً منه وكان ظهر الكوفة ينبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب اليه فقيل شقائق النعمان فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير وكأنه باز فقام رجل من الناس فقال له ابيت اللعن اعطني فاني محتاج فتأمله طويلاً ثم امر به فادني حتى قعد بين يديه ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأ بها في وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضبت لحيته وصدره بالدم ثم امر به فنحّي ومكثنا ملياً ثم نهض آخر فقال له ابيت اللعن اعطني فتأمله ساعة ثم قال اعطوه الف درهم فاخذها وانطلق ثم التفت عن يمينه ويساره وخلفه فقال ماقولكم في رجل ازرق احمر يذبح على هذه الاكمة أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي فقلنا له انت ابيت اللعن اعلى برأيك عيناً فدعا برجل على هذه الصفة فامر به فذبح ثم قال لا تسألوني عما صنعت فقلنا ومن يسألك ابيت اللعن عن امرك وما تصنع فقال امّا الاول فاني خرجت مع ابي نتصيّد فمررت به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من شراب او لبن فتناولته لاشرب منه فثار اليّ فهراق الاناء فملا وجهي وصدري فاعطيت الله عهداً لئن امكنني منه لأخضبن لحيته وصدره من دم وجهه، وامّا الآخر فكانت له عندي يد كافأته بها ولم اكن اثبته فتأملته حتى عرفته، واما الذي ذبحته فان عيناً لي بالشام

---

(١) ابن الاثير ١ : ٢٧٢ وابن عبد ربه ٣ : ٣٥٩ (٢) العمدة : ٢ : ١٨١

(٣) هو حرملة بن المنذر من كهلان وكان نصرانياً وعلى دينه مات وهو ممن ادرك الجاهلية والاسلام فعد في المخضرمين وكان من زوار الملوك وكان عثمان بن عفان (رض) يقربه على ذلك ويدني مجلسه (الاغاني ١١ : ٢٣)

كتب الي ان جبلة بن الايهم قد بعث اليك برجل صفته كذا وكذا ليغتالك فطلبته اياماً فلم اقدر عليه حتى كان اليوم (١)

وازدهرت العلوم وا ينعت الآداب بالحيرة في ايامه وكان مولعاً بالشعر والشعراء فنسخوا له اشعار العرب ودوّنوها في الكراريس فجعلها في خزائن قصره . ومن الشعراء الذين نبغوا في ايامه نذكر النابغة الذبياني الذي كان نديمه وغضب عليه بسبب قصيدته في امرأته المتجرّدة ثم عفا عنه . والمنخّل اليشكري والمثقب العبدي والاسود بن يعفر وحاتم الطائي وحسان بن ثابت وعدي بن زيد ولبيد بن ربيعة وغيرهم فغيرهم مما يطول بنا ذكرهم (٢)

قد نجحت تدابير ابن مرينا وحبائله التي مدها لعدي بن زيد كما رأينا فويق هذا ، فانه انتهى به الامر الى حمل بعض الناس والمقرّبين من النعمان ان يبلغوه بان عدي بن زيد يقول بان النعمان عامله وهو الملك لابل زوّروا كتاباً عن لسانه الى قهرمانه ثم دسّوا اليه حتى اخذوا الكتاب منه واتوا به النعمان فقرأه واشتد غضبه فارسل الى عدي بن زيد : عزمت عليك الا زرتني فاني قد اشتقت الى رؤيتك وعدي يومئذ عند كسرى فاستأذن كسرى فاذن له فلما اتاه لم ينظر اليه حتى حبسه في مجلس لايدخل عليه فيه احد فجعل عدي يقول الشعر وهو في المجلس واخذ ينظم القصيدة تلو الاخرى في استعطاف النعمان وليس من مجيب .

وقيل غير ذلك في سبب حبس عدي بن زيد وهو ان عدياً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان وسأله ان يركب اليه ويتغدّى عنده هو واصحابه فركب النعمان اليه فاعترضه عدي بن مرينا فاحتبسه حتى تغدّى عنده هو واصحابه وشربوا . ثم ركب الى عدي فرأى في وجه عدي الكراهة فقام وركب الى منزله وارسل بعد ذلك النعمان ذات يوم الى عدي بن زيد فابى ان يأتيه ثم اعاد رسوله فأبى :

---

(١) الاغاني ١١ : ٢٥ (٢) تكلمنا مطولا عن هؤلاء الشعراء في الفصل الذي عقدناه في العلم في الحيرة في كتابنا هذا من ص ٥٨ـ٧٦

وكان النعمان قد شرب فغضب وامر به فسحب من منزله حتى انتهى اليه فحبسه في الصنين ولج في حبسه وعدي يرسل اليه بالشعر

وخرج النعمان الى البحرين فاقبل رجل من غسّان (١) فاصاب في الحيرة مااحب وحرقها فقال عدي بن زيد .

سما صقر فاشعل جانبيها	والهاك المروج والعزيب
وثبن لدى المثوبة ملجيات	وصبحن العباد وهن شيب
الا تلك الغنيمـة لا افال	ترجيهـا مسومـة وتيب
ترجيها وقـد صابت بقر	كما ترجو اصاغرها عتيب

ولما طال سجن عدي كتب الى اخيه ابي قصيدة وكان ابي عند كسرى فكلّمه في الامر فكتب كسرى الى النعمان يأمره باطلاقه وبعث معه رجلاوكتب خليفة النعمان اليه انه قد كتب اليك في امره فاتى النعمان اعـداء عـدي من بني نفيلة وهم من غسّان فقالوا له اقتله الساعة عليهم . وقد كان اخو عدي تقدم اليه وامر اليه ان يبدأ بعدي فدخل عليه وهو محبوس بصنين فقال له ادخل اليـه فانظر مايأمرك به فامتثله فدخل على عدي وانطلق من كان هناك من اعداء عدي وبلغوا النعمان ان رسول كسرى دخل اليه وهو ذاهب به وان فعل لم يستبق منا احداً ، انت ولا غيرك . فبعث اليه النعمان اعـداءه فغموه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول الى النعمان فأوصل الكتاب اليه فقال نعم وكرامة وامر له باربعة آلاف مثقال ذهباً وجارية حسناء،وقال له اذا اصبحت فادخل انت بنفسك فاخرجه فلما اصبح ركب فدخل السجن فاعلمه الحرس انه قد مات منذ ايام لم نجترىء على اخبار الملك خوفاً منه فرجع الى النعمان وقال له اني كنت امس دخلت على عدي وهو حي وجئت اليوم فجحدني السجان وبهتني وذكر انه قد مات منذ ايام .

---

(١) قيل انه جبلة بن النعمان الجفني راجع الاغاني ٢ : ٢٥ وقيل انه جفنـة الاصغر ابن المنذر بن الحارث بن مارية المحرق وسمي المحرق لانه احرق الحيرة (حمزة الاصفهاني ٧٨)

فاشيره النعمان ثم لاطفه ورشاه واكرمه ورغب اليه ان ان يخبر كسرى ان عدياً مات قبل وصوله بايام . ففعل وانذر هكذا خبر عدي ولكن النعمان ندم على فعلته هذه وخشي كسرى .

مرّ زمن على هذه الجناية والنعمان بين عاملين أليمين، عامل تبكيت الضمير وعامل الخوف من كسرى . حتى خرج النعمان يوماً للصيد فلقي ابناً لعدي اسمه زيد ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه واعطاه ووصله واعتذر اليه من امر ابيه وجهزه ثم كتب الى كسرى ان عدياً كان ممن اعين به الملك على نصحه ولبه فاصابه ما لا بد منه وانقضى اجله ولم يصب به احد اشد من مصيبتي واما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً الا جعل الله له منه خلفاً وقد بلغ ابن له ليس بدونه رايته يصلح لخدمة الملك فسرّحته اليه فان رأى الملك ان يجعله مكان ابيه فليفعل ويصرف عمه عن ذلك الى عمل آخر وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك الى ملوك العرب في امورها وفي خواص امور الملك وبقي سنوات على هذه الحالة حتى كسب ثقة كسرى وكان يظهر الاعجاب بالنعمان ويطوي قلبه على حب الانتقام منه لابيه حتى اراد يوماً كسرى ابرويز بن هرمز ان يخطب نساء لرجال الاسرة المالكة وكانت عادتهم ان يبعثوا بصفة النساء المدونة عندهم الى البلاد غير انهم لم يكونوا يتناولون ارض العرب بشيء من ذلك . فدخل زيد على كسرى وقال له : رأيت الملك كتب في نسوة يطلبن له فقرأت الصفة وقد كنت بآل المنذر عالماً وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمه واهله اكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة قال فتكتب فيهن . قال ايها الملك ان شرّ شيء في العرب وفي النعمان انهم يتكرمون زعموا في انفسهم عن العجم فانا اكره ان يغيبهن وان قدمت انا عليه لم يقدر ان يغيبهن فابعثني وابعث معي رجلاً من حرسك يفقه العربية فبعث معه رجلاً فخرج به زيد فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة فلما دخل على النعمان اعظم الملك فقال انه قد احتاج الى نساء لاهله وولده واراد كرامتك فبعث اليك فقال وما هؤلاء النسوة فقال هذه صفتهن قد جئنا بها وكانت الصفة

ان المنذر الاكبر (١) اهدى الى انوشروان جارية كان اصابها اذ اغار على الحارث الاكبر الغساني ابن ابي شمر فكتب الى انوشروان يصفها له (٢) وما زالوا يتوارثون تلك الصفة وقرأها عليه زيد. فشقّت على النعمان وقال لزيد ، والرسول يسمع : اما في مها السواد وعين فارس مايبلغ به كسرى حاجته فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية « كاوان » اي البقر فامسك الرسول وقال زيد للنعمان انما اراد الملك كرامتك لو علم ان هذا يشق عليك لم يكتب اليك به .

انزل النعمان الرسولين عنده يومين ثم كتب الى كسرى : ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عند الملك فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قدم معه : اصدق الملك عما سمعت منه فاني سأحدثه بحديثك ولا اخالفك فيه . ولما دخلا الى الملك رويا له بحديث النعمان واوغر زيد صدره وعرق الغضب في وجهه ، فقال كسرى برويز : ربّ عبدٍ قد اراد ماهو اشد من هذا فيصير امره الى التباب ، وشاع هذا الكلام فبلغ النعمان وسكت كسرى عن ذلك اشهراً وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى اتاه كتابه ان اقبل فان للملك اليك حاجة فانطلق حين اتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي عليه ، ثم لحق بجبل طيء وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لام عنده وقد ولدت له رجلاً وامرأة وكانت عنده زينب ابنة اوس بن حارثة فاراد النعمان طيئاً (٣) على ان يدخلوه ويمنعوه

---

(١) يلاحظ هنا ان المنذر الاكبر لم يكن معاصراً لانوشروان بل كان حكمه من ٤٣١ — ٤٧٣ وكان في تلك المطاوي بهرام جور ثم يزدجرد الثاني والذي كان معاصراً لانوشروان هو المنذر الثالث، وكثيراً مانلاقي مثل هذا الاضطراب في تدوين اخبار ملوك الحيرة كما بيناه اكثر من مرة في هذا الكتاب

(٢) راجع وصف المرأة في الاغاني ٢ : ٢٨ وهي قطعة تعد انموذجاً من الادب العربي في الوصف وتدل مسحتها انها ملفقة لما فيها من الاسهاب والتفنن

(٣) جاء في كتاب الفخري لابن الطقطقي ص ٢٤ كان النعمان بن المنذر ملك

فابوا ذلك عليه وقالوا لولا صهرك قاتلناك فانه لاحاجة لنا في معاداة كسرى فاقبل وليس احد من الناس يقبله غير ان بني رواحة بن سعد من بني عبس قالوا له ان شئت قاتلنا معك لمنة كانت له عندهم . فقال لااحب ان اهلككم فانه لاطاقة لكم بكسرى ، فاقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرًّا فلقي هانئ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن ابي ربيعة وكان سيداً منيعاً وعلم ان هانئاً مانعه مما يمنع منه نفسه ، فنصحه هانئ ان يذهب الى كسرى ويستعطفه فاما يرجع ملكاً او يموت قتيلا خير من ان يتلاعب به صعاليك العرب .

توجه النعمان الى كسرى مع هدايا فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال انجُ نُعيمُ ، فقال انت يازيد فعلت هذا . امّا والله لئن انفلتُ لأفعلن بك مافعلت بابيك ، فقال له زيد : امض نعيم فقدوالله وضعت لك عنده آخية لايقطعها المهر الارن .

لما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيّده وبعث به الى خانقين فلم يزل في السجن حتى جاء الطاعون فمات فيه . وقال حماد الراوية والكوفيون : بل مات بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبي : القاه تحت ارجل الفيلة فوطئته (١)

وقد قيل في سبب قتل النعمان غير هذا فقد روى الدينوري (٢) ان شيرويه بن ابرويز كتب الى والده كتاباً يبحث فيه عن مساوىء ايام ملكه وما جاء فيه ماياتي :

« ومنها قتلك النعمان بن المنذر وصرفك ملك ارضه عن ولده واهل بيته الى غيرهم يعني اياس بن قبيصة الطائي فلم تحفظ فيه ما كان يحفظه اباؤك من

الحيرة نائباً لكسرى في الحرب وبين الحيرة والمدائن التي كانت سرير الملك للاكاسرة فراسخ معدودة والنعمان في كل ايامه قد عصا على كسرى واذا حضر مجلسه تبسّط وتجرأ على مجاوبته وكانت متى اراد خلع طاعته دخل البرية وامن شره (اه) (١) الاغاني ٢ · ٧ والطبري ٢ : ١٥٠ — ١٥٢

(٢) الاخبار الطوال ص ١٠٧ و ١٠٩

حضانته بهرام جور جدك ومعونته بعد ان خرج الملك عنه حتى رده عليه »

فاجابه والده على هذه الفقرة بما يأتي :

« واما ما زعمت من قتلي النعمان بن المنذر وازالتي الملك عن آل عمرو بن عدي الى اياس بن قبيصة فان النعمان واهل بيته واطوءا العرب واعلموهم توكفهم خروج الملك عنا اليهم وقد كانت وقعت اليهم في ذلك كتب فقتلته ووليت الامر اعرابياً لا يعقل من ذلك شيئاً »

اننا لا نستبعد ما رواه الدينوري في سبب قتل النعمان من مواطئته العرب لازالة الملك من الفرس فان عرب الحيرة كانوا ممتعضين من الفرس يميلون الى بني قومهم العرب . وان عمال الفرس كانوا يضطرون الى مغادرة مساكن العرب او يحتمون في القلاع والصياصي وذلك قبل الفتح الاسلامي ويذهب المستشرق نو (١) الى ابعد من ذلك ويقول ان عرب الحيرة ساعدوا المسلمين في فتح العراق لانهم كانوا خصوم الفرس منذ بطشهم بالنعمان وان ما يرويه المؤلفون العرب عن فتح الحيرة ومقاومة اهلها لا صحة له وانما اخترعها الرواة . وقال الاعشى في موت النعمان :

فذاك وما انجى من الموت ربه ... بساباط حتى مات وهو محزوق (٢)

وقال لبيد (٣)

لعمرك ما النعمان شرب وقينة ... ومختبطات كالسعالي اراامل

له الملك في ضاحي معد واسلمت ... اليه العباد كلها ما يحاول

فيوماً عناة من الحديد يكفهم ... ويوماً جياد ملجمات قوافل

بذي حسم (٣) قد عريت وزينا ... دمات فيالج رهوها والحافل

(١) F. Nau : Les Arabes Chrétiens De Mesopotamie et de Syrie Du VII au VIII Siècle : 45

(٢) هذه رواية الاغاني والطبري وروى صاحب شعراء النصرانية ص ٣٨٣ « محزوق » وكذلك ذكر ابن قتيبة في ادب الكاتب ص ٢٦٥ من هامش المثل السائر وقال ابن قتيبة حزق هو بالنبطية حزوقا محبوس »

(٣) معجم البلدان مادة « حسم »

وقال هانيء بن مسعود يرثي النعمان ويذكر قتل كسرى اياه (١)

ان ذا التاج لا ابالك اضحى ... وذرى بيته نحور الفيول

ان كسرى عدا على الملك النعـ ... ـمان حتى سقاه أم البليل

قد عمرنا وقد رأينا لدى الحيـ ... ـرة في السيلحين خير قتيل

وقد رثاه غيرهم من شعراء العرب (٢)

وكان النعمان قبل ذهابه الى كسرى استودع هانيء بن مسعود بن عامر ابن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن شيبان ماله واهله وولده والف شكة ويقال اربعة آلاف شكة ووضع ودائع عند احياء من العرب. وقال ابن الاعرابي الشكة السلاح كله (٣)، وقال ابن عبد ربه لم يكن هانيء بن مسعود المستودع حلقة النعمان وانما هو ابنه واسمه هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود (٤)

دُفن النعمان في دير ابنته هند الصغرى (٥) وقد نسب اليه بناء مدينة النعمانية ونظنه وهماً (٦) ودير (٧) اللج وكان نصرانياً وتنصر عن يد عدي بن زيد مربيه (٨)

قبل ان نُنهي تاريخ النعمان بن المنذر لابدّ من القول بانه اعان بهرام جوبان القائد الثائر على كسرى برويز واليه ينسب بعضهم قناطر النعمان الاّ ان ابن الكلبي ينسبها الى النعمان بن مقرّن (٩)

وجاء في رواية (١٠) ان في صدر ملك كسرى برويز بعد كسرة بهرام

---

(١) معجم البلدان مادة « سيلحون » (٢) راجع فصل العلم في الحيرة من كتابنا هذا ص ٦٧ و ٦٨ و ٧٤ و ٧٥

(٣) الاغاني ٢٠ : ١٣٢ (٤) العقد الفريد ٣ : ٣٧٤ والطبري ٢ : ١٥٢

(٥) راجع عن دير هند الصغرى وعن صاحبته ص ٤٦

(٦) و (٧) و (٨) اسهبنا في هذه المواضيع في مظان اخرى من كتابنا هذا

(٩) راجع معجم البلدان مادة « قنطرة النعمان »

(١٠) شير: كلدو وآثور ٢ : ٢٠٧

جر بين ثار بسطام اخو بندوي وتوجه الى المدائن برأس جيش من الترك والديلم وذلك سنة ٥٩٥ فحمل عليه كسرى ولولا الحسن بن النعمان ملك الحيرة لقتل كسرى .

كان النعمان قد جعل لبني لام ربع الطريق الذي بينهم وبين الحيرة طعمة لهم لانه اصهاره (١)

وذكر صاحب الاكليل (٢) ان عمر بن الخطاب جاء في شبابه وقبل الاسلام الى النعمان بن المنذر ابي قابوس مع رفقة له ولما صاروا الى العذيب حبسوهم وكتبوا الى النعمان يخبرهم ونسبهم فأجابهم ان يدخلوهم فبعثوا معهم فرساناً حتى انتهوا الى الحيرة فاكرم الملك مثواهم واجزل عليهم عطاياه .

نسبت الى النعمان بن المنذر الاقوال الآتية : (٣)

الملك حلو الطعم مر التكاليف وكان يقول من خان حان . ولما وقع في حبس ابرويز واشرف على التلف قال : من له يدان بغوائل الزمان . ومن كلامه : الملك عقيم اي لا ارحام بين الملوك.



(١) ص٦٧ من هذا الكتاب (٢) الاكليل الجزء الثامن ص ٣٥ (٣) خمس رسائل الايجاز والاعجاز للامام ابي نصر الثعالبي النيسابوري ص١٥

اياس بن قبيصة الطائي

٦٠٧—٦١٧م(١)

بعد قتل النعمان بن المنذر هرب اولاده من الحيرة وظعنوا الى بلاد اخرى حذراً من بطش كسرى ابرويز ، فولى كسرى على الحيرة إياس بن قبيصة الطائي ، ولم تكن هذه ولايته الاولى عليها ، بل رأيناه وقد عهدت اليه قبل ذلك في فترة من ملوكها المناذرة بين موت المنذر وحكم ابنه النعمان ابي قابوس(٢) واياس هذا ، هو ابن قبيصة بن ابي عفراء بن النعمان بن حية بن سعبة بن الحارث بن الحويرث بن ربيعة بن مالك بن سفر بن هنيء بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وهو ابن اخي حنظلة بن ابي عفراء الذي بسببه تنصر المنذر صاحب الغريين(٥)

وكان إياس من اشراف طيء وفصحائها المشهورين ، وله منزلة عظيمة عند كسرى ابرويز لما سبق له من الخدمات الجليلة والبلاء الحسن في الدفاع عنه: اولها في موقعة بهرام جوبين ، إذ اهدى كسرى فرساً وجزوراً لما مر عليه (٤) وذكر سايكس (٥) ان كسرى ابرويز هرب ، وكان دليله رئيساً عربياً اسمه إياس حتى بلغ قرقيسيا فالتجأ الى الروم ، وذكر ابن الاثير (٦) ان إياساً اهدى هدية الى

---

(١) جعل يوستال حكم إياس من ٦٠٥— ٦١٤ وتابعه في ذلك بعض المعاصرين وجعله غيرهم من ٦١٣—٦١٨ ، وقال حمزة الاصفهاني : لسنة وستة اشهر من ملك إياس بعث النبي — صلى الله عليه وسلم — وذلك لست عشرة سنة مضت من ملك ابرويز ، ومحمد بن حبيب يقول : مضت لعشرين سنة من ملكه فاخترنا نحن هذا التاريخ الوسط ونظنه صحيحاً او اقرب الى الصحة

(٢) الاغاني ٢ : ٢١ (٣)شعراء النصرانية ١٣٥ (٤)الطبري ٢ : ١٥٢

وجاء في الشاهنامة ٢ : ٢٠٥ من الترجمة العربية : قيس بن حارث بدلا من إياس ابن قبيصة .

(٥) الكامل ١ : ١٩٩

كسرى لما اجتاز به سائراً الى ملك الروم ، وذكر ياقوت (١) ان الروم تجاوزوا تخوم بلاد فارس في حرب بين هاتين الدولتين ، فبعث كسرى إياساً لقتالهم بـ « ساتيدما » وهو جبل بين ميافارقين وسعرت بديار بكر (آمد) فادركهم اياس بمكان يعرف بدرب الكلاب ، سمي بذلك لان قيصر انهزم من جيش كسرى بحيلة عملها عليه ، فاتبعه إياس فادركهم بساتيدما مرعوبين مغلوبين من غير قتال فقتلوا قتل الكلاب ، ونجا قيصر في خواص من اصحابه ، فعاد كسرى ظافراً وقدم كسرى إياساً ، وكانت هذه الحرب بعد موت الانبراطور موريقا بين سنة ٦٠٣ و ٦٠٧ (٢) ، ومكافأة لهذه الاعمال اقام كسرى أبرويز إياساً عاملاً على عين التمر وما والاها الى الحيرة واطعمه ثلاثين قرية على شاطىء الفرات (٣) ولم تكن منزلة اياس عند كسرى فقط كبيرة بل في مملكة المناذرة ايضاً ، وكانت له الكلمة الراجحة في قصرة وانتصر لحاتم الطائي عند النعمان بن المنذر (٤)

ومع ثقة كسرى أبرويز باياس فانه لم يوله وحده على الحيرة بعد قتل النعمان بن المنذر ، بل جعل الى جانبه رجلاً فارسياً سماه المؤرخون الهمرجان (٥) او البحرجان (٦) او النخرغان (٧) ، او النخرجان ومهما كان الامر فقد ارتكب الفرس شططاً بتفويض ولاية اللخميين على الحيرة بعد النعمان (٨)

(١) معجم البلدان : المادتان « ساتيدما » و « درب الكلاب » ، راجع ايضاً شعراء النصرانية ١٣٥ (٢) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١ (٣) الاغاني ٢٠ : ١٣٤ (٤) الاغاني ١٦ : ٩٦ (٥) شعراء النصرانية : ١٣٧
(٦) حمزة الاصفهاني : ٧٤ (٧) ابن الاثير ١ : ٢٠٠ (٨) الاب لامنس المملكة الاسلامية

يوم ذي قار

امر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ابي قابوس ويبعثه اليه ، فبعث إياس الى هانيء ان ارسل إلي ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها ، فابى هانئ ان يسلم خفارته ، قال : فلما منعها هانئ غضب كسرى واظهر انه يستأصل بكر ابن وائل وعنده يومئذ النعمان بن زرعة التغلبي — وهو يحب هلاك بكر بن وائل — فقال لكسرى : ياخير الملوك ! أدلك على غرة بكر ، قال : نعم قال : امهلها حتى تقيظ فانهم لوقاظوا تساقطوا كالفراش في النار فاخذتهم كيف شئت وانا اكفيكهم . فاقرّهم حتى اذا قاضوا جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو — حنو ذي قار — وهي من ذي قار بليلة ، فارسل اليهم كسرى النعمان بن زرعة ان اختاروا واحدة من ثلاث خصال : إما ان تعطوا بايديكم فيحكم الملك بما شاء واما ان تعروا الديار ، واما ان تأذنوا بحرب ، فآذنوا الملك بالحرب ، فارسل كسرى إياس بن قبيصة الطائي أمير الجيش ومعه مرازبة الفرس ، والهامرز التسوي وغيره من العرب : تغلب وإياد ، وقيس بن مسعود بن قيس بن ذي الجدين وارسل الفيول . فقسم هانئ بن مسعود دروع النعمان وسلاحه ، فلما دنت الفرس من بني شيبان قال هانئ بن مسعود : يامعشر بكر لا طاقة لكم في قتال كسرى فاركنوا إلى الفلاة ، فسارع الناس الى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة العجلي ، وقال : ياهانئ اردت نجاءنا فالقيتنا في الهلكة ؛ فرد الناس وقطع وضن الهوادج وضرب على نفسه قبة واقسم الا يفر حتى تفر القبة ، فرجع الناس واستقوا ماء لنصف شهر ، فاتتهم العجم فقاتلتهم بالجنود فانهزمت العجم خوف العطش الى الجبابات ، فتبعتهم بكر وعجل ، وأبلت يومئذ بلاء حسناً . فاصطفت عليهم جنود العجم فقال الناس : هلكت عجل ، ثم حملت بكر فوجدت عجلا تحارب فقاتلوهم ذلك اليوم ، ومالت العجم الى بطحاء ذي قار هرباً من العطش ، فارسلت إياد الى بكر وكانوا مع الفرس ، وقالوا لهم : ان شئتم هربنا الليلة ، وان شئتم اقمنا ونفر حين تلاقون الناس ، فقالوا : بل تقيمون وتنهزمون إذا التقينا ، وقال زيد بن

حسان السكوني — وكان حليفاً لبني شيبان — : اطيعوني وا كمنوا لهم ففعلوا ثم تقاتلوا ، وحرض بعضهم بعضاً فقطع سبعمئة من بني شيبان ايدي اقبيتهم من مناكبهم لتخف ايديهم لضرب السيوف فجالدوهم وبارز الهامرز ، فبرز اليه برد بن حارثة اليشكري فقتله برد ثم حملت ميسرة بكر وميمنتها ، وخرج الكمين فشدّوا على قلب الجيش وفيهم اياس بن قبيصة الطائي ، وولت اياد منهزمة كما وعدتهم فانهزمت الفرس واتبعتهم بكر تقتل ولا تلتفت الى سلب وغنيمة، واسر النعمان بن زرعة التغلبي ونجا اياس بن قبيصة على فرسه فكان اول من انصرف الى كسرى بالهزيمة .

وكان كسرى لا يأتيه احد بهزيمة جيش إلا نزع كتفه ، فلما اتاه ابن قبيصة سأله عن الجيش فقال : هزمنا بكر بن وائل واتيناك بنباتهم فعجب بذلك كسرى ، وامر له بكسوة ، ثم استأذنه اياس فقال : ان اخي قيساً مريض بعين التمر اريد زيارته فأذن له ، ثم اتى كسرى رجل من اهل الحيرة — وهو بالخورنق — فسأل : هل دخل احد ؟ فقالوا اياس ، فظن انه حدثه الخبر فدخل عليه واخبره بهزيمة القوم وقتلهم فأمر به ونزعت كتفاه .

عرف العرب هذه الموقعة بـ « يوم ذي قار » وكان لانتصار العرب على العجم في هذا اليوم رنة سرور ومجلبة مفخرة وحبور عند العرب في اقطار المسكونة ، وخلد ذكره عند القوم من توالي القرون ، وتعاقب الاجيال ، فنقل عن النبي (صلعم) انه قال لما بلغه خبر هذا الانتصار : « هذا اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي انتصروا (١) » ومما لا ريب فيه ان اندحار الفرس في هذه المعركة سهل سبل الفتح على المجاهدين في الاسلام (٢)

---

(١) راجع عن يوم ذي قار : الطبري ٢ : ١٥٢ والكامل لابن الاثير ١ : ١٩٦ والعقد الفريد ٣ : ٣٧٤ والاغاني ٢٠ : ١٣٤ وابا الفداء ١ : ٧٢ والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٩ ومعجم البلدان مادة « قار » وغير ذلك (٢) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١

وذكر ابو الريحان البيروني (١) ان العذارى النصرانيات من العرب صمن شكراً لله حيث انتصرت العرب من العجم يوم ذي قار فنصروا عليهم ، وقال : ان صوم العذارى نشأ من هناك ، وهو يقع يوم الاثنين بعد عيد الدنح ويدوم ثلاثة ايام (٢)

واكثر الشعراء من التغني بهذا الانتصار القومي بقصائدهم الرنانة واشعارهم كما انهم سلقوا — بالسنة حداد — اياس بن قبيصة لاتفاقه والفرس على بني قومه .

ومن ذلك قول ابي تمام يمدح أبا دلف العجلي (٣)

اذا افتخرت يوماً تميم بقوسها	وزادت على ماوطّدت من مناقب
فانتم بذي قار امالت سيوفكم	عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

ومن قوله يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني (٤) :

اولاك بنو الاحساب لولا فعالهم درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد	وحيدٌ من الاشباه ليس له صحب
به علمت صُهب الاعاجم انه	به اعربت عن ذات انفسها العُرب
هو المشهد الفرد (٥) الذي ما نجا به	لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب

وقال جرير يذكر ذا قار (٦) :

فلما التقى الحيّان أُلقيتِ العصا	ومات الهوى لما اصيبت مقاتله
ابيتُ بذي قار اقول لصحبتي	لعل هذا الليل نحباً نطاوله
فهيهات هيهات العقيق ومن به	وهيهات خلٌ بالعقيق نواصله
عشية بعنا الحلم بالجهل وانتحت	بنا اريحياتُ الصبا ومجاهله

---

(١) الآثار الباقية : ٣١٤، ص ٣٧ـ٣٨ من كتابنا هذا (٢) نسب ياقوت في معجمه في المادة «دير العذارى» منشأ هذا الصوم الى غير ذلك (٣) ديوانه طبعة محمد جمال ص ٤٢ (٤) ديوان ابي تمام الطائي ص ٣١ — ٣٢

(٥) ويروى هو المشهد الفصل (٦) معجم البلدان : المادة «قار»

وقال عمرو بن جبلة بن باعث بن صريم اليشكري محرضاً العرب على حرب الفرس :

يا قوم لا تغرركم هذه الخرق ... ولا وميض البيض في الشمس برق

من لم يقاتل منكم هذه العنق ... فجنبوه الراح واسقوه المرق (١)

وكأني ارى الروح المتغلغل في هذين البيتين روح التشجيع على القتال والازدراء بالجبان المنهزم من الموت بلهجة السخرية هو الروح عينه المتجلي في « هوسات » « اهازيج » قبائل العراق العربية حتى اليوم.

وقد اختلف المؤرخون كل اختلاف في تاريخ هـذه المعركة ، فمنهم من جعلها في يوم ولادة رسول الله «صلعم» (٢) وقيل في سنة واقعة بدر الكبرى (سنة ٢ هجرية ٦٢٤م) ، ومنهم من جعلها في السنة الاولى من البعثة الموافقة لسنة ٦١٠ م ومنهم من جعلها بين سنة ٦١٣ وسنة ٦١٨ م اما (نلدكه) الالماني فيذهب الى انها كانت بين ٦٠٤و٦١٠ والمؤلف (ميور) يقول في سنة ٦١١ (٣)

وكانت هذه الحرب على اكثر الترجيح في السنـة الاولى من تولي إياس امر الحيرة بعد موت النعمان بن المنذر ، ولـكن تاريخ هذه الولاية مختلف فيه كما سبق لنا ذكره قبيل هذا ، وعلى كل ، فان إياساً عزل من ولاية الحيرة وتولاها بعده رجل فارسي ، وبقي إياس حياً ، وحارب جيش المسلمين الفاتحين كما سنرى .

وقد عرف يوم ذي قار هذا عند العرب بيوم قراقر ويوم الحنو حنو ذي قار ويوم حنو قراقر ويوم الجبابات ويوم ذي العجر ويوم الغذوان ويوم البطحـاء بطحاء ذي قار وكلهن حول ذي قار (٤)

*
* *

(١) الاغاني ١١ : ١٣٧ (٢) معجم البلدان : مادة « قار »

(٣) سايكس : تاريخ فارس ١ : ٥٢١ ورتشتاين : كتابه الاغاني سـلالة اللخميين بالحيرة ص ١٢٣ (٤) الطبري ٢ : ١٤٦

ازاذبة

٦١٧ — ٦٢٧م(١)

عقب إياس على ولاية الحيرة رجل فارسي سماه حمزة الاصفهاني ص١٧ زادبه بن ماهبيان بن مهر بنداد الهمذاني ، وجعل مدة ولايته ١٧ سنة ؛ وقال ابن الاثير : اسمه ازاذبة بن ماباذ الهمذاني (٢) وسماه بعض الكتبة روزبي بن مرزوق (٣) ولم نقف على اعماله والاحداث التي تمت في ايامه . والظاهر ان كسرى أبرويز جنح — بعد قتل النعمان ابي قابوس وانكسار جيشه في واقعة ذي قار — الى سياسة فارسية بحتة في « الحيرة » وذلك بتعيين عمال من الفرس عليها ؛ وهكذا قضى على سلطان المناذرة .

وفي ايام هذا المرزبان خلع كسرى ابرويز وقتله مهر هرمز بن مردانشاه فادوسبان نيمروذ ، على ما رواه الطبري (٤) وجلس على عرش الاكاسرة شيرويه ابن ابرويز ؛ وجاء في بعض الروايات عن سبب خلع كسرى ابرويز وقتله ما يأتي :

اضطهد هذا الملك النصارى وقتل في ايام الاضطهاد انسطاس الشهيد ويزدين صرافه ، — اي صراف الملك — وكان نصرانياً واستولى على امواله فاتفق ابنا يزدين وهما : شمطا ومهر هرمز (ويسمى هذا الاخير قرطاق ايضاً) مع فريق من اشراف الدولة ورفعوا لواء العصيان على كسرى ابرويز ونادوا بخلعه وتنصيب ابنه شيرويه ، واستأذن ابنا يزدين شيرويه في قتل ابيه فاذن لهما وقتله احدهم مهر هرمز (٥) ثم عاديا في عملهما وقتلا اولاد كسرى كلهم يعاونهما في امرهما

(١) جعل روتشتاين حكمه ٦١١—٦٢٨ (٢) الكامل ١ : ٢٠٠

(٣) شير : كلدو وآثور ٢ : ٢٤٣ (٤) الطبري ٢ : ١٥٩ — ١٦٦

(٥) ضبط بعضهم اسمه نيهورمزد ؛ ويظهر من رواية الطبري ٢ : ١٦٦ ان مهر هرمز هو ابن مردانشاه فادوسبان نيمروذ ، ويؤيد هذا القول ما جاء في تاريخ كلدو وآثور لأدي شير ٢ : ١٤٢ ان نيهورمزد اتفق وشمطا لان كسرى

عظماء الدولة ، ويقال انهما امعنا في غلوائهما وحاولا الاستيلاء على الملك وإقامة سلالة مالكة من اسرتهما ، وانت الاحوال موالية لهذه الخطط ، اذ كان جيش الروم في تلك الارجاء ، وكان الانبراطور هرقل يسر ان يرى على عرش الاكاسرة ملكا نصرانياً يخضع له ويطلب حمايته (١)

حذر شيرويه الموقف فقبض على شمطا ، الا ان شمطا تمكن من الفرار والتجأ الى الحيرة فلم يجده هذا الالتجاء نفعاً لان الحيرة العربية كانت قد فقدت شبه استقلالها ، فلم تكن بعد ملجأ لاعداء ملك الملوك ، فقبض شيرويه على خصمه وقطع يديه وسجنه (٢)

وذكر الدينوري (٣) رواية غير هذه الرواية في سبب خلع كسرى ابرويز لامحل لذكرها هنا ، وفي كتاب ارسله اليه ابنه شيرويه بين له فيه سوء ادارته واعماله التي ادت الى خلعه ، ومما قال فيه لائماً اباه « ومنها قتلك النعمان ابن المنذر وصرفك ملك ارضه عن ولده واهل بيته الى غيرهم » يعني اياس بن قبيصة الطائي ، « ولم تحفظ فيهم ما كان يحفظه الاول من حضانته بهرام جور جدك ومعونته بعد ان خرج الملك عنه حتى رده عليه ، فكل هذه ذنوب ارتكبتها وآثام اقترفتها ، لم يكن الله ليرضى منك ، ثم حتك بها » (٤) فاجابه مبرراً نفسه عن هذه الوصمة ما يأتي :

واما مازعمت من قتلي النعمان بن المنذر وازالتي الملك عن آل عمرو بن عدي الى اياس بن قبيصة فان النعمان واهل بيته واطئوا العرب واعلموهم توكفهم خروج الملك عنا اليهم وقد كانت وقعت اليهم في ذلك كتب فقتلته ووليت الامر اعرابياً لايعقل من ذلك شيئاً .

ابرويز كان قد قتل اباه ايضاً اما (لابور) في كتابه الفرنسي « تاريخ النصرانية في فارس » ص ٢٣٥ فانه يوحد قرطاً او قرطاق ونيهوردزد

(١) لابور : النصرانية في بلاد فارس ص ٢٣٦ (٢) الطبري ٢ : ١٥٩— ١٦٦ ، ولابور : ٢٣٢ — ٢٣٦ ، وادي شير ٢ : ١٤١—٢٤٣ Sassanidi Un Nuovo Testo Sulla Storia Degli Ulteini Edit, Guidi 1891

(٣) الاخبار الطوال : ١٠٦—١١١ (٤) كذلك ص ١٠٧

المنذر الخامس

ابن النعمان ابي قابوس

وهو المنذر المغرور

٦٢٨—٦٣٢(١)

ذكر بعض المؤرخين ملك المنذر المغرور ابن النعمان ابي قابوس على الحيرة بعد ان انقطع الملك عن بيته ، وتولاه غير واحد من الدخلاء من عرب وفرس ولكننا نجهل الوسائل التي مهدت له السبل لاعادة سلطان آبائه واجداده ، وان قلنا شيئاً فما ذلك الا من طريق الحدس والاستنتاج ، فنظن ان دولة الاكاسرة ضعفت في هذه المطاوي بعد قتل كسرى ابرويز (٦٢٨م) واستظهار الروم على الفرس في عهد القيصر هرقل ، وجاءت الفتن الداخلية والثورات القومية ضغثاً على إبالة ، ففتت في عضد الفرس ، وهدمت اركان سيطرتهم ، حتى قام على عرش الاكاسرة في غضون اربع سنوات عدد من ملوك وملكات منهم : شيرويه بن أبرويز ، وشيرزاد بن شيرويه ، وشهريار ، وجوان شير ، وبوران (٢) ، ولم يستقم الامر لاحد منهم ، بل خلعوا أو قتلوا ، فهذا الاضطراب في دولة الاكاسرة ربما هو الذي سهّل السبل للمنذر المغرور ان يستعيد ملك الحيرة ، ولكن لم يطل الامد عليه حتى جاءت جحافل الفاتحين المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر الصديق في سنة (١٢هـ ٦٣٢م) وفتحوا الحيرة . اما المنذر فذهب الى البحرين واسلم ، وكان يقال له قبل اسلامه الغرور ، وسمى نفسه بعد اسلامه المغرور (٣) وفي رواية (٤) ان ربيعة ملكوه عليهم في البحرين لما ارتدوا وقتل

---

(١) قال حمزة الاصفهاني : وكان ملكه وملك غيره الى ان ورد خالد بن الوليد الحيرة ثمانية اشهر (ص ٧٥) وعنه اخذ روتشتاين في مؤلفه الالماني سلالة اللخميين في الحيرة ص ١٢٤ (٢) الاخبار الطوال : ١٠٦ — ١١٠ (٣) ابن الاثير ٢ : ١٥٤ (٤) الطبري ٣ : ٢٥٥

في واقعة جواثا (١) وذكر الطبري ان الحطم بن ضبيعة اخا بني قيس بن ثعلبة ارتد في البحرين ، وارسل الى غير واحد واسمه الغرور ابن سويد اخي النعمان ابن المنذر ، فبعثه الى جواثا ، وقال : اثبت فاني ان ظفرت ملكتك بالبحرين حتى تكون كالنعمان بالحيرة (٢).



فتح الحيرة

اشتهرت الحيرة بين العرب بجمالها الفتان ، وزخرفها الجذاب ، وموقعها النزه وقصورها العامرة ، وسارت الركبان بذكرها لوجودها في آخر ريف العراق قريبة من البادية على طريق القوافل ومسير القبائل ، وللصلات القومية بين سكانها وسكان جزيرة العرب ، ولهذا نرى ان النبي — صلى الله عليه وسلم — ذكرها غير مرة في حديثه على ما رواه المؤرخون ، ومن ذلك ابتهاجه بنصرة العرب على العجم في واقعة ذي قار ، كما مر بنا (٣) ، وفي كلامه مع عدي بن حاتم (٤) ، قال عدي : دخلت على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال لي : ياعدي ابن حاتم ! « اسلم تسلم » ثلاثاً — فقلت : اني على دين ، قال : اني اعلم بدينك منك ، فقلت : انت اعلم بديني مني ، قال نعم ألست من الركوسية وانت تأكل مرباع قومك ، قلت بلى ، قال فان هذا لايحل لك في دينك ، وقال حاتم : فلم يعد ان قالها فتواضعت لها ، فقال : اما اني فاعلم ماالذي يمنعك من الاسلام ، تقول

(١) الطبري ٣ : ٢٥٥ (٢) الطبري كذلك (٣) راجع ص ٢١٨ من هذا الكتاب (٤) مسند عدي بن حاتم من كتاب مسند الامام احمد بن حنبل ، ومجلة المشرق ١٩٠٥ : ص ٥٠٧



الرسم (١٢) مقابل ص ٢٢٥



منكب (عضادة) باب ارتفاعه ٦٠ س وعرضه ٤٠ س وجد في الحيرة في البناية المرقمة ١ ويرتقي تاريخه الى القرن الثامن

انما أتباعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، وقد رمتهم العرب ، أتعرف الحيرة ؟
قلت : لم أرها وقد سمعت بها ، قال : فو الذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر
حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد وليفتحن كنوز
كسرى بن هرمز (قال) قلت : كسرى بن هرمز ، نعم كسرى بن هرمز وليبذلن المال
حتى لا يقبله أحد ، قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة وتطوف بالبيت
من جوار ، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز ، والذي نفسي بيده
لتكونن الثالثة ، لأن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قد قالها (١)

وذكرت الحيرة امام النبي — صلى الله عليه وسلم — غير هذه المرة .
حكى ابن الكلبي أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لما افتتح مكة قدمت عليه
وفود العرب ، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم بن عمه ،
فلما صارا عند النبي تسابا وتهاترا ، فقال قيس بن الأهتم : والله يارسول الله ما هم
منا وانهم لمن أهل الحيرة ، فقال عمر بن الأهتم : بل هو والله يارسول الله
من الروم ، وليس منا ، ثم أنشد شعراً ، فاجابه عمرو بن الاهتم بشعر تعرض به
وبالحيريين ومن ذلك قوله :

ما في بني الأهتم من طائل	يرجى ولا خير له يطلبون
قل لبني الحيري مخصوصة	تظهر منهم بعض مايكتمون
لولا دفاعي كنتمو أعبداً	مسكنها الحيرة فالسيلحون
جاءت بكم عفرة من ارضها	حيرية ليست كما تزعمون
في ظاهر الكف وفي بطنها	وسم من الداء الذي تكتمون (٢)

وذكر ايضاً عدي بن حاتم قائلا : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم »
يذكر مارفع له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رفع له : وكأن شرف قصورها
اضراس الكلاب عرفت ان قد أريها وانها ستفتح (٣)

---

(١) مسند عدي بن بن حاتم من كتاب سند الامام أحمد بن حنبل ، ومجلة المشرق ١٩٠٥ : ص ٥٠٧ (٢) الأغاني ١٢ : ١٥٠

(٣) الطبري ٤ : ١٥

وقال شويل حدثنا خالد بن الوليد : إني سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يذكر فتح الحيرة ، فسألته كرامة بنت عبد المسيح ، فقال : هي لك اذا فتحت الحيرة عنوة وشهد له بذلك (١)

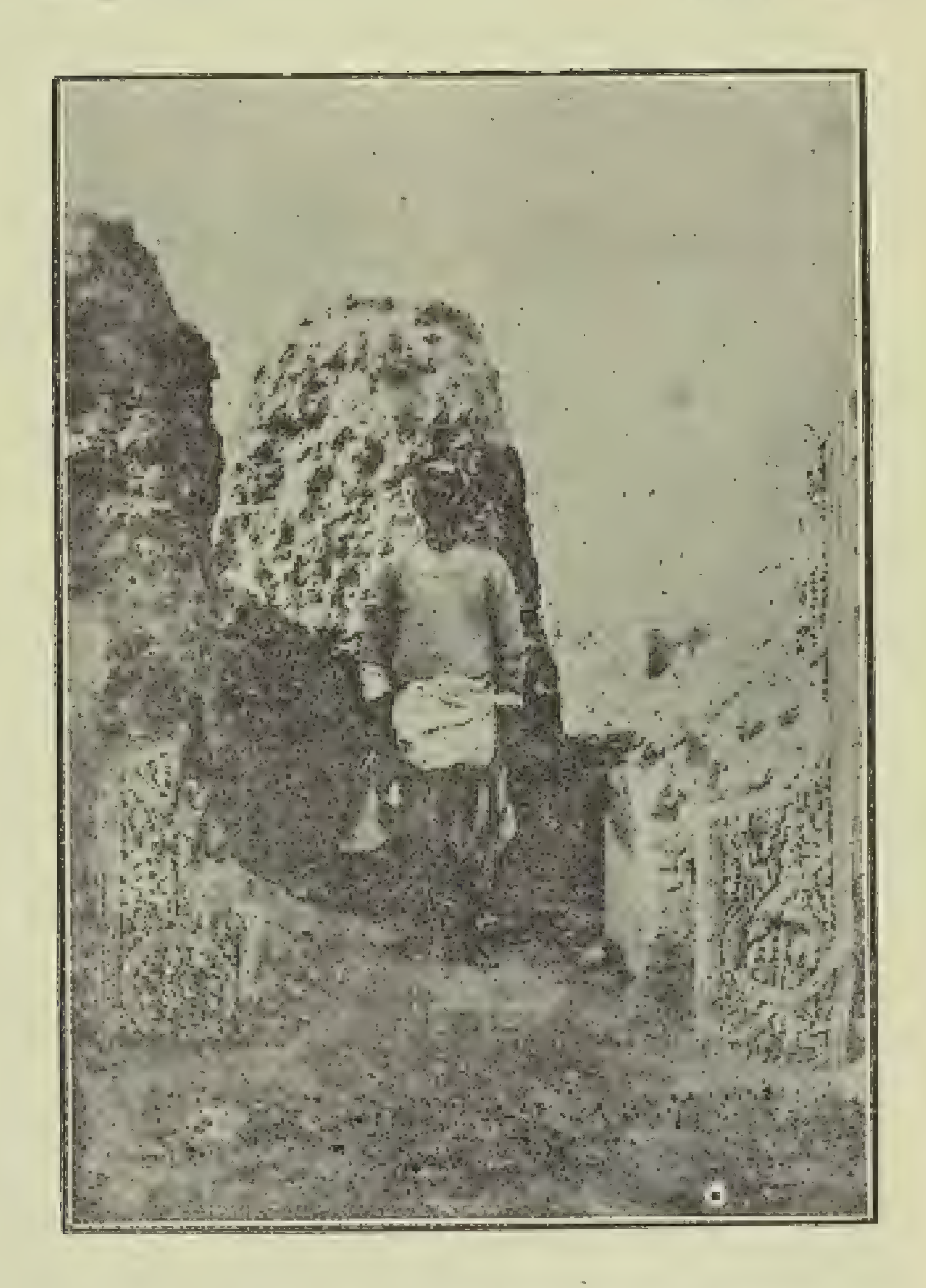
هـذا ماجاء عن النبي محمد بن عبـد الله في ذكر الحيرة وفي الطموح الى فتحها ، ولـكن لم يتم من امر ذلك شيء الا بعد ان تولى الخلافة ابو بكر الصديق . وكان اول من غزا ارض العراق من المسلمين : المثنى بن حارثة الشيباني والآخر سويد بن قطبة (٢) العجلي ، فاقبلا حتى نزلا فيمن جمعا بتخوم ارض العجم ، فـكانا يغيران على الدهاقين فيأخذان ماقدرا عليه ، فاذا طلبا امعنا في البر فلا يتبعهما احد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، وسويد من ناحية الابلة ، وذلك في خلافة ابي بكر ، فكتب المثنى بن حارثة الى ابي بكر « رضي الله عنه » يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ويسأله ان يمده بجيش ، فلما انتهى كتابه الى ابي بكر « رضي الله عنه » كتب ابو بكر الى خالد بن الوليد ، وقـد كان فرغ من اهل الردة « ان يسير الى الحيرة فيحارب فارس ويضم اليه المثنى ومن معه ، وكره المثنى ورود خالد عليه ، وكان ظن ان ابا بكر سيوليه الامر ، فسار خالد في سنة (١٢هـ ٦٣٣م) الى العراق حتى نزل بانقيا (٣) وباروسما (٤) والليس (٥) وكان الذي صالحه عليهـا بصبهري بن صلوبا ، وكتب خالد بن الوليد لهم كتاباً فيه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوبا بن بصبهري ومنزله بشاطيء الفرات ، إنك آمن بأمان الله على حقن دمك في اعطاء الجزية عن

---

(١) الطبري (٢) وجاء في معجم البلدان في المادة « نعمان » ان اول من قدم ارض العراق لقتال اهل فارس حرملة بن مريطة وسلمى بن القين فنزلا أطد ونعمان والجعرانة ، وكانا من المهاجرين ومن صالحي الصحابة

(٣) ناحية من نواحي الـكوفة وذكرها في الفتوح (٤) قال ياقوت : باروسما ناحيتان من سواد بغداد ، يقال لهما باروسما الاعلى وباروسما الاسفل من كورة الاستان الاوسط (٥) الليس قرية من قرى الانبار





منكب باب (عضادة) دقيق الصنع يرتقي الى القرن الثامن

نفسك وجيرتك واهل قريتك ـ بانقيا وبسما ـ على الف درهم جزية ؛ وقد قبلنا منك ورضي من معي من المسلمين بذلك ؛ فلك ذمة الله ، وذمة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذمة المسلمين على ذلك . شهد هشام بن الوليد ؛ وجرير بن عبد الله بن ابي عوف ؛ وسعيد بن عمرو وكتب سنة ١٣ والسلام » . ويروى ذلك انه كان سنة ١٢ (١)

ثم اقبل خالد بن الوليد حتى دنا من الحيرة فخرجت اليه خيول ازاذبة صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح مابينه وبين العرب فلقوهم بمجتمع الانهار ، فتوجه اليهم المثنى بن حارثة فهزمهم الله ، ولما رأى ذلك اهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ، فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بقيلة وهاني‌ء بن قبيصة ، فقال لهم خالد : اني ادعوكم الى الاسلام ، فان قبلتم فلكم مالنا وعليكم ماعلينا ، وان ابيتم فالجزية ، وان ابيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت ، كما تحبون انتم شرب الخمر ، فقالوا : لاحاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة الف درهم ، فكانت اول جزية حملت الى المدينة من العراق ، وصالح خالد اهل الحيرة على ان يكونوا له عيوناً ففعلوا (٢)

الظاهر ان هذا الصلح لم يدم طويلاً ، لان الحكومة المركزية الفارسية علمت بالامر ، وجيشت الجيوش لمحاربة الفاتحين ؛ فانسحب خالد بن الوليد ، ولهذا نراه يحارب في شهر صفر من السنة عينها في الولجة واليس وامغيشيا ، وبعد ان انتصر في هذه المواقع سار الى الحيرة وحمل الرجال والاثقال في السفن ، فخرج

---

(١) راجع معجم البلدان المادة « بانقيا » وجاءت صورة هذه الرسالة في الطبري ٤ : ٣ بالنص الآتي : « بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومنزله بشاطيء الفرات ، انك آمن بأمان الله اذ حقن دمه اعطاء الجزية ، وقد اعطيت عن نفسك وعن اهل خرجك وجزيرتك ومن كان بقريتك ـ بانقيا وباروسما ـ الف درهم فقبلتها منك وشهد هشام بن الوليد »

(٢) الطبري ٤ ص ٣ ـ ٤

مرزبان الحيرة ، وهو الازاذبة ؛ فعسكر عند الغريين ، وارسل ابنه فقطع الماء عن السفن ، فبقيت على الارض ، فسار خالد في خيل نحو ابن الازاذبة فلقيه على فرات بادقلي ، فضربه وقتله وقتل اصحابه ، وسار نحو الحيرة فهرب منه الازاذبة وكان قد بلغه موت اردشير (١) وقتل ابنه فهرب بغير قتال ، ونزل المسلمون عند الغريين وتحصن اهل الحيرة فحصرهم في قصورهم ؛ وكان ضرار بن الازور محاصراً القصر الابيض وفيه إياس بن قبيصة الطائي ، وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيين وفيه عدي بن عدي المقتول ؛ وكان ضرار بن مقرن المزني « عاشر عشرة اخوة له » محاصراً قصر بني مازن ، وفيه ابن اكال ، وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقيلة ، وفيه عمرو بن عبد المسيح فدعوهم جميعاً واجلوهم يوماً فأبى اهل الحيرة ولجوا فناوشهم المسلمون ، فعهد خالد الى امرائه ان يبدءوا بالدعاء ، فان قبلوا قبلوا منهم ، وان ابوا ان يؤجلوهم يوماً ، وكان ضرار بن الازور على قتال القصر الابيض ، فاصبحوا وهم مشرفون ، فدعاهم الى احدى ثلاث : الاسلام ، او الجزاء ، او المنابذة ، فاختاروا المنابذة وتنادوا عليكم الخزازيف ، فقال ضرار : تنحوا لاينالكم الرمي حتى ننظر في الذي هتفوا به فلم يلبث أن امتلاء رأس القصر من رجال متعلقي المخالي يرمون المسلمين بالخزازيف « وهي المداحي من الخزف » فقال ضرار : ارشقوهم فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل فأعروا رؤوس الحيطان ، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم ، وصبح امير كل قوم بمثل ذلك فافتتحوا الدور والديارات واكثروا القتل ، فنادى القسيسون والرهبان : يااهل القصور مايقتلنا غيركم ، فنادى اهل القصور : يامعشر العرب قد قبلنا واحدة من ثلاث فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالداً ، فخرج اياس بن قبيصة واخوه الى ضرار بن الازور ، وخرج عدي بن عدي وزيد بن عدي الى ضرار ابن الخطاب ، وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن اكال هذا الى ضرار بن مقرن وهذا الى المثنى بن حارثة فارسلوهم الى خالد ، فخلا خالد باهل كل قصر منهم

---

(١) ابن الاثير ٢ : ١٦٣

دون الآخرين ، وبدأ بأصحاب عدي وقال : ويحكم ما انتم عرب ، فما تنقمون من العرب او العجم ، فما تنقمون من الانصاف والعدل ، فقال له عدي : بل عرب عاربة واخرى متعربة ، فصالحوهم على مائة وتسعين الفاً وتتابعوا على ذلك واهدوا له هدايا (١)

❊❊❊

وفي زوال دولة المناذرة قال ابن بقيلة : (٢)

أبعد المنذرين ارى سواماً ... تُروّح بالخورنق والسدير

وبعد فوارس النعمان ارعى ... قلوصاً بين مرة والحفير

فصرنا بعد هلك ابي قبيس ... كجرب المعز في اليوم المطير

تقسمنا القبائل بعد معد ... علانية كأيسار الجزور

وكنا لايرام لنا حريم ... فنحن كضرة الضرع الفخور

نؤدي الخرج بعد خراج كسرى ... وخرج من قُريظة والنضير

كذاك الدهر دولته سجال ... فيوم من مساءة او سرور

وقال القعقاع بن عمرو في ايام فتح الحيرة : (٣)

سقى الله قتلى بالفرات مقيمة ... واخرى باثباج النجاف الكوانف

فنحن وطئنا بالكواظم هرمزاً ... وبالثني قرني قارن بالجوارف

ويوم احطنا بالقصور تتابعت ... على الحيرة الروحاء احدى المصارف

حططناهم منها وقد كاد عرشهم ... يميل به فعل الجبان المخالف

رمينا عليهم بالقبول وقد رأوا ... غبوق المنايا حول تلك المحارف

صبيحة قالوا نحن قوم تنزلوا ... الى الريف من ارض العريب المقانف

كان الدهاقين يتربصون بخالد ، وينظرون مايصنع اهل الحيرة ، فلما استقام ما بين اهل الحيرة وبين خالد واستقاموا له ، أتته دهاقين الملطاطين وصالحوه (٤) .

---

(١) الطبري ٤ : ١٢

(٢) الطبري ٣ : ١٣ (٣) الطبري ٤ : ١٥ (٤) كذلك ص ١٧

واتخذ خالد بن الوليد الحيرة منزله سنة ، وهو يصعد ويصوب قبل خروجه الى الشام (١) وكان ابو بكر قد عهد الى خالد ان يأتي العراق من اسفل منها ، والى عياض ان يأتيه من فوقها ، وايهما سبق الى الحيرة فهو امير على الحيرة وكأني بالفاتحين المسلمين قد اتخذوا الحيرة قاعدة حربية في فتح العراق ، وبعد فتح الحيرة ، فتح المسلمون الانبار وعين التمر ، وبعد سفر خالد الى الشام اقام المثنى بن حارث الشيباني بالحيرة مع عمرو بن حزم الانصاري ، ووضع المسلحة واذكى العيون ، واستقام امر فارس بعد مسير خالد من الحيرة بقليل ، وذلك سنة ثلاث عشرة للهجرة على شهربزان بن اردشير بن شهريار سابور ، فوجه الى المثنى جنداً عظيما عليهم هرمز جاذويه ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه ، وكانت الغلبة للعرب ، وعلم المثنى موقفه وان لاقدرة له على الدأب في الجهاد بلا نجدة فذهب الى المدينة ، بين موقعه الى ابي بكر — وكان على فراش الموت — فطلب ابو بكر الى عمر بن الخطاب ان يبعث نجدة الى بلاد فارس (٢)

لما ولي عمر بن الخطاب لم يكن همه الا العراق ، فعقد لابي عبيد بن مسعود على جيش وامره بالمسير الى العراق ، ومعه المثنى بن حارثة ، وعمرو بن حزم ، وسليط بن قيس ، فساروا حتى نزلوا الثعلبية ، وعقد ابو عبيد الجراح جسراً ، وعبر بمن معه على كره من مشورة سليط والمثنى ، وزحف عليهم العجم فرشقوهم بالنشاب حتى كثرت في المسلمين الجراحات ، وقتل في هذه الموقعة ابو عبيد (٣) فرجع الباقون مارين نحو الجسر ، والمثنى يقاتل من ورائهم يحميهم حتى عبروا جميعاً ، وعبر المثنى في آخرهم ، وقطعوا الجسر وكتب الى عمر بما جرى من المحاربة ، وكتب اليه عمر ان يقيم الى ان يأتيه المدد ، وكانت هذه الوقعة في رمضان سنة ١٣ هجرية . ثم ارسل عمر بن الخطاب جيشاً وولى عليه جرير بن عبدالله البجلي ، فسار حتى وافى الثعلبية ، ثم سار حتى نزل دير هند ، فبلغ ذلك ازرميدخت ملكة العجم ، فامرت ان ينتدب من مقاتليها اثني عشر الف فارس ،

---

(١) الطبري ص ١٨

(٢) ابن الاثير ٢ : ١٧٤ ، والاخبار الطوال ١١٢ (٣) ابن العبري ١٧١

فانتدبوا وولت عليهم مهران بن مهرويه عظيم المرازبة ، فسار بالجيش حتى وافى الحيرة ، فتقاتل الفريقان وانجلت المعركة عن قتل مهران وانهزام العجم لاحقين بالمدائن ، وكانت هذه الوقعة سبب خلع ازرميدخت وتمليك غلام اسمه يزدجرد من عقب كسرى بن هرمز ، فاستجاش يزدجرد جنوده من آفاق مملكته (١) واشغل جيش المسلمين ، فكتب المسلمون الى عمر بن الخطاب بما ينتظرون من اهل السواد ، فلم يصل الكتاب الى عمر حتى كفر اهل السواد ، من كان له عهد ومن لم يكن له عهد ، وخرج المسلمون من بين العجم . وارسل عمر بن الخطاب جيشاً الى العراق في سنة ١٤ هـ بقيادة سعد بن ابي وقاص ، ومات المثنى قبل وصول سعد،واستخلفه بشير بن الخصاصية (٢) وكان الآزمرد بن الازاذبة دعا قابوس بن قابوس بن المنذر وبعثه الى القادسية وقال له ادع العرب فانت على بن أجابك ، وكن كما كان آباؤك ، فنزل القادسية وكاتب بكر بن وائل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم مقاربة ووعيداً ، واشغل جيش المسلمين ، فجاءه المعنى بن حارثة الشيباني — اخو المثنى — فاتاه ومن معه (٣) .

وقتل في هذه السنة عبد الله بن سنان ، والنعمان بن قبيصة الطائي ـ وهو ابن عم قبيصة بن إياس الطائي صاحب الحيرة ـ وكان النعمان على رابطة الفرس في قصر ابن مقاتل (٤) واغار في هذه المطاوي العرب على الحيرة فلاقوا قرب الصنين زفاف اخت ازادمرد بن ازاذبة مرزبان الحيرة،الى صاحب الصنين فنهبوهم وسبوا بنت ازاذبة وغيرها من النساء (٥)

وقصارى الكلام فقد ثبتت اقدام المسلمين في الحيرة والكوفة ، وفي سواد العراق بانتصارهم على الفرس في واقعة القادسية .

واجلى عمر (ر ض) من دومة جندل اكيدر الملك السكوني الكندي — فيمن اجلى من مخالفي دين الاسلام — إلى الحيرة ، فنزل على موضع منها ، قرب عين التمر ، وبنى به منازل وسماها دومة ، وقيل دوماء باسم حصنه بوادي

---

(١) الطبري ٤ : ٨١ (٢) ابن الاثير ٢ : ١٨٨ و ١٩٠

(٣) الطبري ٤ : ٨٨ (٤) ابن الاثير ٢ : ١٩ (٥) االطبري ٤ : ٩١

القرى ، وكان قائماً يعرف في زمن ياقوت الحموي الا انه خراب (١)

وروى الواقدي(٢)عن فتح الخورنق ،وقتل النعمان المغرور بن المنذر(٣) وفتح الحيرة والقادسية على يد سعد بن ابي وقاص ماملخصه :

قدم العراق سعد بن ابي وقاص ، في ثلاثين الف فارس من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب ومامن قدم العراق منهم الا باهله وولده ، فارتحل من الرحبة الى الحيرة البيضاء ، وكان هناك جيش النعمان بن المنذر ، وقد ضرب خيامه والسرادقات الى ظاهرها ، وقد اضاف اليه جميع العرب ، وهم من العراق في ثمانين الفاً ، وقد افاض عليهم النعمان النعم والخلع ووعدهم من الملك كسرى بكل جميل ، وقام يخطب فيهم فبينما هو كذلك اذ جاء عمه الياس (٤) وهو صاحب الحرس ، واخبره بقدوم رسول قائدجيش المسلمين ، وكان هذا الرسول سعد بن ابي عبيد القاري ، فعرض الرسول احدى الثلاث : الاسلام . او الجزية . او الحرب . وبعد المفاوضة اجابه النعمان : ليس بيننا الا السيف ، فاخبر الرسول سعد بن ابي وقاص بالجواب ، ثم تلاقت جيوش الفريقين واشتد القتال بين جيش سعد وبين جيش النعمان بن المنذر فاصيب النعمان بسنان وجندل ، ولما رآه جنود الحيرة ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس وفيه رستم بن اسفنديار واحتوى سعد بن ابي وقاص على قصر الخورنق والسدير ، وترك جميع ما اخذه في الحيرة .

ولما رأى جيش الفرس فلول جيش النعمان ملك العرب ، واستخبروا عن اخذ الخورنق والسدير والحيرة تبلبلوا ، فوقف رستم بينهم خطيباً يشجعهم على القتال ، واقبل عليه في هذه التضاعيف ابو موسى الاشعري ، موفداً من سعد

(١) معجم البلدان في المادة « دومة الجندل »

(٢) فتوح الشام ٢ : ١٢٠ وما بعدها (٣) لانظن ان النعمان بن المنذر كان في الحيرة في هذه الواقعة لانه قتل قبل هذه الواقعة على رواية المؤرخين ومن المحتمل ان النعمان بن قبيصة الطائي هو القتيل في هذه المعركة كما مر بنا نقلا عن الطبري (٤) هكذا ورد هذا الاسم وربما هو اياس .

إلى الفرس ، فعرض عليهم الشهادة أو الجزية أو الحرب ، وهرب في ذلك الليل من عساكر الفرس الى المسلمين ، فطلبهم الفرس فرفض العرب ارجاعهم ، ثم تحاربت جيوش المسلمين والفرس طيلة النهار ، ومني جيش الفرس بالخسائر والاندحار ، وفي وقعة اغتيت ذلك اليوم قتل رستم وانتهت هذه الحرب ، بانتصار المسلمين ، وفتحهم القادسية ، وهرب الفرس الى المدائن مولين الادبار ، واستولى الفاتحون على اموالهم .

ولما بعث عمر بن الخطاب إلى سعد بأن يمضي إلى المدائن ، امره ان يخلف النساء والاولاد في الحيرة ، وعندهم من الجند جماعة ، وأن يجعل لهم شركة في كل مغنم (١) .

ويظهر مما ذكرنا ليس لأهل السواد عهد إلا الحيرة وأليس وبانقيا ، فلذلك يقال : لا يصح بيع أرض السواد دون الجبل لأنها فيء للمسلمين عامة إلا أراضي بني صلوبا وارض الحيرة (٢) .

يجدر بنا ان نختم هذا الفصل بكلمة موجزة في موقف عرب الحيرة من الفاتحين المسلمين لنرى هل كان الحيريون موالين المسلمين أو كانوا من انصار الاكاسرة الساسانيين في الدفاع عن بلادهم ضد الفاتحين .

مما لاريب فيه ان دم العروبة المتغلغل في عروق عرب الحيرة كان ينزع الى ابناء عنصرهم الذي تجمعهم واياهم جامعة العنصرية واللغة والعادات ولم يكن الحيريون قبيل الفتح على وئام مع حكومة المدائن لسببين اولها قتل النعمان بن المنذر والفتك به وباولاده واهل بيته وازالة الملك من آل نصر وتنصيب اياس بن قبيصة تنصيباً اسمياً وايداع الحكم الفعلي الى رجل فارسي « النخرجان » وثانيها حرب ذي قار التي اشتركت فيها العرب ضد العجم بل ان العرب بجميعهم في اقطار العالم ابتهجوا للنصر العربي وعدوه انتصاراً قومياً .

---

(١) الواقدي : فتوح الشام ٢ : ١٢٧ ننبه هنا الى أن روايات المحدثين عن فتح العراق تتباين في تفصيلها الوقائع باختلاف الرواة ، وقد انتقينا منها ما اعتقدناه أقرب من غيره الى الحقيقة . (٢) معجم البلدان : المادة « سواد »

ومما يدلنا على ثقة المسلمين بالحيرة فانهم اتخذوها قاعدة لحركاتهم بعد فتحها وارشدهم غير واحد من ابناء الحيرة والانبار على سوقي بغداد والخنافس وانهم وتركوا عيالات اهل الايام في الحيرة وارسلوا اليهم غنماً ودقيقاً وبقراً (١)

وقد جاء ان انس بن هلال النمري قدم ممداً للمثنى في اناس من النمر نصارى وجلاباً جلبوا خيلاً وقدم ابن مردى الفهر التغلبي في اناس من بني تغلب نصارى وجلاباً جلبوا خيلاً وهو عبدالله بن كليب بن خالد وقالوا حين راوا نزول العرب بالعجم نقاتل مع قومنا (٢) وكذلك قالت فتية من بني تغلب في يوم البويب لما جلبوا خيلاً للعرب (٣) والذى قتل مهران غلام من التغلبين نصراني (٤)

مع هذا نرى في اخبار الفتح ان بعض الحيريين قاوموا جيش المسلمين حتى كتب النصر لهؤلاء فهل يسوغ لنا ان نقول مع نو . . ان اخبار مقاومة الحيريين الفاتحين لفقها مؤرخو العرب . وان الحيريين كانوا موالين المسلمين .

انني لا اشارك المستشرق نو في هذا الرأي على علاته . بل اذهب مذهباً وسطاً في الامر واقول كان معظم الحيريين موالياً للفاتحين بلا مرية للاسباب التي بيناها قبيل هذا . ولكن بقي هناك شرذمة من اصحاب القصور والنفوذ الذين اضطروا الى الدفاع أو التظاهر بالدفاع سواء أكان لمنفعتهم الشخصية وضناً بالجاه الذي كان يتمتعون به او حذراً من بطش الحكومة الساسانية بهم ورميهم بالخيانة العظمى .

وعليه فان نو مصيب في قوله بأنّ الحيريين كانو موالين للفاتحين المسلمين ومخطىء بقوله ان كتبة العرب لفقوا مارووه من اخبار مقاومة عرب الحيرة العرب الفاتحين .

---

(١) الطبرى ٤ : ٧٦ (٢) كذلك ص ٧٣ (٣) كذلك ٧٤ ولقد ارشدنا الى هذه المآخذ الثلاثة صديقنا العلامة الحاج نعمان الاعظمي
(٤) الطبري ٤ : ٧٤

بقايا اللخميين وحكمهم

في الاسلام

لم ينحصر مجد اللخميين وملكهم بالحيرة وماوالاها من ديار العراق أو ما جاورها من البلاد العربية في الجاهلية كما بينا في تاريخهم ، ولم ينذر عزهم بزوال دولتهم عند الفتح الاسلامي ، بل نرى منهم أمراء في الأندلس وفي الاسلام قال النويري (١) وقـد كان للخميين مُلك بالحيرة من العراق ، وكان لبقاياهم ملك اشبيلية من الاندلس ، وهي دولة بني العباد ، وأول من ملك منهم القاضي محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد ، وقد ذكر القضاعي في خطط مصر أنهم حضروا فتح مصر واختلطوا بهم وممن خالطهم جذام ، وقال الحمداني : وبصعيد مصر قوم منهم مساكنهم بالبر الشرقي ».

وأورد ابن خلكان (٢) نسب المعتمد صاحب قرطبة واشبيلية وماوالاهما من جزيرة الاندلس كما يأتي : هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر ، المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي أشبيلية ابن ابي الوليد اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن عطاف بن نعيم اللخمي ، من ولد النعمان ابن المنذر ، آخر ملوك الحيرة . وفي المعتمد هذا وفي أبيه يقول أحد الشعراء :

من بني المنذرين وهو انتساب زاد في فخرهم بنو عباد

فتيـة لم تلد سواهـا المعـالي والمعالي قليـلة الاولاد

وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيماً وابنه عطافاً أول من دخل اليها من بلاد المشرق ، وهما من أهل العريش ، القرية القديمـة الفاصلة بين الشام والديار المصرية ، في أول الرمل من جهة الشام ، واقاما فيهـا مستوطنين بقرية قرب تومين من اقليم من طشانة ، من أرض اشبيلية ، وامتد لعطاف عمود النسب

---

(١) نهاية الارب في معرفة انساب العرب ٣٣٢ . (٢) وفيات الاعيان ٢ : ٤٠٩ وما بعدها .

من الولد ، إلى الظاهر محمد بن اسماعيل القاضي ، فهو أول من نبغ منهم في تلك البلاد وتقدم بأشبيلية إلى أن ولي القضاء بها ، فاحسن السياسة فرمقته القلوب ، وولاه الناس عليهم عوضاً عن يحيى بن علي بن محمود الحسني المعروف بالمستعلي في سنة ٤١٤ هجرية ، وعلى رواية أخرى سنة ٤٢٤ ، ولما مات محمد القاضي سنة ٤٣٣ هجرية ، عقبه ابنه عباد سنة ٤٦١ ، وقام بالمملكة بعده ابنه المعتمد على الله ابو القاسم ، وكان المعتمد هذا يدفع الضريبة للادفونش . وحارب أبو يعقوب يوسف بن تاشفين — صاحب مراكش المعتمد هذا سنة ٤٧٣ هجرية ، وانتصر عليه ، وقتل المأمون بن المعتمد ، الذي كان ينوب عن أبيه في قرطبة ، وابنه الآخر في زنده . وأمر صاحب مراكش المعتمد وقيده وحمله مع أهله في سفينة . فتألم المعتمد من قيوده وقال :

تبدلت من ظل عزّ البنود بذل الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليقاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
وقد صار ذاك وذا أدهماً يعض بساقي عض الاسود

وقال ابن لبانة قصيدة في نكبة المعتمد منها :

تبكي السماء بدمع رائح غادي على البهاليل من أبناء عباد

ومن بقايا اللخميين الامير ظهير الدين الذي أقامه السلطان نور الدين ملك مصر والشام اميراً على سفح لبنان سنه ٥٥٦ هجرية — وفوّضه على القميطرة وبروج صيدا والدامور ، وأمّده بالمال والسلاح لمحاربة الافرنج . ويذكر أن الامير ظهير الدين هذا من اعقاب أحد أولاد النعمان بن المنذر ، الذي سار بعد قتل أبيه إلى لبنان بقبائل من العرب فثبتت الامارة لأعقابه ، ومن تلك السلالة الأمير بدر الدين محمد المتوفى سنة ٧٩٨ هجرية

هذا آخر ما نعرفه عن سيادة اللخميين وسلطانهم في مختلف الأدوار ، ومتباين الأقطار ، فسبحان من يهب الملك من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ، ولله ملك السموات والارض .

سنو حكم ملوك الحيرة

رأينا ان نعقد هذا الفصل ونضمّنه جداول تاريخية لمقارنة سني حكم الملوك المناذرة آل نصر بن ربيعة بسني حكم الاكاسرة الساسانيين ونسرد الروايات المختلفة في مدة حكم كل من المناذرة انفسهم . لأن مؤرخي العرب لم يثبتوا لنا تواريخ وضعية لسني حكم اللخميين (١) بل غاية ماهناك انهم ذكروا مدة حكم كل ملك منهم في عهد ملك واحد او اكثر من ملك واحد من الاكاسرة الساسانيين (٢) ولم يتفق المؤرّخون كلهم في هذا الموضوع بل انهم اختلفوا في عدد الملوك المناذرة وفي اسمائهم وفي سني حكمهم (٣) كما انهم اختلفوا في اسناد الوقائع . فينسب احد المؤرّخين واقعة لملك منهم وينسبها غيره الى ملك آخر وقد يكون بين الملكين اكثر من قرن . واعظم سبب في هذا الاختلاف هو قيام عدد من الملوك باسماء متشابهة كالنعمان والمنذر وامريء القيس (٤)

لم تقتصر اسباب التشويش عند هذا الحد بل تجاوزته الى جعل الملك الواحد يحكم حكماً طويلاً مما لا يقبله العقل من ذلك ماجاء عن عمرو بن عدي انه عاش ١٥٠ سنة وحكم ١١٨ سنة منها ٩٥ سنة في عهد ملوك الطوائف و ١٤ سنة وعشرة اشهر في زمن اردشير بن بابك و ٨ سنوات وشهران في زمن شابور بن اردشير (٥)

وكذلك جاء عن مدة حكم ابنه امريء القيس بن عمرو انه ملك ١١٤ سنة كما يأتي : ٢٣ سنة في زمن شابور وسنة واحدة وعشرة اشهر في زمن

---

(١) روتشتاين : كتابه الالماني : سلالة اللخميين في الحيرة ص ٥٠ وما بعدها (٢) انظر الجدول المرقم ٣ الذي سيعقب وكل المورخين الذين بحثوا عن تاريخ المناذرة (٣) قد المعنا الى ذلك في كتابنا هذا عند البحث عن ملوك الحيرة راجع ص ١١٦ حاشية ١ و ١١٨ و ١٣٠ حاشية ١ وص ١٤٠ و ١٤٣ حاشية ١ الخ (٤) من امثال ذلك تراه في ص ١٤٨ و ١٥٤ و١٥٨ و ١٥٩ — ١٦١ و ١٦٣ (٥) حمزة الاصفهاني ٦٦

هرمز بن شابور وتسع سنوات وثلاثة اشهر في زمن بهرام بن هرمز وثلاث وعشرون سنة في زمن بهرام بن بهرام وثلاثة عشرة سنة في زمن هرمز بن نرسي وعشرون سنة وخمسة اشهر في زمن شابور ذي الاكتاف

من بين خجاج هذا الظلام وجد الباحثون بجهود دروسهم نوراً اهتدوا به الى وضع تواريخ لكل ملوك الحيرة وذلك بمقارنة الحوادث واقوال المؤرخين من عرب وفرس ويونان . لايدّعي ولا يجوز ان يدعي احد الباحثين بان تلك التواريخ مضبوطة بكل معنى الكلمة ولا تقبل الجدل بل كل ماهناك يسوغ لنا ان نعدّها اقرب الى الحقيقة وان اختلاف الواحد منها عن الآخر بضع سنوات.

انّ اقدم من كتب عن تواريخ ملوك الحيرة من العرب ووصلتنا مروياته هشام بن محمد الكلبي (١) المتوفى سنة ١٢٠٤ او ٢٠٦ هجرية = ٨٢٠ ميلادية على ماحققه نلدكه (٢) واعتمد على ابن الكلبي المورخون الذين جاووا بعده قال الطبري (٣) وقد حدثت عن هشام بن محمد الكلبي انه قال اني كنت استخرج اخبار العرب وانساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ اعمار من عمل منهم لآل كسري وتاريخ سنيهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم واموره كلها(٤) .

لايسعنا في هذا المقام ان نتوسع في البحث بل نجتزيء بما ذكرنا ونزف الى القراء بعض الجداول معتمدين بذلك على الذين عقبوا هشام بن محمد الكلبي كحمزة الاصفهاني والطبري ، وكذلك جداول بعض المتأخرين الذين استخرجوا تواريخ وضعية من المقارنات منتظرين العثور على بعض الآثار التي تزيل الاختلافات في تواريخ ملوك الحيرة وتوصلنا الى حقائق راهنة

(١) ابوه السائب الكلبي المتوفي سنة ١٤٦ هجرية : ٧٦٣ — ٧٦٤ م واعتمد هشام في الغالب على ابحاث وتراكيب ابيه . وراجع نلدكه امراء غسان الترجمة العربية ص ١٣ (٢) دوتشتاين : كتابه الالماني : سلالة اللخميين ٥٠ (٣) ٢ : ٣٧ (٤) راجع ص ٢ من كتابنا هذا والعبر لابن خلدون ٢ : ٢٦٢ وزيدان العرب قبل الاسلام ١ : ١٩٧ ودوتشتاين سلالة اللخميين ٥١ .

جدول (١)

سني حكم ملوك الحيرة

اللخميين

بموجب حمزة بن الحسن الاصفهاني والطبري

مدة حكمه	اسم الملك	شهر	سنة	اسماء الاكاسرة المعاصرين	ملاحظات
			٩٥	ملوك الطوائف	
١١٨	عمرو بن عدي				
		١٠	١٤	اردشير بن بابك	
		٢	٨	شابور بن اردشير	
		٠٠	١١٨		
			٢٣	شابور بن اردشير	
		١٠	١	هرمز بن شابور	
١١٤	امرؤ القيس بن عدي	٣	٩	بهرام بن هرمز	
			٢٣	بهرام بن بهرام	
		٦	١٣	بهرام بن بهرام بن بهرام	
			٩	نرسي بن بهرام بن بهرام	
			١٣	هرمز بن نرسي بن بهرام	
		٥	٢٠	شابور ذو الاكتاف	
		٠٠	١١٣		

مدة حكمه	اسم الملك			اسماء الاكاسرة المعاصرين	ملاحظات
٦٠	عمر بن امرئ قيس	٧	٥١	شابور ذو الاكتاف	ذكر الطبري
			٥	اردشير الثاني اخو شابور	انه حكم ٣٠ سنة
		٥	٤	شابور بن شابور	
			٦١		
٥	اوس بن قلام				
			٥	شابور بن شابور	بموجب الطبري
٢٣	امرؤ القيس الثاني		١١	بهرام شابور	٢٥ سنة
		٣	٥	يزدجرد بن شابور	
		٣	٢١		
٣٠	النعمان بن امرئ القيس	٨	١٥	يزدجرد	بموجب الطبري
		٤	١٤	بهرام جور	٢٩سنة و٤اشهر
			٣٠		
٢٤	المنذر بن النعمان	٩	٨	بهرام جور	
		٣	١٨	يزدجرد	
		٠	١٧	فيروز بن يزدجرد	
			٤٤		
٢٠	الاسود بن المنذر		١٠	فيروز بن يزدجرد	
			٤	بلاش	
			٦	قباذ بن فيروز	
			٢٠		

مدة حكمه سنة	اسم الملك	شهر	سنة	اسماء الاكاسرة المعاصرين	ملاحظات
٧	المنذر بن المنذر		٧	قباذ بن فيروز	
٤	النعمان بن الاسود		٤	قباذ بن فيروز	
٣	ابو يعفر علقمة		٣	« « «	
٧	امرو القيس بن النعمان		٧	« « «	
٣٢	المنذر بن امرىء القيس		٦	قباذ بن فيروز	
	الحارث بن عمرو آكل المرار		٢٦	كسرى انوشروان	
١٦	عمرو بن المنذر (ابن هند)		١٦	كسرى انوشروان	وفي ثماني
٤	قابوس بن المنذر		٤	كسرى انوشروان	سنوات وثمانية
١	فيشهرت اوالسهراب		١	« «	اشهر من ملك
٤	المنذر بن المنذر	٨		كسرى انوشروان	عمرو بن هند
		٤	٣	هرمز بن كسرى انوشروان	ولد رسول الله (ص) وهى عام
			٤		الفيل وهى السنة
٢٢	النعمان بن المنذر	٨	٧	هرمز بن انوشروان	والثانية والاربعون
		٤	١٤	كسرى ابروز بن هرمز	من ملك
		٠	٢٢		كسرى انوشران
٧	اياس بن قبيصة	٧		كسرى ابرويز	وحدث عن هشام
	مع النخرجان	٨	١٤	« «	ابن محمد انه قال
١٧	زادبة	٨	٠٠	شرومه	في سنة عشرين
		٧	١	ارد شير بن شيرويه	من ملك كسرى

	بوران	١	بعث النبي (ص)
٨	المنذر الخامس المغرور	١٧	ولسنة وستة اشهر من ملك اياس وخمس عشرة سنة وثمانية اشهر من من ولايـة زادبه توفي النبي (ص)

جدول (٢)

مقابلة سني حكم الملوك اللخميين

بيننا وبين برسفال

جدولنا	جدول برسفال	
من سنة الى سنة	من سنة الى سنة	اسماء الملوك
٢٦٨ — ٢٨٨	٢٦٨ — ٢٨٨	عمرو بن عدي
٢٨٨ — ٣٢٨	٢٨٨ — ٣٣٨	امرؤ القيس البدء ابن عمرو بن عدي
٣٢٨ — ٣٧٧	٣٣٨ — ٣٦٣	عمرو الثاني ابن امرء القيس
٣٧٧ — ٣٨٢	٣٦٣ — ٣٦٨	اوس بن قلام العمليقي
٣٨٢ — ٤٠٣	٣٦٨ — ٣٩٠	امرء القيس الثاني ابن عمرو الثاني
٤٠٣ — ٤٣١	٣٩٠ — ٤١٨	النعمان الاول ابن امرء القيس الثاني وهو السائح والاعور والنعمان الاكبر وابن الشقيقة
٤٣١ — ٤٧٣	٤١٨ — ٤٦٢	المنذر الاول ابن النعمان الاول

.....	٤٦٢ — ٤٧١	النعمان الثاني ابن المنذر الاول
٤٧٣ — ٤٩٣	٤٧١ — ٤٩١	الاسود بن المنذر الاول
٤٩٣ — ٥٠٠	٤٩١ — ٤٩٨	المنذر الثاني ابن المنذر الاول
٥٠٠ — ٥٠٤	٤٩٨ — ٥٠٣	النعمان الثاني بن الاسود بموجب جدولنا والثالث بموجب برسفال
٥٠٤ — ٥٠٧	٥٠٣ — ٥٠٥	ابو يعفر علقمة
٥٠٧ — ٥١٤	٥٠٥ — ٥١٣	امرؤ القيس الثالث ابن النعمان الثاني بموجب جدولنا
٥١٤ — ٥٦٣	٥١٣ — ٥٦٢	المنذر الثالث ابن امرء القيس الثالث
٥٦٣ — ٥٧٨	٥٦٢ — ٥٧٤	عمرو الثالث (مضرط الحجارة) ابن المنذر الثالث
٥٧٨ — ٥٨١	٥٧٤ — ٥٧٩	قابوس بن المنذر الثالث (فتنة العروس) وبموجب برسفال النعمان الرابع او قابوس
٥٨١ — ٥٨٢		فيشهرت (سنة واحدة) او اسوراب
٥٨٢ — ٥٨٥	٥٨٠ — ٥٨٣	المنذر الرابع الملقب بالاسود الثاني
٥٨٥ — ٦٠٧	٥٨٣ — ٦٠٥	النعمان الثالث ابو قابوس بموجب جدولنا والنعمان الخامس بموجب برسفال
٦١٣ — ٦١٨	٦٠٥ — ٦١٤	اياس بن ابي قبيصة ومعه النخيرجان
٦١٨ — ٦٢٨	....	زاديه
٦٢٨ — ٦٣٢	٦١٤ — ٦٣١	المنذر الخامس بن النعمان الثالث بموجب جدولنا المعروف بالمغرور

قال حمزة بن حسن الاصفهاني في كتابه تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص ٧٥ « فجميع ملوك آل نصر ومن استخلف من العباد والفرس بالحيرة من بعدهم خمسة وعشرون ملكاً في مدة ستمائة وثلث وعشرين سنة واحد عشر شهراً (كذا) وقلنا ان هذه غلط لان المؤلف نفسه يقول في ص ٦٦ فعمرت الحيرة خمسمائة ونيفاً وثلاثين الى ان وضعت الكوفة ونزلها عرب الاسلام والاصح

ان ملك المناذرة في الحيرة لم يتجاوز ٣٦٤ سنة).

وقال هشام كان هؤلاء الستة الذين تقدم ذكرهم دخلا في ملك بني نصر وهم آوس بن قلام والحارث بن عمرو بن حجر الكندي وابو يعفر علقمة واياس بن قبيصة وشهرث وزادية الفارسي ويقال انه لم يمت بالحيرة من الملك احد إلا قابوس ابن المنذر وذلك لصحة هواء الحيرة

(*) — جعل روتشتاين في كتابه سلالة اللخميين في الحيرة ص ٧٠ وما بعدها سني حكم الملوك من المنذر الاول وما بعده كما يأتي المنذر الاول ٤١٨ ـ ٤٦٢ الاسود ٤٦٢ ـ ٤٨٢ المنذر الثاني ٤٨٢ ـ ٤٨٩ وجعل وفاة النعمان الثاني سنة ٥٠٣ وحكم ابو يعفر ٥٠٣ ـ ٥٠٥ وجعل موت منذر الثالث في سنة ٥٥٤ والمنذر الرابع ٥٧٦ ـ ٥٨٠ او ٥٧٥ ـ ٥٧٩ والنعمان الثالث ٥٨٠ ـ ٦٠٢ او ٥٧٩ ـ ٦٠١ وعمرو بن هند ٥٥٤ ـ ٥٦٩ او ٥٧٠ وقابوس ٥٦٩ ـ ٥٧٠ او ٥٧٢ ـ ٥٧٤ والسهراب ٥٧٥ ـ ٥٧٦ الخ .



جدول (٣)

تواريخ

حكم الملوك الساسانيين [١] ومعاصريهم الملوك اللخميين في الحيرة [٢]

من سنة	الى سنة	اسماء الملوك	من سنة	الى سنة	اسماء الملوك
٢٢٦	٢٤١	اردشير بن بابك	٢٦٨	٢٨٨	عمرو بن عدي
١٤٢	٢٧٢	سابور الاول			
٢٧٢	٢٧٣	هرمز بهرام الاول			
٢٧٣	٢٧٦	بهرام الثاني			
٢٧٦	٢٦٣	بهرام الثالث	٢٨٨	٣٢٨	امرؤ القيس الاول (البدء)
٢٩٣	٣٠٢	نرسي			
٣٠٢	٣٠٩	هرمز			
٣٠٩	٣٧٩	سابور الثاني ذو الاكتاف	٣٢٨	٣٧٧	عمرو الثاني بن امرئ القيس
٣٧٩	٣٨٣	اردشير الثاني	٣٧٧	٣٨٢	اوس بن قلام العمليقي * (٣)
٣٨٣	٣٨٨	سابور الثالث	٣٨٢	٤٠٣	(امرؤ القيس الثاني بن عمرو
٣٨٨	٣٩٩	بهرام الرابع			الثاني المعروف بالبدن
٣٩٩	٤٢٠	يزدجرد الثاني (الاثيم)	٤٠٣	٤٣١	النعمان الاول ابن امرئ القيس
٤٢٠	٤٣٨	بهرام الخامس جور			الثاني المعروف بالسائح او الاعور
٤٣٨	٤٥٧	يزدجرد الثاني			او النعمان الاكبر ابن الشقيق (٤)
٤٥٧	٤٨٤	هرمز الثالث فيروز	٤٣١	٤٧٣	المنذر الاول ابن النعمان الاول
٤٨٤	٤٨٨	بلاش	٤٧٣	٤٩٣	الاسود بن المنذر الاول
٤٨٨	٥٣١	قباذ الاول بن فيروز	٤٩٣	٥٠٠	المنذر الثاني ابن المنذر الاول
٤٩٦	٤٩٨	اسثولي جاماسب الدخيل الثائر على الحكم	٥٠٠	٥٠٤	النعمان الثاني ابن الاسود ابن المنذر
			٥٠٤	٥٠٧	ابو يعفر علقمة *

		٥٠٧—٥١٤	امرؤ القيس الثالث ابن النعمان الثاني
٥٣١ — ٥٧٨	كسرى الاول انو شروان	٥١٤—٥٦٣	المنذر الثالث ابن امرء القيس الثالث تخلل حكم المنذر فترة حكم فيها الحارث بن عمرو بن حجر آكل (*) المرار دامت نحو سنتين من ٥٢٩ — ٥٣١
		٥٦٣—٥٧٨	عمرو الثالث ابن المنذر الثالث مضرط الحجارة
٥٧٩ — ٥٩٠	هرمز الرابع	٥٧٨—٥٨١	قابوس بن المنذر الثالث المعروف (فتنة العروس)
		٥٨١—٥٨٢	فيشهرت او زيد *
		٥٨٢—٥٨٥	المنذر الرابع ابن المنذر الثالث ابن ماء السماء الملقب بالاسود الثاني
٥٩٠ — ٦٢٨	كسرى الثاني ابرويز شيرو به اقباذ الثاني	٥٨٥—٦١٣	النعمان الثالث ابن المنذر الرابع وكنيته ابو قابوس
		٦١٣ — ٦١٨	اياس بن قبيصة ومعه النخيرجان زادبه *
٦٢٨ — ٦٣٢	من موت كسرى الى يزدجرد الثالث	٦٢٨ — ٦٣٢	المنذر الخامس ابن النعمان الثالث المغرور

(١) نقلنا جدول الملوك الساسانيين عن نلدكة في كتابه :

Hoeldeke, Geschichte Der Perser UndAraber Tabari 435

وعنه اخذ جرجي زيدان في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٩٨

(٢) نقلنا جدول الملوك اللخميين من كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي

زيدان ص في تاريخه العرب قبل الاسلام ١٩٨

(٣) الاسماء التى فوقها علامة النجم (*) اصحابها ليسوا من اللخميين بل هم دخلاء .

(٤) نرى بعض الاختلاف بين سنى الملوك اللخميين المذكورة وبين ما جاء في بعض المؤلفات التى تنقل اصحابها مباشرة من كوسن دي برسفال او بالواسطة ومنها مجاني الادب ٣ : ٣٠٦ — ٣٠٩ وتاريخ الموصل للقس سليمان صائغ ص ١ : ٢٩ — ٣٠ وقد جاء في مؤلفات الاب شيخو ومن سار على نهجه اسم النعمان الثاني بعد المنذر الاول ابن النعمان الاول واعتبر حكمه ٧ سنوات وقيل هناك كان وزيره عدي بن زيد النصرانى فنصّره على اننا لم نقف على اسم هذا الملك في الطبري والاصفهاني وابن الاثير وابى الفداء . وعلى رواية الاب شيخو قد قام اربعة ملوك في الحيرة باسم النعمان وليس ثلاثة كما جاء في جدولنا وبموجب برسفال خمسة ملوك باسم النعمان قد ذكر كوسن دى برسفال في كتابه الفرنسي العرب قبل الاسلام المجلد ٢ : ٦٤ ان مرتن اول من ذهب الى ذكر النعمان الثاني ابن المنذر بين ملوك الحيرة مستندا في ذلك الى رواية جاءت في الطبري في معرض حكاية تمليك بهرام جور (راجع الطبري ٦ : ٧٩) وذكر فرخوند انه بقى بين قواد بهرام جور مدة حياة هذا الملك

الجدول (٤)

القرابة الطبيعية في سلالة اللخميين

بموجب الطبري (١)

عدي

عمرو

امرؤ القيس الثاني البدء

النعمان الاول

المنذر الاول

الاسود — المنذر الثاني

النعمان الثاني — المنذر الثالث بن امرئ القيس

قابوس

عمرو الثالث — المنذر الرابع

النعمان الثالث

المنذر الخامس

---

(١) دونشتاين : في كتابه الالماني سلالة اللخميين في الحيرة ٥٥

الجدول (٥)

ملوك الحيرة

القرابة بينهم والغرباء وسنو حكمهم بموجب كتابنا

عمرو بن عدي ٢٦٨—٢٨٨

امرؤ القيس البد الاول ٢٨٨—٣٢٨

عمرو الثاني ابن امرىء القيس الاول ٣٢٨—٣٧٧

اوس بن قلام ٣٧٧—٣٨٢

امرؤ القيس الثاني ابن عمرو ٣٨٢—٤٠٣

النعمان الاول بن امرىء القيس الثاني ٤٠٣—٤٣١

المنذر الاول ابن النعمان الاول ٤٣١—٤٧٣

الاسود بن المنذر ٤٧٣—٤٩٣ | المنذر الثاني ٤٩٣—٥٠٠

النعمان الثاني ابن الاسود ٥٠٠—٥٠٤

ابو يعفر علقمة ٥٠٤—٥٠٧

امرؤ القيس الثالث ابن النعمان ٥٠٧—٥١٤

المنذر الثالث ابن امرىء القيس ٥١٤—٥٦٣

الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار

المعروف بابن ماء السماء قاطع ملك المنذر الثالث

المنذر الرابع ابن المنذر الثالث
٥٨٢—٥٨٥

عمرو بن هند ابن المنذر
٥٦٣—٥٧٨

قابوس بن المنذر فتنة العروس
٥٧٨—٥٨١

السهراب او فيشهرت
٥٨١—٥٨٢

النعمان الثالث ابن المنذر الرابع
٥٨٥—٦١٣

اياس بن قبيصة
٦١٣—٦١٧

(١) زاذبة
٦١٨—٦٢٨

المنذر الخامس ابن النعمان الثالث
٦٢٨—٦٣٢

(١) — العلامة ☐ تعني الملك ليس من السلالة اللخمية

معجم

مملكة الحيرة

يتضمن

النواحي ، البقاع ، المدن ، القرى ، المنازل ، المياه ، الجبال ، الانهار . الخ

مع

فذلكة تمهيدية في امتداد سلطان مملكة الحيرة وتقلّصه

على ممر الازمان

***

للاسترشاد في مطالعة

كتاب

الحيرة ، المدينة والمملكة العربية

معجم مملكة الحيرة

رأينا ان نعقد هذا الفصل في كتابنا تاريخ الحيرة : المدينة والمملكة العربية للبحث في المدن والقرى والمياه والاراضي والعمارات والمعاهد التي ملكها ملوك الحيرة ومدوا سلطانهم اليها او بكلمة أخرى لدرس جغرافية هذه المملكة وقد آثرنا ان نصدر بحثنا بعنوان معجم مملكة الحيرة لأن كثيراً من قوام الجغرافية ينقصنا .

قد بذلنا الجهد الجيد لنوفي الموضوع حقه بقدر ما توصلنا اليه بالوسائط التي بين يدينا من كتب تاريخ ومعاجم بلدان ودواوين شعراء وتواليف ادب ولغة ومع ذلك لا ننكر ان ما ذكرناه في هذه العجالة ماهو الا برض من عد لأن معظم تلك المواضع اندثر واصبح نسياً منسيا

ولا مندوحة لنا من توجيه الانظار الى امر له خطورته التاريخية وهو ان المدن والديار والأراضي التي نذكرها هنا لم تبق جميعها تحت سيطرة ملوك الحيرة في كل زمن حكم السلالتين التنوخية واللخمية لان نفوذهم امتداداو تقلص اتسع نطاقه اوضاق على تقلب الايام وكروز الأعوام واختلاف مقدرة الوازع المالك كما كانت ارادة الاكاسرة عاملا في هذا الانقلاب وتأييداً لهذا الرأي نورد بعض النتف التاريخية

قال الطبري(١) عن جذيمة الابرش ما يأتي : وكانت منازله فيما بين الحيرة والانبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر واطراف البر الى الغمير والقطقطانة وخفية وما والاها وتجبى اليه الاموال وتفد اليه الوفود واتسعت فتوحاته حتى قال الشاعر في الجاهلية

اضحى جذيمة في يبرين منزله قد حاز ماجمعت في دهرها عاد

وختم الطبري كلامه بقوله وكان ملك العرب بارض الجزيرة ومشارف بلاد الشام وجاء في مقصورة ابن دريد(٢) وقد ملك جذيمة الوضاح شطي الفرات الى صراة

---

(١) تاريخه ٢ : ٢٩ (٢) راجع شرح مقصورة ابن دريد ص ١٥

جاماس(١) والى الانبار وماوراء جاماس وماوراء ذلك الى السواد وقال حمزة الاصفهاني انه ملك معد وبعض اليمن (٢) وظهر في هذه المطاوي اردشير مؤسس الدولة الساسانية (٢٢٦ـ٢٤١) ولما استولى على العراق كره كثير من تنوخ المقام في مملكته فخرج من كان منهم من قضاعة الى الشام ودان له اهل الحيرة والانبار (٣).

وكان يمتد سلطان امرئ القيس البدء ابن عمرو بن عدي على ربيعة ومضر وسائر من بادية العراق والحجاز والجزيرة (٤) وحط بعضهم من قيمة مملكة النعمان ابن الاسود . فان مجلساً ضم بعض الادباء تذاكروا في شعر النابغة حتى انشدوا قوله :

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

فقال شيخ من بني مرّة ما الذي رأى في النعمان حيث يقول هـذا وهل كان النعمان الا على منظرة من مناظر الحيرة ؟ (٥)

وجاء عن المنذر بن ماء السماء انه كان ملك الحيرة واليمامة (٦) واستولى الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي على الحيرة بمعاونة قباذ (٥٢٩ — ٥٣١) جمع ملك العراق وعمان وبعد نكبته انشد حفيده امرؤ القيس :

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق الى عمان (٧)

ولما انقضى امر كندة وسع ملوك الحيرة نطاق مملكتهم فشملت النصف الشمالي من جزيرة العرب والجانب الشرقي منها مما يلي خليج فارس (٨) ومما يشهد بامتداد سلطان المناذرة الى البحرين ما رواه التاريخ عن صحيفتي المتلمس وابن

---

(١) ورد اللفظ « جاماس » هناك والصحيح انها صراة جاماسب كما ضبطها ياقوت في معجم البلدان (٢) تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ص ٦٤

(٣) ابن الاثير ١ : ١٥٣ (٤) كذلك ١ : ١٥٥

(٥) الاغاني ٩ : ١٥٥ (٦) جواهر الادب ٣ : ١٦٨

(٧) شعراء النصرانية ٦٧ (٨) مجلة المقتطف فبراير ١٩١٤ ص ١٦٣

اخته طرفة بن العبد اللذين كتب لهما عمرو بن هند لهلاكهما (١) وفي شعر لبيد (٢) في النعمان بن المنذر ابي قابوس دلالة واضحة على سعة ملكه اذ انشد:

لبيك على النعمان شرب وقينة   ومختبطات كالسعالي ارامل

له الملك في ضاحي معد وأسلمت   اليه العباد كلها مايحاول

ومثله قول ابن رومانس الكلبي وهو اخو النعمان لامه (٣) وامهما رومانس

ما فلاحي بعد الاولى عمروا الحيرة ما ان ارى لهم من باق

ولهم كان كل من ضرب العير   ر بنجد الى تخوم العراق

وكانت في تلك التضاعيف قبائل العرب تنتمي الى احدى الدول العربية الثلاث الغسانيّة والكنديّة واللخمية ومرّت برهة من الدهر كان فيها هذا الانتماء كالفرض الواجب فمن لاينتمي الى احداها سموه الاحمس والجمع الحمس واشهر الحمس في الجاهلية حمس قريش فكانوا لقاحاً لايدينون للملوك(٤)

وكان الاكاسرة يعطون احياناً للمناذرة خراج بعض البلدان لخدمات يقومون بها . وقد استنجد بهرام جور (٥) النعمان بن المنذر في قتال كسرى ابرويز فاشترط عليه ان يعطيه نصف خراج بَرس وكوثا (٦)

قلنا فويق هذا ان ارادة ملوك الفرس الاكاسرة كانت عاملا من اشد العوامل في انبساط ملك المناذرة وضيقه . فاذا كان ملك الفرس مطمئناً من العرب ومن سياستهم فسح لهم المجال واذا اوجس منهم شراً ضيّق الخناق عليهم

---

(١) الاغاني ١٥ : ١٤٥ و ٢١ : ١٢٥   (٢) معجم البلدان المادة «حسم»

(٣) معجم البلدان «الحيرة»   (٤) زيدان: العرب قبل الاسلام ١ : ٢١٣

(٥) هكذا روى الاسم ياقوت ولكن لاتتفق روايته والتاريخ لان بهرام جور حكم من ٤٢٠ — ٤٣٨ وكان معاصراً للنعمان الاعور او السائح وابنه ولم يكن معاصراً للنعمان بن المنذر وكان منازع بهرام في الملك غير كسرى ابرويز بل هو كسرى من نسل اردشير وقد انتصر النعمان السائح وابنه المنذر لبهرام جور

(٦) معجم البلدان « قنطرة النعمان »

روى المؤرخون (١) ان سابور ذا الاكتاف (٣٠٩—٣٧٩ م) اختار موضعاً جعله حصناً وباباً لبلاد السواد مما يلي الروم وسماه فيروز سابور وكان هذا الموضع مساكن العرب فنقلهم الى بقة والعقير وكوّره كورة كان حدها من هيت وعانات الى قطربل وفيها مدينة الانبار وما اتصل بها الى القرى ببغداد واستعمل على مرازبتها شيلي بن فروخ زادان وضم اليه مرزبة سقي الفرات واسكنها اثنين من قواده . ويقال ان سابور حفر خندقاً في برية الكوفة بينه وبين العرب خوف شرهم وسمي خندق سابور (٢)

ولما ساد كسرى انوشروان (٥٣١—٥٧٨م) بلغه ان طوائف من الاعراب يغيرون على ماقرب من السواد الى البادية فامر بتجديد سور مدينة تعرف بالنسر كان سابور ذو الاكتاف بناها وجعلها مسلحة تحفظ ماقرب من البادية وامر بحفر خندق من هيت يشق طف البادية الى كاظمة مما يلي البصرة وينفذ الى البحرين وبنى عليه المناظر والجواسق ونظمه بالمسالح ليكون ذلك مانعاً لاهل البادية من السواد فخرجت هيت وعانات بسبب ذلك الخندق من طسوج شاه فيروز لان عانات كانت قرى مضمومة الى هيت (٣) .

لنعد الآن الى تقسيم العراق الاداري في عهد ملوك الحيرة وذلك في عهد ملوك الحيرة وذلك في سقي الفرات منه فقط لماله من الصلة الوثيقة بملك المناذرة.

جاء في معجم البلدان في المادة (بهقباذ) : اسم لثلاث كور ببغداد من اعمال سقي الفرات منسوبة الى قباذ بن فيروز والد انو شروان منها بهقباذ الاعلى سقيه من الفرات وهو ستة طساسيج طسوج خطارنية وطسوج النهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلى وطسوج بابل . والبهقباد الاوسط وهي اربعة طساسيج طسوج سورا وطسوج باروسما والجبة والبداة وطسوج نهر الملك والبهقباذ الاسفل خمسة طساسيج الكوفة وفرات بادقلي والسلحين وطسوج الحيرة وطسوج هرمزجرد.

---

(١) معجم البلدان « فيروز سابور » (٢) معجم البلدان « خندق »
(٣) كذلك .

فيتضح من هذا التقسيم ان مملكة الحيرة قامت في البهقباذ الاسفل ولم تحرم من نفوذ في البهقباذ الاعلى لوجود عين التمر والفلوجتين فيه ولكن ليس لدينا من الروايات التاريخية ما يحملنا على البت بنفوذها في البهقباذ الاوسط .

وقال ابن رستة (١) في ذكر خراج الكوفة : ان خراج الكوفة داخل في خراج طساسيج السواد وطساسيجها التي تنسب اليها طسوج الجبة وطسوج البداة وفرات بادقلا والسالحين ونهر يوسف والحيرة منها على ثلاثة اميال والحيرة على النجف والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقيلة وغيرهم ومنازل ملوك بني نصر واغلب اهل الحيرة نصارى فمنهم من قبائل العرب على دين النصرانية من بني تميم آل عدي بن زيد العبادي الشاعر ومن سليم ومن طيء ومن غيرهم والخورنق بالقرب منها مما يلي المشرق وبينه وبين الحيرة ثلثة اميال والسدير في برية تقرب منها .

يجدر بنا ان نذكر الطرق التي سلكها المسافرون من الكوفة الى مكة والى البصرة والى دمشق لنهتدي بواسطتها الى مواقع بعض المدن والبقاع التي جاءت اسماؤها .

قال ابن رستة : من الكوفة الى القادسية ١٥ ميلا ومن القادسية الى العذيب ٦ اميال وهي مسلحة كانت للفرس على طريق البادية وبين العذيب والقادسية حائطان متصلان من جانبيهما نخيل فاذا خرجت منه دخلت البرية ومن القادسية الى المغيثة ٣٠ ميلا وهو منزل فيه برك لماء السماء والمتعشي فيه بوادي السباع على رأس ١٥ ميلا ومن المغيثة الى القرعاء ٣٢ ميلا ومن القرعاء الى الواقصة ٢٤ ميلا وهو منزل كثير الاهل فيه دور وقصور والماء فيه برك وآبار ومن الواقصة الى العقبة ٢٩ ميلا ومن العقبة الى القاع ٢٤ ميلا ومن القاع الى زبالة ٢٤ ميلا وهي قرية عظيمة بها اسواق ومن زبالة الى الشقوق ٢١ ميلا ومن الشقوق الى البطانية وهو قبر العبادي ٢٩ ميلا ومن البطانية الى الثعلبية ٢٩ ميلا وهي مدينة عليها سور وفيها حمامات وسوق وهي ثلث الطريق الى مكة

---

(١) الاعلاق النفيسة ٣٠٩

وفيها مسجد وجامع ومنبر والماء من البرك ومن الثعلبية الى الخزيمية ٣٢ ميلا وكان هذا المنزل يسمى زرود ومن الخزيمية الى الاجفر ٤٢ ميلا ومن الاجفر الى فيد ٣١ ميلا الخ . .

واما الطريق من الكوفة الى البصرة فقد قال ابن رستة (٢) من الكوفة الى القرعاء الى مارق القلع فالى سلمسنان فالى اقر الاخاديد فمين صيد فعين جمل فالبصرة مسافة هذا الطريق ٨٥ ميلا .

واما الطريق من الكوفة الى دمشق فقد قال ابن خرداذبة ما يأتي : هو من الحيرة الى القطقطانة ثم الى البقعة ثم الى الابيض والى الحوشي والى الجمع والى الخطير والى الجبة والى القلو في الروادي ثم الى الساعدة والبقيعة فالاعناك فالاذرعات فالمنزل فدمشق .

ترى في القسم الآتي من هذا الفصل معجماً لاسماء المدن والبقاع والمياه والاودية وغيرها مما له علاقة بتاريخ الحيرة وقد نظمناه على ترتيب حروف الهجاء وضربنا صفحاً عن قصور الحيرة ودياراتها في هذا المعجم لاننا عقدنا لكل منهما فصلا خاصا في كتابنا هذا . كما اننا اهملنا ذكر مدينة الحيرة نفسها عاصمة المناذرة للسبب عينه .



(١) الاعلاق النفيسة ١٧٥ — ١٧٦ (٢) الاعلاق النفيسة ص ١٨٠

(٣) كتاب المسالك والممالك ص ٩٩

المعجم الهجائي

أباغ (١) — قال ابو عبيدة أُباغ بالضم وقال الاصمعي أباغ بالفتح قال ابو الفتح التميمي النساب كانت منازل إياد بن نزار بعين اباغ واباغ رجل من العمالقة نزل ذلك الماء فنسب اليه وعين اباغ ليست بعين ماء وانما هو واد وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام. وكان عندها في الجاهلية يوم لهم بين ملوك غسان ملوك الشام وملوك لخم ملوك الحيرة قتل فيها المنذر بن المنذر امرئ القيس اللخمي . . فقال الشاعر .

بعين أُباغ قاسمْنا المنايا   فكان قسيمها خير قسيم

وقد اسقط النابغة الذبياني الهمزة من اوله . . قال يمدح آل غسان .

يوما حليمة كانا من قديمهم   وعين باغ فكان الامر ما ائتمرا
ياقومِ إن ابن هند غير تارككم   فلا تكونوا لادنى وقعة جُزُرا

أجأ — اسم جبل وهو حد جبلي طيء وهو غربي فيد . قال عارق الطائي

ومن مُبلغٌ عمرو بن هند رسالة   اذا استحقبتها العيس تُمضَى من البعد
ايوعدني والرمل بيني وبينه   تأمل رويداً ما امامة من هند
ومن أجاء حولي رعانٌ كأنها   قنابل خيل من كميت ومن ورد

وقال لبيد يصف كُتيبة النعمان :

أوت للشباح واهتدت بصليلها   كتائب خضر ليس فيهن ناكل
كاركان سلمى إذ بدت او كأنها   ذرى أجاء اذ لاح فيه مواسل

أطد — ارض قرب الكوفة من جهة البر نزلها جيش المسلمين في اول ايام الفتوح .

أفاق — موضعان في بلاد بني يربوع قرب الحمى . كان فيه يوم من ايام

(١) لاننمع في الحواشي الى المأخذ اذا كان معجم البلدان لياقوت الحموي

العرب جاء ذكره في شعر عدي بن زيد العبادي يصف سحاباً :

أرقت لمكفهر بات فيه ... بوارق يرتقين رؤس شيب

تلوح المشرفية في ذراه ... ويجلو صفح دخدار قشيب

كأن ما آتماً باتت عليه ... خضبن مآليا بدم صبيب

سقى بطن العقيق الى أفاق ... ففاثور الى كبب الكثيب

وقال لبيد :

ولدى النعمان مني موقف ... بين فاثور أفاق فالدحل

الافاقة — موضع من ارض الحزن قرب الكوفة .. وقال المفضل هو ماء لبني يربوع وكان النعمان بن المنذر يبدو له في ايام الربيع .. ويوم الافاقة من ايامهم واغار بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني على بني يربوع بالافاقة فاسروه وهزموا جيشه وكانت الافاقة من منازل آل المنذر فلذلك .. قال لبيد :

ابيك على النعمان شرب وقينة ... ومختبطات كالسعالي ارامل

له الملك في ضاحي معد واسلمت ... اليه العباد كلها ما يحاول

ثم قال :

فان امرأ يرجو الفلاح وقد رأى ... سواماً وحياً بالافاقة جاهل

غداة غدوا منها وآزر سربهم ... مواكب تحدى بالغبيط وجامل

يوم اجازت قلة الحزن منهم ... مواكب تعلو ذا حساً وقنابل

وقال لبيد :

شهدت أنجية الافاقة عالياً ... كعبي وارداف الملوك شهود

اكيراح — رستاق نزه بارض الكوفة . والاكيراح ايضاً بيوت صغار تسكنها الرهبان الذين لا قلالي لهم يقال لواحدها كرح بالقرب منها ديران يقال لاحدهما دير مار عبدا وللآخر دير حنة وهو موضوع بظاهر الكوفة كثير البساتين والرياض ، وحدث ابو جعفر احمد بن ابي الهيثم البجلي قال : رأيت الاكيراح وهو على سبعة فراسخ من الحيرة على مغرب الشمس من الحيرة وفيه

ديارات فيها عيون وآبار محفورة يدخلها الماء .

قال بكر بن خارجة :

دع البساتين من آس وتفاح · واقصد الى الشيخ من ذات الاكيراح

الى الدساكر فالدير المقابلها · لدى الاكيراح او دير ابن وضاح

منازل لم أزل حينا الازمها · لزوم عاد السدات روّاح

أليس — موضع كانت فيه وقعة بين المسلمين والفرس في اول ارض العراق من ناحية البادية وفي كتاب الفتوح قرية من قرى الانبار ذكرها في غزوة أليس .

أمغيشيا — موضع كان بالعراق كانت فيه وقعة بين المسلمين واميرهم خالد بن الوليد وبين الفرس فلما ملكها المسلمون امر خالد بهدمها وكانت مصراً كالحيرة وكان فرات بادقلي ينتهي اليها وكانت أليس من مسالحها.

الانبار — مدينة على الفرات غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروزسابور وسمّاها كتبة اليونان Anéobartis (١) واختلف المؤرخون في بانيها فذهب ابن الاثير الى انه بختنصر وذكر ياقوت انه سابور ذو الاكتاف فتحها خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر الصديق في سنة ١٢ هجرية واتخذها السفاح عاصمة ملكه ومات في الحيرة وسكنها اخوه المنصور ايضاً وقال المستوفي ان نبوخذ نصر اسكن فيها اليهود الذين جلاهم الى بلابل (٢) وجاء ذكرها في شعر العاصم بن عمرو قال :

لنا تي معشراً البو علينا · الى الانبار انبار العباد (٣)

أنقرة — موضع بنواحي الحيرة ورد ذكره في ابيات الاسود بن

---

(١) الفهرست لامين واصف Le Strange : The Landsofthe Eastern Caliphate 65

(٢) معجم البلدان · (٣) الاغاني ٨ : ٦٧ و ١٤ : ٧١

يعفر النهشلي قال :

ماذا أؤمل بعد آل محرق | تركوا منازلهم بعد اياد
اهل الخورنق والسدير وبارق | والقصر ذي الشرفات من سنداد
نزلوا بانقرة يسيل عليهم | ماء الفرات يجيء من اطواد

ويقال ان انقرة ببلاد الروم ففي ذلك يقول الشاعر :

حلوا بانقرة يسيل عليهم | ماء الفرات يجيء من اطواد(١)

أوارة — اسم ماء او جبل لبني تميم .. قيل بناحية البحرين وهو الموضع الذي حرق فيه عمرو بن هند بني تميم ذكرها في شعره كل من الاعشى وزهير وابن دريد .

بارق — ماء بالعراق وهو الحد بين القادسية والبصرة وهو من اعمال الكوفة وقد ذكره الشعراء فاكثروا .. قال الاسود بن يعفر :

اهل الخورنق والسدير وبارق | والقصر ذي الشرفات من سنداد

بانبورا — ناحية بالحيرة من ارض العراق .

بانقيا — ناحية من نواحي الكوفة . جاء ذكرها في الفتوح . بعث خالد جرير بن عبد الله الى بانقيا فخرج اليه بُصبهري بن صلوبا فاعتذر اليه وصالحه على الف درهم وطيلسان وقال ليس لاحد من اهل السواد عهد الا لاهل الحيرة وأُليس وبانقيا فلذلك قالوا لا يصلح بيع ارض دون الجبل الا ارض بني صلوبا وارض الحيرة .

الباهوت — قال ابن خلدون (٢) في تاريخه الباهوت مسلحة كسرى في الحيرة .

البردان — ماء بالسماوة دون الجناب وبعد الحي من جهة العراق .

---

(١) الاغاني ٢٠ : ٢٥

(٢) كتاب العبر ٢ : ١٨٠

والبردان ايضاً بالكوفة وكان منزل وبرة بن روماس ... قال هشام هو وبرة الاصغر ابن روماس بن معقل بن محاسن بن عمرو بن عبد ودّ بن عوف بن كنانة بن عوف بن عُذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة اخو النعمان بن المنذر لامه ثاث ودفن بهذا الموضع .

برقاء شمليل — قال الملك النعمان بن المنذر يخاطب الربيع بن زياد العبسي :

شرّد برحلك عني حيث شئت ولا ... تكثر عليّ ودع عنك الاقاويلا
فقد رُميت بداء لست غاسله ... ماجاوز النيل يوماً اهل ابليلا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذباً ... فما اعتذارك من قول اذا قيلا
وما اعتذارك منه بعد ماجَزَعتْ ... ايدي المطايا به برقاء شمليلا

برقة صادر — من منازل بني عذرة .. قال النابغة يمدحهم :

وقد قلت للنعمان يوم لقيته ... بريد بني حُنٍّ ببرقة صادر

بسوسا — موضع قرب الكوفة نزله مهران ايام الفتوح فسأل المثنى ابن حارثة رجلا من اهل السواد مايقال للبقعة التي فيها مهران وعسكره فقال بسوسا فقال اكذ مهران وهلك نزل منزلا هو البسوس .

بسيطة — ارض في البادية بين الشام والعراق حدها من جهة الشام ماء يقال له (أمر) ومن جهة القبلة موضع يقال له قعبة العلا وهي ارض مستوية .

البسيطة — جادة قالوا انها موضع بين الكوفة وحزن بني يربوع . وقيل ارض بين العذيب والقاع :

بطان — منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية وهو لبني ناشرة من بني اسد .

بقة — اسم موضع قريب من الحيرة وقيل حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الابرش . وقيل هي بين الانبار وهيت وقد اشار اليه قصير

لما قال لجذيمة « ببقة خلفت الراي » وقال نهشل بن حرى :

ومولى عصاني واستبدّ برأيه ... كما لم يطع بالبقتين قصير

وقال ايضاً عدي بن زيد :

دعا بالبقة الامراء يوماً ... جذيمة عام ينجوهم ثبينا

البين — (١) موضع قريب من الحيرة .. وانشد قائله :

سار الى بينها راكب

الثعلبية — من منازل طريق مكة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية وكانت منازل . ويسير طريق مكة من القادسية الى العذيب ثم المغيثة ثم القرعاء ثم واقصة ثم العقبة ثم القاع ثم زبالة ثم شقوق ثم قبر العبادي ثم الثعلبية وهي ثلث الطريق . ثم الخزيمية وهي ثلثا الطريق (٢)

الثوية — (٣) جاء ذكرها في شعر لعدي بن زيد قال :

ويح أمّ دار حللنا بها ... بين الثوية والمردمة

برية غرست في السواد ... كغرس المضيفة في الهزمة

لسان لغربة ذو ولفة ... تولع في الريف بالهندمة (٤)

جاء في معجم البلدان : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها ذكر العلماء انها كانت سجناً للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من اراد قتله وقال ابو حيان دفن المغيرة ابن شعبة بالكوفة بموضع يقال له الثوية (٥) . ولما هرب الحرث بن عمرو من امام المنذر من الانبار مرّ بالثوية (٦)

---

(١) البكري : معجم مااستعجم ١٨٩ (٢) معجم البلدان « قبر العبادي » و « الثعلبية » (٣) تكتب بالفتح ثم الكسر وياء مشددة ويقال الثوية بلفظ التصغير (٤) شعراء النصرانية ٤٧٢ (٥) معجم البلدان

(٦) الاغاني ٨ : ٦٢

الجرف — موضع بالحيرة كانت به منازل المنذر .

الجرعة — قيل انه موضع قرب الكوفة وجاء ان خالد بن الوليد لما قدم العراق نزل بالجرعة بين النجفة والحيرة وضبطه بسكون الراء راجع ص٢٢ و٤٤ من كتابنا هذا .

الجسر — قرب الحيرة جاء ذكره في تاريخ الفتح فقال العرب الجسر او يوم الجسر ويعرف ايضاً بيوم قس قُس الناطف . قدم المسلمون الى باتقيا فامر ابو عبيد بعقد جسر على الفرات ويقال بل كان الجسر قديماً هناك لاهل الحيرة يعبرون عليه الى ضياعهم فاصلحه ابو عبيد وذلك سنة ١٣هجرية وعبر الى عسكر الفرس وواقعهم فكثروا على المسلمين ونكوا فيهم نكاية قبيحة لم ينكوا في المسلمين قبلها ولا بعدها مثلها وقتل ابو عبيد .

جفر الاملاك — في ارض الحيرة وفيه كان دير بني مرينا وفيه دُفن اثنا عشرشابا من بني حجر بن عمرو آكل المرار وامر بضرب اعناقهم وفي رثائهم يقول امرؤ القيس :

فلو في يوم معركة اصيبوا ولكن في ديار بني مرينا

بظاهر الكوفة عند النخيلة . واشتهر في معركة قامت بين الكوفيين والخوارج في يوم نهروان في خلافة معاوية .

الحضوض — نهر كان بين الحيرة والقادسية .

حفير — موضع ورد ذكره في حكاية عدي بن زيد . قيل مكث سنين يبدو في فصلي السنة فيقيم في حفير ويشتو بالحيرة (الاغاني ٢ : ٢٠) وكان لايؤثر على بلاد بني يربوع مبدئ من مباديء العرب ، قال البكري « حفير » موضوع معروفة بالحيرة وجاء في معجم البلدان اسما لعدة مواضع ومياه وجاء ذكر الحفير في شعر ابن بقيلة يذكر زوال ملك المناذرة بعد الفتح قال :

وبعد فوارس النعمان ارعى قلوصا بين مرة والحفير

الحيرة — وهي اسم عاصمة مملكة الحيرة وقد عقدنا لها فصلا خاصا بها في هذا الكتاب (١)

خانقين — بلدة في نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .. وقال البشاري : وخانقين ايضا بلدة بالكوفة والله اعلم . وفي رواية ان النعمان ابا قابوس لقي حتفه في خانقين اذ كان مسجونا بامر من كسرى

الخزيمية — منزل من منازل الحاج بعد الثعلبية من الكوفة وقيل الاجفر وقال قوم بينه وبين الثعلبية اثنان وثلاثون ميلا وقيل انهـا الحزيمية بالحاء المهملة .

الخص — قرية قرب القادسية قال عدي بن زيد (٢)

تأكل ماشئت وتعتلها   خمراً من الخص كلون الفصوص

وقال حاتم الطائي :

مازلت اسعى بين خُص ودارة   ولحيان حتى خفت ان اتنصّرا

الخصوص — موضع قريب من الكوفة تنسب اليه الدنان فيقال دنٌ خصيّ وقال عدي بن زيد :

أبلغ خليليّ عند هند فلا   زلت قريباً من سواد الخصوص

خفان — موضع قريب من الكوفة .

خفية — (٣) اجمة في سواد الكوفة بينها وبين الرحبة بضعة عشر ميلا وهي غربي الرحبة ومنها الى عين الرهيمة وقيل عين خفية وكان فيها اسود وذكرها الذهاب العجلي في شعره فقال :

ابى القلب ان يهوى السدير واهله   وان قيل عيش بالسدير غرير

به البق والحمى واسد خفية   وعمرو بن هند يعتدي ويجور

دارة — ورد في معجم البلدان عشرات من المواضع باسم دارة مضافة

---

(١) ص ١٥ — ١٨   (٢) الاغاني ٨ : ٦٢   (٣) الاغاني ٢١ : ١٢٦

الى غيرها ومنها دارة الوارد ذكرها في قول حاتم الطائي :

« مازلت اسعى بين خص ودارة »

الدبا — قال البكري هو موضوع بظهر الحيرة معروف واستعمل خالد بن عبدالله القسري رجلا من ربيعة على ظهر الحيرة فلما كان يوم النيروز اهدى الدهاقين والعمال جامات الذهب والفضة واهدى هو قفصاً من ضباب(١)

ذو خشب — موضع جاء ذكره في شعر عدي بن زيد :

اذا حلّ اهلي بالخورنق فالحيرة واحتلوا بذي خشب(٢)

وجاء في معجم ياقوت في المادة (خشب) ذو خشب من مخاليف اليمن ولا اظنه الموضع الذي اراده عدي بن زيد في شعره .

ذو المجاز — موضع جمع به عمرو بن هند بكراً وتغلب واصلح بينهما واخذ منها الوثائق والرهون جاء ذكره في معلقة الحارث ابن حلزة اليشكري(٣).

واذكروا حلف ذي المجاز وماقد م فيه العهود والكفلاء

رامح — من منازل إياد بالعراق قال ابو دؤاد الايادي :

اقفر الدير فالاجارع من قو مي فروق فرامح فخفيه

فتلال الملا الى جرف سندا د فقو الى نعاف طميه

كلها نحو الحيرة من ارض العراق.

رحبة — ماء لبني قرير باجا . والرُحبة ايضاً قرية بحذا القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحُجّاج اذا ارادوا مكة قال السكوني من اراد الغرب دون المغيثة خرج على عيون طف الحجاز فاولها عين الرحبة وهي من القادسية على ثلاثة اميال ثم عين خفية والرحب .

الروق — موضع بنواحي العراق من جهة البادية جاء ذكره في شعر

---

(١) البكري : معجم ماastعجم ٢٣٨ (٢) البكري معجم ماستعجم

(٣) شرح المعلقات ص ٢٣٨

ابي دؤاد الايادي الذي مر في المادة (رامح) قبيل هذا .

الرهيمة — ضيعة قريبة من الكوفة قال السكوني هي عين بعد خفية إ ثلاثة اميال وبعدها القطيفة مغرباً .

روضة سلهب — بدومة الجندل التي بالعراق

الزوراء — ذكرت في فصل قصور الحيرة من هذا الكتاب ص٢٦

زورة — موضع بين الكوفة والشام وقيل هو موضع الكوفة وانشد قول طُخيم بن الطخاء الاسدي يمدح قوماً من اهل الحيرة من بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم رهط عدي بن زيد العبادي

كأن لم يكن يوم بزورة صالح   وبالقصر ظلّ دائم وصديق

الى ان قال :

واني وان كانوا نصارى احبهم   ويرتاح قلبي نحوهم ويتوق

وفي كتاب الآمدي:

كأن لم يكن بالقصر قصر مقاتل   وزورة ظلّ ناعم وصديق

سحيل — ارض بين الكوفة والشام وكان النعمان بن المنذر يحمي بها العشب لنجائبه .

السعيدة — بيت كانت العرب تحجه قال ابن دريد احسبه قريباً من سنداد وقال ابن الكلبي وهو على شاطئ الفرات والقولان متقاربان

السكرة — ماء قرب القادسية نزله بعض جيوش سعد ايام الفتوح .

سُلام — او بالتحريف : موضع عند قصر مقاتل بين عين التمر والشام وقال غيره السّلام منزل بعد قصر بني مقاتل للمغرّب الذي يطلب السماوة ،وهو القطقطانة راجع ص ٢٧ من كتابنا هذا .

السماوة — قال ابو المنذر انما سميت السماوة لانها ارض مستوية لاحجر

بها والسماوة ماء البادية . وكانت ام النعمان سميت بهـا فـكان اسمها ماء فسمتهـا العرب ماء السماء . وبادية السماوة التي هي بين الـكوفة والشام قفرى اظنهامسماة بهذا الماء . وقال السكري السماوة ماءة لـكلب . وقد نزل بهـا العلاف وهم بنو ذبان بن تغلب بن حلوان بعد اغارة بني كنانة بن خزيمة عليهم . وجاء الضحاك ابن قيس في بريده فاخذ على السماوة ومر بواقصة وشراف لما اغار على الحيرة (١)

سنداد — قصر بالعذيب . وسنداد نهر يدل على صحـة ذلك قول ابي دؤاد الايادي :

أقفر الدير فالاجارع من قو   مي فروق فراسخ فخفيّه
فتلاع الملا الى جرف سندا   د فقوّ الى نعام طميّـه
موحشات من الانس بها الو   حش خنا طيل موطن او بنيّه

وقال السكوني ، سنداد منازل لاياد نزلتها لما قاربت الريف بعد اصاف وثمرج وناظرة وهو اسفل سواد الـكوفة وراء نجران الـكوفة . وجاء ذكر سنداد في ابيات لاسود بن يعفر اذ يقول : والقصر ذي الشرفات من سنـداد وقال ابن الـكلبي . وكانت إياد تنزل سنداد . وسنـداد نهر فيما بين الحـيرة الى الأبلة وكان عليه قصر تحج العرب اليـه وهو القصر الذي ذكره الاسود بن يعفر (٢) .

سندان — واد في شعر ابي دؤاد الايادي .

السواد — رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطاب وحدّ السواد من حديثة الموصل طولا الى عبادان ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً .. قالوا وليس لاهل السواد عهد الا الحيرة وأليس وبانقيا فلذلك يقال لايصح بيع ارض السواد دون الجبل لانهـا فيء للمسلمـين عامة الاّ اراضي بني صلوبا والحيرة .

---

(١) الاغاني : ١١ : ١٥٦ و ١٤ : ١٣٨ و ١٥ : ٤٤   (٢) جاء في الاغـاني ٢ : ٢٣ عن سنداد انتشرت اياد مابين سنداد الى كاظمـة والى بارق والخورنق

السيلحون – (١) ورد في شعر لاعشى قيس يذكر النعمان بن المنذر بعد ان قتله كسرى ابرويز :

ولا الملك النعمان يوم لقيته بامته يعطي القطوط ويأفق
ويجبى اليه السيلحون ودونها صريفون في انهارها والخورنق

والسيلحون قرب الحيرة ضاربة في البر قرب القادسية وقد ذكرها غير واحد من الشعراء كالجعدي وعمرو بن الاهتم وهاني بن مسعود والاشعث بن عبد الحجر وسليمان بن ثمامة . وهو طسوج قائم براسه من كورة بهقباذ الاسفل من الجانب الغربي في عرف كتاب الخراج .

شماري – (٢) بستان في ظهر الحيرة لبعض الاشاعثة جاء ذكره في عهد هرون الرشيد وقيل فيه :

جنان شماري ليس مثلك نظير لذي رمد اعيا عليه طبيب
ترابك كافور ونورك زهرة لها ارج بعد الهدو يطيب

صراة جاماسب – تستمد من الفرات وقد امتدت ملك جذيمة الوضاح شطي الفرات الى صراة جاماسب والى الانبار وما وراء جاماسب وما وراء ذلك الى السواد (٣)

صريفون – قال ياقوت صريفون في سواد العراق في موضعين احدهما قرية كبيرة غناء شجراء قرب عكبرا واوانا وصريفون الاخرى من قرى واسط وقال وصيرفين من قرى الكوفة .

واستطالوا على الفرات حتى خالطوا ارض الجزيرة ولم يزالوا يغيرون على اهاليهم من ارض السواد ويغزون ملوك آل نصر الى ان غزاهم كسرى

(١) شعراء النصرانية ٣٨٣ (٢) الاغاني ٥ : ١٠

(٣) شرح مقصورة ابن دريد ص ١٥

الصنين — بلد كان بظاهر الكوفة كان من منازل المنذر وبه نهر ومزارع وسجن النعمان بن المنذر فيه عدي بن زيد .

الطف — هو في اللغة ما اشرف من ارض العرب على ريف العراق ، والطف ارض من ضاحية الكوفة في طريق البرية فيها كان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه وهي ارض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية منها الصيد والقُطقُطانة والرهيمة وعين جمل وذواتها وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب وغيرهم. فلما كان يوم ذي قار وانتصر العرب على الاعجام غلبت العرب على طائفة من تلك العيون .

العال — يقال للانبار وبادوريا وقطربّل ومسكن الاستان العال وقد ذكره عبيد الله بن قيس الرقيات فقال :

شب بالعال كثيرة نار   شوّقتنا واين منها المزار
اوقدتها بالمسك والعنبر الرطب فتاة يضيق عنها الازار

وكان اول من غزا ارض العراق من المسلمين المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم الشيباني وقال البلاذري يعني بالعال الانبار وقطربّل ومكسن وبادوريا .

عجلة — موضع قرب الانبار سمي باسم امرأة يقال لها عجلة بنت عمرو ابن عدي جد ملوك لخم وقال ابن الكلبي كانت عجلة وسحنة امرأتين بنتي عمرو ابن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن مسعود بن عمم بن عمارة ويظن ياقوت ان سحنة ايضاً مدينة قرب الانبار واهل الانبار يسمونها سحنة .

عدان و عزان — مدينتان كانتا متقابلتين على ضفتي الفرات فعزان كانت للزباء وعدّان لاختها .

العذيب — ماء بين القادسية والمغيثة بينه وبين القادسية اربعة اميال

والى المغيثة اثنان وثلاثون ميلا وقيل هو واد لبني تميم وقيل هو حد السواد وقال ابو عبدالله السكوني العذيب يخرج من قادسية الكوفة اليه وكانت مسلحة للفرس بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل وهي ستة اميال فاذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة .

عقر بابل — قرب كربلاء من الكوفة

عمير اللصوص — قريتان من الحيرة . قال عدي بن زيد :

ابلـغ خليلي عند هند فلا زلت قريباً من سواد الخصوص
موازي القـرة او دونهـا غير بعيد من عمير اللصوص (١)

عين — أتت مضافة الى اسماء اخرى كما ترى .

عين اباغ — واد وراء الانبار على طريق الفرات الى الشام ووقعتها مشهورة في تاريخ مملكة الحيرة . راجع ص ١٧٨ من هذا الكتاب

عين التمر — بلدة قريبة من الانبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له شفاثا وهي على طرف البادية (٢)

عين جمل — بنواحي الكوفة من النجف قرب القطقطانة وهي مع عدة عيون يقال لها العيون .

عين شمس — مابين العذيب والقادسية .

عين صيد — وهي بين واسط العراق وخفان بالسواد مما يلي البر تعدّ في الطف بالكوفة

عين ظبي — موضع بين الكوفة والشام في طرف السماوة

الغبيط — في حزن بني يربوع وهو قف غليظ مسيرة ثلاثة ايام في

---

(١) شعراء النصرانية ٤٧٢ (٢) الاغاني ٣ : ١٢٣ و ١٤ : ٧١ و ١٨ : ١٤٢ و ٢٠ : ١٣٤ ، ١٣٨

مثلها وهو بين الكوفة وفيه اودية منها الغبيط واياد وذو طلوح وذو كريت

الغريان — بناءآن كالصومعتين بظاهر الكوفة قرب قبر علي بن ابي طالب (رض) بناهما المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء على نديميه خالد بن فضلة وعمرو بن مسعود اذ قتلهما في ليلة سكره فندم في الصباح على فعلته هذه فبنى لهما طربالين وامر وفود العرب ان تمرّ من بينهما وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم وكان يقتل في يوم بؤسه من يلاقيه ويغري بدمه الطربالين (١)

الغمير — موقع في اطراف البر

الغوير — قيل هو ماء لكلب بارض السماوة بين العراق والشام والغوير موضع على الفرات فيه قالت الزباء (عسى الغوير أبؤسا) وسار قولها مثلا وذلك انه كان للزباء سرب تلجأ اليه في قصة قصير ارتابت واستشعرت فقالت (عسى الغوير أبؤساً)

القادسية — بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً وبينها وبين العذيب اربعة اميال قال المدايني كانت القادسية تسمى قديساً وفي وصف سعد ابن ابي وقاص ان القادسية فيما بين الخندق والعتيق وانما عن يسار القادسية بحر اخضر في جوف لاحٍ الى الحيرة بين طريقين فاما احداهما فعلى الظهر واما الاخرى فعلى شاطىء نهر يسمى الحضوض يطلع من يسلكه على مابين الخورنق والحيرة وانما عن يمين القادسية فيض من فيوض مياههم وانظر في المادة (الثعلبية) الطريق المؤدية من القادسية الى مكة

قار — ذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط وحنو ذي قار على ليلة منه وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس • (راجع ص٢١٧ من كتابنا هذا)

القورة — قرية قرب القادسية ورد ذكرها في ابيات عدي بن زيد راجع المادة « عمير اللصوص » قبل هذا (٢) .

---

(١) راجع ص ١٧٦ من كتابنا هذا   (٢) شعراء النصرانية ٤٧٠

قس الناطف — وهو موضع قريب من الكوفة على الشاطئ الشرقي والمَرْوحة موضع بشاطئ الفرات الغربي .

القطقطانة — موضع قرب الكوفة من جهة البرّية بالطف به كان سجن النعمان بن المنذر . وقال ابو عبيدالله السكوني القطقطانة بالطف بينها وبين الرهيمة مغربا نيف وعشرون ميلا اذا خرجت من القادسية تريد الشام ومنه الى قصر مقاتل ثم القُريات ثم السماوة ومن اراد خرج من القطقطانة الى عين التمر ثم ينحط حتى يقرب من الفيوم الى هيت ، وذكر ابن خرداذبة هي اول مرحلة من الحيرة للسائر الى دمشق (١) ولا تزال معروفة حتى يومنا هذا باسمها المصحّف (طقطقانة) ويظهر هذا الاسم في المصورات بالحديثة

قنطرة النعمان — هو النعمان بن المنذر ملك العرب. قرب قرمْسين قال مسعر بن المهلهل الشاعر كان السبب في بناء هذه القنطرة ان النعمان بن المنذر وفد على كسرى ابرويز فيما كان يفد عليه فاجتاز بواد عظيم بعيد القعر صعب النزول والصعود فبينما هو يسير فيه اذ لحق امرأة معها صبيّ تريد العبور فلما جاءها مركبه وقد كشفت ساقها والصبي على عنقها ارتاعت ودهشت فالقت ثيابها وسقط الصبي من عنقها فغرق فغمّ ذلك النعمان ورقّ لها ونذر ان يبني هناك قنطرة فاستأذن كسرى في ذلك فلم يأذن له لئلا يكون للعرب ببلاد العجم اثر فلما وافى بهرام جوبر لقتال ابرويز استنجد النعمان فأنجده على شرائط شرطها ان يجعل له نصف الخراج بفرس وكوثا وان يبني القنطرة التي ذكرناها وهي غاية في العظم والاحكام .. وقال ابن الكلبي قناطر النعمان بقرب قرمسين تنسب الى النعمان بن مقرّن بن عائذ المزني لانه عسكر عندها وهي قديمة من بناء الاكاسرة

كافر — اسم علم لنهر الحيرة وقيل اسم قنطرته ، التي فيه المتلمّس الكتاب الذي كتبه عمرو بن هند الى عامله بالبحرين يقضي به بقتل المتلمّس

---

(١) كتاب المسالك والممالك، والاغاني ١٤ : ٧١ و١٥ : ١١٠

وانشد :

والقيتها بالثني من بطن كافر ... كذلك افنو كل قط مضلل
رضيت لها بالماء لما رأيتها ... يجول بها التيار في كل جدول

كربلاء — هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي (رض) في طرف البرية عند الكوفة ونزل خالد كربلاء عند فتحه الحيرة .

الكعبات — بيت كان لربيعة يطوفون به قال الاسود بن يعفر في بعض الروايات .

اهل الخورنق والسدير وبارق ... والبيت ذي الكعبات من سنداد

كذا قال ابن اسحق في المغازي والرواية المشهورة

« والقصر ذي الشرفات من سنداد »

كوفان — اسم ارض وبها سميت الكوفة .. قال علي بن محمد الكوفي العلوي المعروف بالحماني :

ألا هل سبيل الى نظرة ... بكوفان يحيي بها الناظران
يقلبها الصب دون السدير ... وحيث اقام بها القائمان

الكوفة — المصر المشهور بارض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء ، اتى ابن بقيلة الى سعد بن ابي وقاص فقال له ادلك على ارض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن البقة قال ثم فدله على موضع الكوفة اليوم وكان يقال له سورستان . واما ظاهر الكوفة فانها منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف والخورنق والسدير والغريان وما هناك من المتنزهات والديرة الكبيرة :

لحيان — قصر بالحيرة للنعمان جاء ذكره في شعر حاتم الطائي « راجع المادة (خص) » وقد مر في فصل قصور الحيرة ص٢٥

اللسان — لسان البر الذي ادلعه في الريف عليه الكوفة اليوم والحيرة

قبل اليوم (اي في عهد ياقوت)

مرابض — موضع في قول المتلمس :

ألك السدير وبارق ومرابض ولك الخورنق

مرج مسلح — بالعراق ذكره عاصم بن عمرو التميمي في شعره له ايام له الفتوح فقال يذكر نكاية المسلمين في الفرس:

لعمري وما عمري علي بهين لقد صبحت بالخزي اهل النمارق
بايدى رجال هاجروا نحو دبهم يجوسونهم مابين دورنا وبارق
قتلناهم مابين مرج مسلح وبين الهوافي من طريق البذارق

مرجح — من ذي العضوين قال المكشوح المرادي وكان عمرو بن أمامة وهو ابن المنذر بن ماء السماء الملك نزل على مراد مراغماً لاخيه عمرو بن هند فتجبر عليهم فقتله المكشوح فقال :

نحن قتلنا الكبش اذ ثرنا به بالخل من مرجح اذ قمنا به
بكل سيف جيد يمضى به يختصهم الناس على اغترابه

المردمة — ذكر ياقوت انها جبل لبني مالك بن ربيعة وقيل انها من ديار ابي بكر بن كلاب . جاء ذكر المردمة في قول عدي بن زيد « بين الثوية والمردمة ».

المروحة — موضع بالسواد ، على شاطئ الفرات الغربي وقس الناطف على شاطئها الشرقي .

مرة — (١) ذكر هذا الموضع في شعر ينسب لابن بقيلة يرثي فيه المناذرة وما آلت اليه قصورهم ويندب حاله بعد الفتح :

وبعد فوارس النعمان ادعى قلوصاً بين مرة والحفير

المستراد — موضع في سواد العراق من منازل إياد . قال ابو دؤاد :

---

(١) الطبري ٤ : ١٢٥

أمن رسم يعفّا او رماد وسُفع كالحمامات الفُراد
وانشاء يلُحن على دكيّ بنقع مليحة فالمستراد

مشرق — واد بين العُذيب وعين شمس في عدوتيه الدنيا منهما الى العذيب والقصوى منهما من العذيب ومن عين شمس دفن فيهما شهداء القادسية من المسلمين .

المضيق — موضع مدينة الزبّاء بنت عمرو بن ظرب بن حسّان بن أذينه السميدع بن هوبر العمليقي قاتلة جذيمة قالوا وهي بين بلاد الخانوقة وقرقيسيا على الفرات .

مقر — موضع قرب فرات بادقلا من ناحية البرّ من جهة الحيرة .

ملطاط — قال ابن النجار في كتاب الكوفة وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه الملطاط وانشد لعدي بن زيد :

هيّج الداء في فؤادك حورٌ ناعمات بجانب الملطاط
آنسات الحديث في غير فحش رافعات جوانب الفسطاط
ثانيات قطائف الخز والديباج فوق الخدور والانماط
موقرات من اللحوم وفيها أُطُفٌ في البنان والاقساط
شدّ ما ساءنا حداةٌ تولوا حين حثوا انماطها بالسياط
فرّق الله بينهم من حُداة واستفادوا حمى مكان النشاط
مثل ما هيّجوا فؤادي فامسى هائماً بعد نعمةٍ واغتباط

وقال عاصم بن عمرو في ايام خالد بن الوليد لما فتح السواد وملك الحيرة

شحنّا جانب الملطاط منا بجمع لايزول عن البلاد
لزمنا جانب الملطاط حتى رأينا الزرع يقمع بالحصاد
لنأتي معشراً البوا علينا الى الانبار انبار العباد

نـاب — ورد هذا الاسم في رواية كتاب شعراء النصرانية في صدر

بيت لحاتم الطائي اذ قال : « مازلت اسعى بين ناب ودارة » وقد رواه غيره : « مازلت اسعى بين خُصٍّ ودارة » راجع المادة (الخص) . ولم ار له ذكراً في معجم البلدان وغيره .

نجران — نجران العراق ، موضع على يومين من الكوفة يقال ان نصارى نجران لما اخرجوا اسكنوا هذا الموضع وسمي باسم بلدهم

النجف — وهو بظهر الكوفة كالمُسنّاة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة ومقابرها وهو محل نزه اكثر الشعراء من ذكره ووصفه وتغنوا بافاحيه وجبله وبره وبحره .

النعمانية — جاء في مراصد الاطلاع « النعمانية بالضم منسوب الى رجل اسمه النعمان. بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة » ويقول ياقوت في معجمه في المادة « النعمانية » بليدة بين واسط وبغداد في نصف الطريق على ضفة دجلة معدودة من اعمال الزاب الاعلى وهي قصبته وذكرها ياقوت في المواد : «طسفونج» و «دير العاقول» و «طيسفون» و « قروقد » و « الصافية » ونسب القزويني تأسيسها الى النعمان بن المنذر الا اننا نشك في صحة هذه النسبة غير معتقدين بامتداد سلطان النعمان ملك الحيرة الى ضفاف دجلة . فالراجح انها منسوبة الى رجل اسمه النعمان ولشهرة النعمان ملك الحيرة نسبت اليه على توالي الازمان وهذا رأي اخذ به كوسن دي برسفال(١) .

النقيرة - قرية من قرى عين التمر

النمارق — موضع قرب الكوفة من ارض العراق.

---

(١) تاريخه الفرنسي العرب قبل الاسلام ١ : ١٧٠

وجاء في كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٨٦ : قرية النعمانية وهي مما يلي دجلة وهي مدينة بها تتخذ الطنافس الحيرية وهي مدينة من مدائن الحيرة ويقال لها الحيرة

هيت — (١) بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الانبار وهي مجاورة للبرية ذكرها ابن حوقل وقال انها كثيرة السكان في عهده . وذكرها قبله هيرودوت وسماها ايس ووصف قارها .

يبرين — من اصقاع البحرين ورد ذكره في شعر جاهلي :

اضحى جذيمة في يبرين منزله ‌ ‌ ‌ ‌ قد حاز ماجمعت في دهرها عاد



(١) الاغانى ٨ : ٦٢ و٦٧ و١٤ : ٧١ ولسترنج ٦٥

اضافات

تنبيه:

يرجى من القارىء ان يرجع كلّ اضافة الى محلها المشار اليه .

ص ٣٦

كان اسقف الحيرة والعاقولا يتولى تدبير كرسي سلوقية وطيسفون عند وفاة جاثليق المدائن بشرط خلو كل من كرسي كشكر وزابي. اي ان اسقف الحيرة يأتي في الدرجة الثالثة فيما يخص تدبير الكرسي البطريركي (١) ويلاحظ في تاريخ الحيرة الكنسي عند النساطرة ان كرسي العاقولا كان ملحقاً بكرسي الحيرة.

كان نفوذ كهنة الحيرة كبيراً في انتخاب البطريرك . ومن امثلة ذلك رغب سنة ٧٧٥ الخليفة محمد المهدي في انتخاب راهب من بيت حالي مكافأة له عن غيرته . ففاتح بذلك اسقف كشكر والآباء المجتمعين للانتخاب ببغداد . فوالاه اسقف كشكر واعد الطلب مقبولا . غير ان اهالي الحيرة قاوموا شدّ المقاومة واعتبروا هذا الطلب بدعة وتوصلوا الى تنصيب حنا نيشوع اسقف لاشوم ولم يشركوا في الرسامة اسقف كشكر خلافاً لقوانينهم الكنسية ، ونجحوا بعد ذلك في حمل احد السنهدوسات على الاعتراف بصحة الانتخاب (٢) وكذلك كان للحيريين سنة ٨٣٦ الكلمة الراجحة في انتخاب البطريرك ابراهام الثاني الممدوح لعطفه على فقراء الحيرة (٣) وبعد وفاته ودفنه في الحيرة مات ومرض غير واحد من المرشحين للجثلقة ، فعهد بامر الترشيح البطريركي الى احد نصارى الحيريين ابراهام بن نوح ، وكان مرشّحه ايشوعداد اسقف الحديثة ، الاّ ان بختيشوع الطبيب اقنع الخليفة المتوكل بتعيين تئودوس اسقف جند يسابور (٤)

وحدث في سنة ٨٧٧ جدال بين الحيريين والكشكريين في حق التقدم

---

(١) السمعاني : المكتبة الشرقية ٣ب ص ٦٦٨ (٢) شابو السنهدوسات ٥١٥—٥٢٣ (٣) السمعاني ٣ أ ص ٥٠٨ (٤) كذلك ٢١١

في الحفلات الكنسية فاطناه اسرائيل اسقف كشكر سنة (٨٦٠—٨٧٢) (١)

ومن اخبار اساقفة الحيرة ان البطريرك عمانوئيل (٩٥٠م) نقل عبد مشيحا اسقف الحيرة الى البصرة ، وخلف عبد مشيحا على كرسي الحيرة نسطوريوس المعروف بابن ابراهام، ونقل ماري الثاني الى البصرة يوسف اسقف الحيرة واقام خليفة ليوسف على الحيرة يوحنا برنازوك وهذا الاخير ارتقى الى البطريركية سنة ١٠٢٠ باسم يوحنا السادس. (٢)

وقد روى ابن العبري ان يشوعياب الخامس ١١٤٩—١١٧٥ كان قبل ارتقائه الى البطريركية اسقف الحيرة وروى غيره كان اسقف الجزيرة وجاء في بعض المؤلفات اسم سرجيوس اسقف الحيرة

ص٤٠

وبقيت النصرانية بين قبائل عرب العراق زمناً بعد الفتح في الحيرة والكوفة والانبار وما جاورها من الاصقاع ومما يؤيد ذلك ماجاءعن ابن ملجم في الاخبار الطوال (ص ٢١٦) قيل خرج ابن ملجم ذات يوم الى السوق في الكوفة متقلداً سيفه فرّت به جنازة يشيعها اشراف العرب ومعها القسيسون يقرؤون الانجيل ، فقال ويحكم ماهذا فقالوا هذا ابجر بن جابر العجلي مات نصرانياً وابنه حجار بن ابجر سيد بكر بن وائل فاتبعها اشراف الناس لسودد ابنه وتبعها النصارى لدينه، فقال والله لولا اني ابقي نفسي لامر هو اعظم من هذا لاستعرضتهم بسيفي . وفي صباح اليوم الثاني قتل ابن ملجم الامام علياً (رض)

ص ٤٩ وما بعدها

وص٨٥

والتوسع في مكتشفات الحفارين في الحيرة وفي فن الريازة وصناعة

---

(١) السمعاني المكتبة الشرقية ٣ أ ص ٥١٣

(٢) كذلك م ٣ ب ص ٦٤٠ — ٦٤١ و ٧٥٦

السكوازة وطلاء الخوابي راجع : مقالين للدكتور تلبت رايس في :

(١) Ars Islamica Vol . I . Part 1 . Pages 51-73

(٢) Antiquity Vol vi no . 23 Pages 276-291

ص٥٧

وفي الاوراق المخزونه في متحفة بورجيا ص ٨٠٨ اربع وسبعون قضية رفعها الى البطريرك يشوع بن نون ٨٣٣ — ٨٢٧ الشماس الراهب مكاريوس الساكن حيرة الطائيين (١)

ص٧٦

ومن مشاهير الحيرة بعد الاسلام خِداش كان يشتغل خداش بصناعة الخزف وكان مسيحيا ثم اسلم واشتغل بتدريس القرآن ثم انضم الى الدعوة العباسية فبعثه داعي الدعاة بالكوفة الى خراسان حيث اخذ يبث الدعوة لمحمد بن علي ولم يلبث ان انصرف عن العباسية واخذ يذيع عن الامام العباس بعض العقائد الباطلة وينشر بين الناس عقائد الخرمية ويدعو الى الاشتراكية مما ادى الى قيام النفور بين الامام العباسي وشيعته في خراسان وقد ظل ذلك حتى بعد موت خداش سنه ١١٨ هجرية حيث امر اسد بن عبدالله بقطع اطرافه ثم قتله(١)

ص٩٤

ان قطع المسكوكات التي اكتشفتها البعثة الأثريه والتي المعنا اليها عرفت تواريخ بعضها فوجدت واحدة منها من ضرب البصرة لسنة ١٥٢ هجرية وواحدة من الكوفة لسنة ١٦٧هـ وهناك قطعتان من ضرب بغداد لسنة١٥٧هـ ونحو عشرين قطعة لم يعرف محل ضربها وهي من منتصف القرن الثاني للهجرة(٣)

---

(١) شابور السنهدوسات الشرقية ص ١

(٢) كتاب السيادة العبرية ٩٨

(٣) Ars Jslamica Vol 1 Past 1 P 52

ص ٩٩

وقد ذكر بروكوب ان من عادات العرب ان يتركوا الحرب شهرين في التحول الصيفي للانقطاع الى امورهم الدينية . وعلينا ان نتذكر هنا انه كان في جيش المنذر بن ماء السماء عدد كبير من الوثنيين وبالحقيقة ان كثيراً من سكان الحيرة كانوا وثنيين ماخلا العباد (١)

ص ١٤٠

ليس هناك مايحملنا على التصديق بنصرانيته كما ذهب اليه هشام (٢).

ص ١٤٨ و ١٧٨ و ١٨٠ و ١٩٧ — ١٩٩

ننقل هنا ماقاله نلدكه عن معركة عين اباغ ويوم حليمة وموقعة ذات الخيار (٣)

في اواخر العقد الثالث من القرن المذكور (القرن السادس) قامت بين الحارث وبين المنذر امير الحيرة حرب على الارض المعروفة بـ Strata ويحدد بروكبيوس هذه الارض بقوله انها البادية الواقعة جنوبي تدمر (Pers ٢ : ١) ولكنها بالاحرى تلك الاراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق الى مابعد تدمر حتى مدينة سرجيوس قرقيسيا Sergiapolis او Sircesium فقد ادعى امير الحيرة ان القبائل العربية النازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطته وهي تدفع له الجزية فنازعه الامير الغساني هذه السلطة فنشب القتال بينهما وكانت هذه الحرب من الاسباب التي عادت فاججت نار المنازعات بين الدولتين بعد ان كادت تنطفئ وقد ورد ذكرها من هذا القبيل في الاخبار الفارسية .

وفي سنة ٥٤١ حارب الحارث في العراق بجانب الروم تحت قيادة بليزاريوس المذكور آنفا (بركوبيوس ٢ : ١٦ ، ١٨) وعبر نهر دجلة على رأس جيشه ثم

(١) قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية الجلد ١ : ١٢٢٧

(٢) قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية الجلد ٣ : ١٢٢٠

(٣) نلدكه : امراء غسان الترجمة العربية لجوزي وزريق ص ١٨ — ٢٠

عاد فارتد الى مركزه السابق على طريق اخرى غير الطريق التي اتبعها معظم الجيش ولم يحصل في حملته على نتائج تذكر. فكان تصرفه هذا مدعاة الى الشبهة والى شك بعض الروم في اخلاصه للقيصر (بروكبيوس وتاريخ اركانا ٢) ولعل اصحاب السياسة في القسطنطينية كانوا يبالغون في مقدرة العرب على الحروب المنظمة في حين ان هؤلاء لم يكونوا يحسنون الا النهب ومطاردة العدو ولو انهم يفاخرون بغير هذا (راجع ملالا ٢ : ٢٠٣)

لم يمض على هذه الغزوة زمن قصير (حوالي سنة ٥٤٤) حتى عاد الاميران العربيان الى القتال. ووقع في هذه الحرب احد ابناء الحارث في يدي المنذر الذي كان لايزال على دينه الوثني فقدمه ذبيحة للإلاهة افروديت اي «العزى» (بروكبيوس ٢ : ٢٨) وقد استمر القتال بين الاميرين العربيين حتى في زمن الهدنة بين الروم والفرس التي بدأت سنة ٥٤٦ (بروكبيوس : Goth ٤ : ١١) الى ان احرز الحارث بن جبلة انتصاراً حاسماً في شهر حزيران سنة ٥٥٤ في معركة وقعت بلم بالقرب من قنسرين (Chalcis). ومع ان الحارث خسر في هذه المعركة احد ابنائه فقد قتل من الجانب الآخر المنذر ملك الحيرة نفسه (راجع لند ١٠ : ١٣ وابن العبري ٨٥ الذي استقى اخباره بطريقة غير مباشرة عن يوحنا الافسسي) وقد حدثت هذه المعركة على الارجح بالقرب من الخيار التي يذكرها ابن الاثير (١ : ٣٩٨) وهذه المعركة هي ولا شك تلك التي يسميها الحارث بن حلزة في معلقته الشهيرة «يوم الحيارين» (البيت ٨٢) وذكر بعضهم (ابن الاثير في الموضع المذكور اعلاه) انه قتل للحارث ابنان في هذه المعركة وهذا خطأ ناتج عن ان الروايات العربية لاتميز بين هذه المعركة وبين معركة او معركتين أخريين بين اللخميين والغساسنة انهزم فيهما اللخميون. ثم هي لاتتفق تماماً في تعيين الحارث الذي انتصر في هذه المعركة او المنذر الذي قتل فيها. على اننا نستطيع ان نجزم — وذلك استناداً على ماورد في ابن الاثير (١ : ٤٠٤) الذي عرف بالتحري في نقل الاخبار والذي هو نفسه نبّه الى الخلط بين هذه المعارك في روايات العرب — في ان المنذر الذي قتل في تلك الموقعة هو المنذر

ابن ماء السماء كما ذكر ايضاً بروكبيوس وغيره من المؤرخين وعليه بات من المقرر ان هذه المعركة هي غير معركة (عين أباغ) التي وقعت قرب الحيرة وبالعكس نرجح انها نفس المعركة الشهيرة المعروفة بـ « يوم حليمة وهو اسم مكان لا اسم امرأة كما يفسّره عادة كتبة العرب . ثم ان النابغة يذكر « يوم حليمة » بين الايام التي كان يفاخر بها الغساسنة السابقون مما يدعم استنتاجنا انه ويوم الخيار موقعة واحدة اذ انه يكون قد مرّ على هذه الموقعة نحو خمسين سنة في حين لم يمر على الانتصار الثاني الكبير الذي حازه احد امراء بني جفنة اكثر من خمس وعشرين سنة اما مايرويه كتبة العرب من التفاصيل عن هذه المعارك فهو جميل جداً وله ميزته الخاصة ولكنه ليس من التاريخ بشيء .

يذكر الحارث بن حلزة (المعلقة البيت ٦١) حينما يمدد امام الملك عمرو الحيري (٥٥٤ـحوالي ٥٦٨) انهم انتقموا للمنذر القتيل بدم «ربّ غسّان» فان صح هذا القول وجب تأويله بان هذه القبيلة قتلت احد انسباء الامير الغسّاني الاقربين او رجلا من آل جفنة او شخصاً آخر من كبار بني غسّان .

سافر الحارث الى القسطنطينية فبلغها في تشرين الثاني من سنة ٥٦٣ وكان الغرض من سفرته مفاوضة حكومة القيصر في من يخلفه من اولاده في عمالته على سورية وما يجب اتخاذه من التدابير لمقاومة عمرو ملك الحيرة (ثيوفانس ٣٧١)

ص ١٥٩

ويمكننا ان نضيف هنا ان احد ابني المنذر الاول وهما الاسود او المنذر الثاني هذا كان عضواً في اللجنة التي تألفت من حاكم فارسي ودوق رومي ويرصوما مطران نصيبين لتحديد الحدود بين الروم والفرس على اثر غزوة قام بها عرب الروم على الفرس وعرب الفرس على الروم (١)

---

(١) قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية الفرنسية جلد ٣ : ١٢٢٤

ص ١٦٧

قد علمنا بعد طبع الكتاب ان سبب ايفاد هذا الوفد طلب فك أسر قائدين رومانيين كانا قد اسرا في احدى الحملات (١)

ص ١٦٨

وظهر امام جيشه بعدم موالاة المسيحيين على غرار ملك حمير الا ان هذا لم يكن مانعاً من ارساله بعد ذلك وفداً الى ابرهة ملك اليمن مراعاة للحبشة بعد انتصاره على ذي نؤاس ببضع سنوات (خريف ٥٤٢) (٢)

ص ١٦٨ و ١٧٣

يحدثنا المؤرخان بروكوبيوس (٨:١) وملالا (١٩٩:٣ وما يليه) قابله ب (لند ٢٥٨:٣) ان الحارث بن جبلة اشترك في المعركة التي وقعت بين الفرس وبين الروم تحت قيادة بليزاريوس وانتهت باندحار جيش الروم وقد ذكر ملالا (٢٠٢:٢) ان الفرس اسروا قائداً اسمه عمرو الا انه لايمكننا ان نعين هذا القائد بالضبط لاسيا وان عمراً هو اكثر الاسماء العربية شيوعاً .

ص ١٧٨

يعتبر قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية (٣) معركة عين اباغ ٢٠ ايار ٥٧٠ م وفي عهد قابوس بن المنذر بن ماء السماء

ص ١٨٠

ويجعل القاموس الكنسي (٤) حرق الحيرة سنة ٥٧٨.

ويوم الخيار في سنة ٥٥٤ قتل فيه الحارث بن جبلة المنذر (٥)

ص ٢٠٧

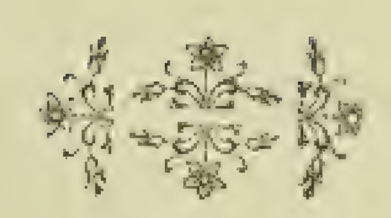
وعلى ذكر المتجردة زوج النعمان بن المنذر المعروف بابي قابوس . نقول

(١) نتوز طبعة بون ص ٤٨٠ (٢) قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية جلد ٣ : ١٢٢٧ (٣) المجلد ٣ : ١٢٢٨ (٤) مجلد ٣ : ١٢٢٨

(٥) القاموس الكنسي ٣ : ١٢٢٧

كان اسمها ماوية وقيل هند بنت المنذر بن الاسود الكلبي وكانت اجمل اهل زمانها فرآها المنذر بن المنذر الملك اللخمي فعشقها فجلس ذات يوم على شرابه ومعه حلم وامرأته المتجردة فقال المنذر لحلم انه لقبيح بالرجل ان يقيم على المرأة زمانا طويلاً حتى لا يبقى في رأسه ولا لحيته شعرة بيضاء الا عرفتها فهل لك ان تطلق امرأتك المتجردة واطلق امرأتي سلمى قال نعم فاخذ كل واحد منهما على صاحبه عهداً قال فطلق المنذر امرأته سلمى وطلق حلم امرأته المتجردة فتزوجها المنذر ولم يطلق لسلمى ان تتزوج حلماً وحجبها وهي ام ابنه النعمان ابن المنذر .

ثم مات المنذر بن المنذر فتزوجها بعده النعمان بن المنذر ابنه (١) وقد ارتكب النعمان اثماً فظيعاً بزواجه من امرأة ابيه (٢)



(١) الاغاني ١٨ : ١٥٣—١٥٥ (٢) قاموس التاريخ والجغرافية الكنسية المجلد ٣ : ١٢٣٠

مآخذ الكتاب

الكتاب	المؤلف	الطبعة	المطبعة
تاريخ الامم والملوك	للطبري	الطبعة الاولى	المطبعة الحسينية المصرية
معجم البلدان	للشيخ الامام شهاب الدين لابي عبد الله ياقوت الحموي	»	مطبعة السعادة بمصر
تاريخ الكامل	ابن الاثير		المطبعة الكبرى بمصر
كتاب المختصر في تاريخ البشر	ابي الفدا	»	المطبعة الحسينية بمصر
كتاب الاغاني	للامام ابي الفرج الاصبهاني		مطبعة التقدم بمصر
العقد الفريد	لابن عبدربه	الطبعة الاولى	المطبعة الجمالية بمصر
مروج الذهب	للمسعودي	طبعة س. باربية دي مينرد باريس ١٨٦١—١٨٧٧	
تاريخ سني ملوك الارض والانبياء	حمزة الاصفهاني		مطبعة كاوياني ببرلين
عيون الانباء في طبقات الاطباء	لابن ابي اصيبعة	الطبعة الاولى	المطبعة الوهبية
اخبار الحكماء	لابن القفطي		مطبعة السعادة بمصر
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب	للثعالبي		مطبعة الظاهر بالقاهرة
تاريخ مختصر الدول	لابن العبري	»	الكاثوليكية ببيروت
كتاب الفخري	لابن الطقطقي		مطبعة الموسوعات بمصر
اخبار الدول وآثار الاول	القرماني		طبعة بغداد الحجرية
آمالي السيد المرتضى			مطبعة السعادة بمصر
مجمع الامثال	للميداني		المطبعة الخيرية
جمهرة الامثال	للعسكري	على هامش مجمع الامثال	المطبعة الخيرية

نهاية الارب في معرفة انساب العرب للقلقشندي مطبعة الرياض ببغداد
العمدة لابن رشيق الطبعة الاولى مطبعة السعادة بمصر
وفيات الاعيان وانبا ابناء الزمان لابن خلكان تصحيح محمد عبد القادر ومحمد النجار
المزهر للسيوطي مطبعة السعادة بمصر
المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر للشافعي مطبعة البهية بمصر
ادب الكاتب لابن قتيبة الدينوري بهامش المثل السائر « « «
روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر لابن شحنة في هامش الكامل لابن الاثير
طبقات الامم لابي القاسم صاعد الاندلسي مطبعة السعادة بمصر
المعلقات السبع وشرحها للزوزني طبعة على الحجر ليوحنا في صغب لبنان سنة ١٢٦٩ هجرية
ديوان السيد الشريف الرضي تفسير العابدي المطبعة الادبية
المخصص لابن سيده الطبعة الاولى مطبعة بولاق ١٣٢٠هـ
الآثار الباقية من القرون الخالية لابي ريحان البيروني طبعة لبزيك ١٨٧٨
معجم ما استعجم للبكري كوتنجن ١٨٧٧
فتوح الشام للواقدي الطبعة الاولى مطبعة الازهرية بمصر
شعراء النصرانية الاب لويس شيخو مطبعة اليسوعيين بيروت
النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية « « « «
مجاني الادب « « « « «
تاريخ كلدو وآثور ادي شير رئيس اساقفة سود الكلداني « « «
الالفاظ الفارسية في اللغة العربية « « « « «
تاريخ العرب قبل الاسلام جرجي زيدان مطبعة الهلال بمصر
تاريخ الآداب العربية « « « « «

مجلة لغة العرب   للاب انستاس الكرملي   مطبعة الايتام ببغداد

تاريخ الموصل   القس سليمان صائغ

تاريخ ملوك الحيرة   علي ظريف الاعظمي البغدادي   مطبعة السلفية بمصر

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق   ليوسف غنيمة   مطبعة الفرات ببغداد

تجارة العراق قديماً وحديثاً   »   »   »   العراق »

مقصورة ابن دريد

مجلة المشرق   للآباء اليسوعيين   المطبعة الكاثوليكية بيروت

مقدمة ابن خلدون   لابن خلدون   مطبعة التقدم بمصر

كتاب العبر   »   »

تاج العروس

الفهرست   لامين واصف   مطبعة المعارف بمصر

دليل الراغبين في لغة الآراميين   القس اوجين منّا   مطبعة الآباء الدومنكيين الموصل

الاعلاق النفيسة   لابن رسته   طبعة ليدن ١٧٩١

تقويم البلدان   لابي الفداء   طبعة باريس

اخبار فطاركة كرسي المشرق من المجدل   لعمر بن متي   طبعة جسمندي ١٨٩٦ ١٨٩٩

مدرسة نصيبين الشهيرة   لماري بن سليمان   المطبعة الكاثوليكية بيروت

ذخيرة الاذهان ... الخ   القس بطرس نصري الكلداني   مطبعة الدومنكيين الموصل

الشاهنامة   لفردوسي ترجمة البنداري نشر الدكتور عزام   مطبعة دار الكتب المصرية

خمس رسائل :   للنيسابوري والجاحظ   مطبعة الجوائب القسطنطينية

الاقتضاب في شرح ادب الكتاب   لابن السيد البطليوسي   بيروت المطبعة الادبية ١٩٠١

الليالي   مجلة روائية تاريخية للاشقر والحائك   بيت شباب   مطبعة العلم ١٩٢٩—١٩٣٠

الشعر والشعراء لابي محمد عبد الله بن مسلم قتيبة الدينوري المطبعة التجارية مصر ١٩٣٢

الاخبار الطوال لاحمد بن داود بن ونند الدينوري مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٣٠

ديوان ابي تمام الطائي طبعة محمد جمال

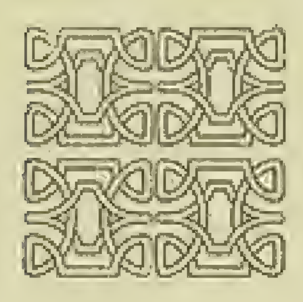
كتاب الطبقات الكبير لابن سعد طبعة برلين (ادورد سخو) ١٣٤١ هجرية

امراء غسان لنلولدكه ترجمة جوزي وزريق المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣

السيادة العربية ؟ لفان فلوتن ترجمة الدكتور حسن ومحمد زكي ابراهيم

كتاب المعارف لابن قتيبة طبعة وستنفلد

كتاب مفاتيح العلوم « فلوتن



Assemani—Bibliotheca Orientalis.

Caussin de Perceval : Essai sur l'Histoire des Arabes avant l'Islam.

Edward Sachau : Einzelausgarhe Von Klosterbuch Des Sâbusti.

G. Rothstein : Die Dynastie Der Lakhmiden in Al-Hira.

J.B. Chabot : Synodicon Orientale ou Recueil des Synodes Nestoriens.

R. Duval : Litterature Syriaque.

J. La bourt : Le Christianisme Dans l'Empire Perse sous la Dynastie Sassanide.

Encyclopédie de l'Islam.

Duchesne : Les Eglises Séparées.

C.H.W. Johns : Ancient Babylonia.

Edwin Behaven : The Land of the Two Rivers.

L.W. King : A History of Babylon.

P.M. Sykes : A History of Persia.

An Article in the Manchester Guardian.

Cl. Huart : Histoire des Arabes.

Jesudenah évêque de Busreh. Le Livre de la Chastéte en Syriaque public et traduit en Français par J. B. Chabot.

Th. Noeldeke : Die Ghassaniden Fürsten.

J. B. Chabot : L'Ecole de Nisibe.

R. Duval : Histoire Politique Religieuse et Litteraire d'Edesse.

Ch. Seignobos : Antiquité Romaine et Pré-Moyen Age.

R. A. Nicholson : A Literary History of the Arabs.

Journal of The Royal Central Asian Society Part II, April 1932; A Lecture on Hira by D. Talbot Rice, page 254—269.

Dr. A. Baumstark : Geschichte Der Syrischen Literatur Bonne 1922.

François Nau : Les Arabes Chrétiens De Mesopotamie Et De Syrie, Du VII Siècle au VIII Siecle. Paris, Imprimerie Nationale 1933.

Dictionnaire D'Histoire et de Geographie Ecclésiastique, Public sous la Direction de Mgr. Alefred Boudrillard; Paris (Article Arabè).

Antiquity : A Review of Archeology Sept. 1932; An Article : The Oxford excavation at Hira 1931, by D. Talbot Rice, p. 276—291.

The Article : The Oxford Excavation at Hira, by Dr. Talbot Rice in Ars Islamica Vol. I, Part I, page 51 to page 73.

فهرس هجائي

لاسماء الرجال والنساء والقبائل والجماعات

« ا »

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« خ »

« د »

« ذ »

(ر)

(ز)

(س)

(ص)

«ض»

***

(ط)

(ظ)

***

ع

« ق »

* * *

« ن »

(و)

« ي »



فهرست

المدن والقرى والقصور والديارات والجبال والوديان والمياه والمراعي

« ب »

« ت »

(ث)

« ج »

(خ)

«د»

(ذ)

(ر)

(ز)

«س»

(ش)

«ص»

***

«ض»

لا يوجد

«ط»

(ظ)

لا يوجد

(ع)

(غ)

(ف)

***

(ق)

(ك)

(ل)

تصويبات

ص	سطر	خطأ	صواب
٨	٨	أياد	إياد (١)
«	١٦	من العرب	العرب
١١	٥	١٣ ، ١٧ ، ٢٥	(٢)
١٢	٤	مالك وعمر	مالك وعمرو
١٦	٧	تنوح	تنوخ
٢٦	٧	قصر العدسين	قصر العدسيين
٢٦	٩	عامر بن عرف الـكلبي	عامر بن عوف الـكلبي
٣١	٨	وبني يقتين	وبني يعتين
٣٣	٤	طي	طيىء (٣)
٣٦	٢٢	لم يكن لنا متسع لتحقيق زمانهم	احذف هذه الالفاظ
٣٨	٢٠	الباعرث	الباعوث
٣٩	٣	ويتفقون فيها	ويتفقهون فيها
٣٩	١٨	وبر الغسيمة	وبر النسمة
٤٠	٣	ذزه: خيراً	فازداد خيراً
٤٠	٦	الـكلام المشوب الى	الـكلام المنسوب الى
٤٨	٩	شدة البقايا	شرة البقايا
٥٠	٢٣	انصدر الكنيسة وجنابتها Abside	انصدر الكنيسة Abside وجنباتها
٥٢	١٨	بشكل ملطي	بشكل مالطي
٥٣	٢	كان متبجلا	كان مبجلا

(١) وردت أياد خطأ في بعض الصفحات عوضا عن إياد صححها حيث وردت

(٢) لخلو المطبعة من حروف سريانية كتبت بحروف عبرية للتنبيه

(٣) صححها هكذا حيث وردت مغلوطة

ص	سطر	خطأ	صواب
٥٤	١٤	مار عبدا النكبر	مار عبدا الكبير
٥٧	١٦	الخيريين	الحيريين
٦٠	٣	يوسقينيايل	يوسقنيانس
٦٦	٣	كالسبراء	كالسيراء
»	٦	اسقاطة	اسقاطه
٦٨	١٩	يشمل في المآقي	يشعل فى المآقي
٧٠	١٩	عمر بن عند	عمرو بن هند
٧٢	٧	زرجون بن يوفل	زرجون بن نوفل
٧٣	٦	عمرو بن الخطاب	عمر بن الخطاب
٧٤	٧	طارق الاحزن	طارق الاحزان
»	١٨	جادت عليه	جادت عليهم
٧٦	»	فجعلت اصاله	فجعلت أساله
٨٠	٨	مهرية	مهرية
٨٧	١٣	لذة ابيك الحيرة ع	الحيرة لذة ابيك
٩١	١٥و١٧	فتشطأت	فتقطعت
٩٣	١٥	جابر بن شمعون	شمعون بن جابر
٩٤	١٦	خدعتة	خدعته
١٠٧	١٥	يستأمها نفسة	يستأمها نفسها
١٠٨	٤	تغافت	تغافلت
١٠٨	١٣	ابو الفرج الاصفهاني	ابو الفرج الأصبهاني (١)

(١) لقد وقع هذا السهو في اكثر من محل واحد فصححه حيث وجد كما ان حمزة الاصفهاني ورد سهواً في بعض المواطن حمزة الاصبهاني .

ص	سطر	خطأ	صواب
١١٠	١	المنتشر	المنتشرة
«	٢١	والزحلوفة	والزحلوقة
١١٣	٦	سمط	شمط
١١٤	٥	حار	جار
١١٤	٩	ناشدتنا	نَاشدتنا
١٢١	١٣	الزبا	الزباء
١٢٢	٥	Patesj	Patesi
١٢٦	٣	الزبا	الزباء
١٢٦	١٩	Zenobia et	Zenobia and
١٢٧	٢١	الروية	الرواية
١٢٨	٣	بن عدي بن رقاش	بن عدي وأمة
١٣٠	١٤	كلدواتور	كلدوواثور
١٣٢	٨	حق	حتى
١٣٥	١٥	سبتموه	سبتموس
١٣٨	١٨	تلل	تعلل
١٤٦	٤	يزدجرد	يزدجرد
١٤٦	٢١	رياح بن الاثل	رياح بن الاشل
١٤٦	٢٤	His of Persia	His of Persia
١٤٧	١	انهم يعلموا	انهم لم يعلموا
١٤٧	١٠	وجمع الاحوص بن جعفر اخي خالد	وجمع الاحوص بن جعفر اخو خالد
١٤٨	٦	بهرام حور	بهرام جور
١٥١	٩	فراو	فرأوا
١٥١	١٣	ومذ	ومنذ

ص	سطر	خطأ	صواب
١٥٣	٣	النعما	النعمان
١٥٥	٢٢	Histoire de Bas Empire de	Histoire des Bas Empires de
١٥٦	١٥	واحرم	واحزم
١٦٠	١٤	وانتصر عليه كراسوس	وانتصر عليه القائدان اولمبيا Olympia وكراسوس
١٦١	٧	بكر وتعلب	بكر وتغلب
١٦٢	٥	آل عمر	آل عمرو
١٦٢	١٥	ويوستنياس	ويوستنيانس ؟
١٦٣	١٠	اواره	اوارة
١٦٧	١٣	يوسنوس	يوستنوس
١٦٧	١٤	يعقد ماعدة	يعقد معه معاهدة
١٦٨	٤	يستمشه	يجشه
١٦٨	١٨	الآلهة	الالاهة
١٧٤	١٦	آثارها على الروم	آثارها انوشروان على الروم
١٧٨	١٨	المزكية	المزدكية
١٧٩	٩	الفارسي	الفارس
١٨٠	١٥	ان ابا دؤاد رجلا	ان اباء دؤاد نازع رجلا
١٨٠	١٦	فحبس المنذر اباءدؤاد	فحبس المنذر رقبة واجار اباء دؤاد
١٨٤	١٦	لم تتطلب	لم أتطلب
١٨٩	١٢	أبا الحزيات	ابا الخزيات
١٩٠	٧	وللمثقف العبدي	وللمثقب العبدي
١٩٢	٦	لم نذكر	لم تذكر

ص	سطر	خطأ	صواب
١٩٥	٢	(٣) لم يرو لنا التاريخ الى ان المنذر بن ماء السماء كان ظالماً فانقضى عليه الحيريون لظلمه .	(٣) لم يرو لنا التاريخ ان الحيريين انقضوا على المنذر بن ماء السماء لظلمه وان كان شديد المراس عاتياً .
٢٠٢	٢٠	مثارك	بثارك
٢٠٣	٢٤	مجمع الامثال ٧٨١	بجمع الامثال ١ : ٧٨
٢٠٥	١٢	فحيث اقتنعوا من	فحيث استندوا من
٢١٣	٢٠	الاغاني ٣٠ : ١٣٢	الاغاني ٢٠ : ١٣٢
٢١٥	٢	٦٠٧—٦١٧	٦١٣ — ٦١٧
٢١٥	٦	دجزوراً	وجزوراً
٢٢٠	٢١	كتابه الاغاني سلالة	كتابه سلالة
٢٢١	٢٤و٢٥	اقرأ اسم الكتاب	Un Nuovo Testo Siriaco Sulla Storia Degli Ultimi Sassanidi Edi Guidi 1891
٢٢٥	١١	قيس بن الأهتم	قيس بن عاصم
٢٢٧	٩	فهم	فُهيم
٢٢٨	١٣	وتنادا	وتنادوا
٢٢٩	١٢	سدور	سرور
٢٣٠	٢٣	اثنى عشر	اثنا عشر
٢٣١	٢١	الكندني	الكندي
٢٣٣	٣	وتركوا	تركوا
٢٣٨	١٠	سنة ١٢٠٤	سنة ٢٠٤
٢٤٠	١	عمر بن	عمرو بن
٢٤١	٢٠	شروية	شيرويه

ص	سطر	خطأ	صواب
٢٤٣	١٤	٥٨٥—٦٠٧	٥٨٥—٦١٣
٢٤٥	٦	١٤٢—٢٧٢	٢٤١—٢٧٢
٢٤٤	١٦	يزدجرد الثاني الاثيم	يزدجرد الاول الاثيم
٢٤٦	١٧	وكنيته ابو قالوس	وكنيته ابو قابوس
٢٤٦	٢٣	Hoeldeke	Noeldeke
٢٤٨	٤ـ٥ـ٦ـ٧ـ٨	عدى ؟ عمرو امرؤ القيس الثاني	عدي عمرو امرؤ القيس البدي عمرو الثاني امرؤ القيس الثاني
٢٥٣	٧	النابئة	النابغة
٢٥٥	١٥ـ١٦	وذلك في عهد ملوك الحيرة	
٢٥٥	٢١	والبهقبا الأسفل	والبهقباذ الأسفل
٢٥٦	١٤	وجاءت اسماؤها	جاءت اسماؤها في تاريخ الحيرة
٢٥٩	٢	أرقت	أرقت
٢٥٩	١٩	الافاقا	الافاقة
٢٦٠	٣	الشيخ	الشيح
٢٦٠	١٧	بلابل	بأبل
٢٦٨	٨	فراسخ	فرامح
٢٦٨	٩	نعام	نعاف
٢٨١	١٦	(١)	(٢)
٢٨١	٢٥	السيادة العبرية	السيادة العربية

تنبيه : قد اكتفينا بهذه التصويبات على ان هناك عدداً يعرفه القارئ من الطائفة ، وعلى كل نرجو العفو ـ فالانسان لا يخلو من النسيان والكمال لله وحده .

الفهرست

اخذت امرأته ـ يوم عين اباغ ـ قتل المنذر ابي الحارث بن جبلة الغساني ـ حرق الحيرة ـ وفد المنذر الى ابرهة ـ بناء قصر الزوراء ـ وفود العرب عند المنذر ـ اقوال المنذر المأثورة ـ ذكره في اشعار العرب .

١٨٣ عمرو بن هند ـ امه ـ اخلاقه ـ غزوه بني تغلب ـ امتناع الروم عن دفع الجراية السنوية الى عمرو بن هند ـ امتناع يوسطينوس الثاني دفع الجزية الى انوشروان ـ قتل عمرو بن امامة ـ طرفة الشاعر يرثيه ويحرض عمرو بن هند على الأنتقام له ـ زرارة بن عدس يحمل عمرو بن هند على طيء ـ قيس بن جروة ينشد في ذلك شعراً ـ اغتاظ عمرو من هذا وفتك بطيء ـ يوم اوارة الثاني ـ قتل مالك بن المنذر بن ماء السماء ـ الانتقام له من قاتليه بني دارم ـ يوم القصيبة ـ قتل المنذر منه من بني تميم ـ يوم الشقيقة ـ شعراء العرب في ايام عمرو بن هند ـ صحيفة المتلمس وقتل طرفة ـ المثقب العبدي ـ المسيب بن علس ـ انشاد الحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم معلقتيهما امام عمرو بن هند ـ احتكام بكر وتغلب امامه ـ النابغة الذبياني ـ الحرب بين الفرس والروم من سنة ٥٧٢ الى سنة ٥٧٩ بين كسرى انوشروان ويوسطينوس ـ زيارة عمرو بن هند السنوية لكسرى انوشروان ـ اهانة امه لأم عمرو بن كلثوم ـ عمرو بن كلثوم يقتل عمرو ابن هند ـ دفن عمرو بن هند في ذيرامه ـ نصرانيته ـ اقواله المأثورة ـ ولادة النبي محمد (ص) .

١٩٣ قابوس بن المنذر ـ اختلاف الرأي في اسم خليفة عمرو بن هند ـ رواية الاغاني عن حماد بن أيوب وابنه زيد ونصب هذا الاخير على الحيرة ـ نقد هذه الرواية ـ ضعف قابوس حتى سمي فتنة العروس ـ فتنة بينه وبين المنذر ملك غسان ـ

١٩٩ السهرب ـ يتولى حكم الحيرة بعد موت قابوس ـ نقد السياسة الفارسية باخراج الملك الى الغرباء ـ

١٩٦ المنذر الرابع الملقب الاسود الثاني ـ يثأر لأبيه من غسان ـ حرب بينه وبين الحارث بن ابي شمر الغساني ـ واقعة حليمة ـ اختلاف الروايات في سبب هذه الحرب ـ الحرث بن ابي شمر الغساني خطب الى المنذر ابنته هنداً ـ امتناعها عن الزواج ـ نهب الحيرة وحرقها ـ قصيدة علقمة ابن عبدة لأستعطاف الحارث ـ تضارب الاقوال في يوم حليمة و يوم عين اباغ وفي القتيل فيه ـ انتقاض الحيريين على المنذر الرابع فلم يبق له الا اسم الملك ـ تولى زيد بن حماد الحكم ـ امرأة المنذر الرابع سلمى بنت وائل الصائغ ـ امرأته الثانية مارية بنت الحرث بن جلهم ـ اولاد المنذر الثلاثة عشر الاشاهب ـ وصيته فى تولية الأمر الى اياس بن قبيصة الطائي بعد موته ـ

٢٠١ النعمان الثالث ابن المنذر (ابو قابوس) ـ اياس بن قبيصة يستولى على الحيرة ـ سؤال كسرى هرمزد عن بقايا آل المنذر ـ اجتهاد عدى بن زيد في تمليك النعمان سعى عدى بن مرينا فى تمليك الأسود بن المنذر ـ حضور اولاد المنذر امام كسرى هرمزد ـ نجاح عدي بن زيد فى تمليك النعمان ـ الحقد يسود بين ابن مرينا وابن عدي ـ زواج عدى بن زيد من هند بنت النعمان ـ كتائب النعمان الخمس ـ موقعة يوم السلان ـ يوم الفجار الاخر ـ يوم أقرن ـ يوم الطخفة ـ خيل النعمان وابله ـ حمايته شقائق النعمان ـ تصويبه المشاقص الى وجه رجل في مجلسه ـ منحه مال الى رجل ـ ذبحه آخر ـ العلوم في عهده ـ استفحال الخلاف بين عدي بن زيد وعدي بن مرينا ـ استظهار الثاني على الاول حبس النعمان عدي بن زيد ـ خروج النعمان الى البحرين وحرق

فهرس الرسوم

يجدر بنا أن نصدر هذا الفهرس بالشكر البليغ للاستاذ الدكتور تلبت رايس (Dr Talbot Rice) عضو بعثة اوكسفورد للحفريات في الحيرة الذي تلطف باجابة طلبنا وفأرسل الينا شيئاً من ابحاثه عن الحفريات وطائفة من الرسوم واجاز لنا نشرها ولهذا فالرسوم في هذا الكتاب كلها مما جاد به علينا حضرته سواء اكان مباشرة من تصاوير بعث بها الينا او نقلناها باجازة منه من مقالاته المنشورة في المجلات ولهذا اقتضى التنويه بفضله ٠

مؤلفات غنيمة

الآثار المطبوعة

(بردیصان والبردیصانیة) رسالة فلسفية تاريخية في بدعة ظهرت في القرن الثاني للميلاد في بين النهرين . وقد نالت استحسان العلماء الشرقيين والمستشرقين . تقع في ١٦ صفحة طبعت ببيروت .

(تجارة العراق قديما وحديثا) كتاب يبحث في تاريخ تجارة العراق منذ اقدم الازمنة الى سنة ١٩٢٢ يقع في ١٧٤ صفحة طبع في العراق ببغداد سنة ١٩٢٢ وقد اثنت عليه اكبر المجلات والصحف العربية ومجلات المستشرقين وقدره حق قدره المؤرخون والاقتصاديون .

(نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق) سفر جليل يبحث في تاريخ يهود العراق على مختلف القرون وتوالي الأجيال وهو فريد في بابه يقع في ٢٢٠ صفحة طبع في بغداد سنة ١٩٢٤ ذكره العلماء والمؤرخون بالثناء وقابلته الصحف والمجلات بالاطراء .

(محاضرات في مدن العراق) يقع هذا الكتاب في ١٣٥ صفحة وهو مجموع محاضرات القاها في دار المعلمين العليا ببغداد في تاريخ المدن القديمة المندثرة من عهد الشمريين والاكديين كاجد ونجش ونفر وكيش واركك واور طبع سنة ١٩٢٤ ويكفي تقريظاً لهذا الكتاب مالاقاه من الاقبال من جميع الطبقات .

(الحيرة: المدنية والمملكة العربية) وهو الكتاب الذي نزفه

اليك ايها القارئ الكريم . يتضمن تاريخ مدينة الحيرة ومملكتها في عهد السلالتين سلالة التنوخيين وسلالة المناذرة اللخميين وقد اعتمد المؤلف في وضعه على اوثق المصادر واثبت الوثائق في لغات مختلفة وقد انتهج في وضعه منهجاً شيقاً يظهر لك فيه تاريخ هذه الحاضرة ومملكتها وعاداتها وصناعاتها واجناس اهلها واديانهم وعاداتهم وقصورهم ودياراتهم وحياتهم العلمية والاجتماعية كل ذلك باسلوب ظريف جذاب مع الرجوع الى مصدر كل رواية

الآثار المخطوطة

(شرح القانون الاساسي العراقي) في مجلدين اودعهما المؤلف

بحثاً دقيقاً ودرساً مفصلاً بالنقد ومقابلة بمقابلة احكام دساتير الدول الأخرى وقد نشر قسماً مهماً منه في جريدتي نداء الشعب والسياسة البغداديتين .

(غادة بابل) رواية خيالية تاريخية تمثل حياة البابليين اليومية

وقد نشر قسماً منها في مجلة « لغة العرب » .

(مباحث عراقية) تتضمن مباحث مصورة في تاريخ العراق وجغرافيته

واحواله العمرانية والاقتصادية وقد نشر معظمها في المجلات والجرائد في العراق ومصر وسورية .

(ازهار وثمار) مجموعة مقالات أدبية واخلاقية نشر معظمها في الصحف .



